محمد أبو رحمة

الإسلام والدين المصرى القديم

دراسة مقارنة بين الدين المصري والأديان السماوية



الإسلام والدين المصري القديم

(دراسة مقارنة بين الدين المصري القديم والأديان السماوية)

محمد أبو رحمة

اسم الكتاب: الإسلام والدين المصري القديم

المـــــؤلف: محمد أبو رحمة

الناشـــــر: مكتبة بورصة الكتب للنشر والتوزيع

تصميم الغـلاف: محمد فـــاروق

تجهيزات الكمبيوتر: حسام حـسين



مكتبة

بورصة الكتب للنشر والتوزيع

٢٥ شارع شريف- القاهرة

Email: adel.metwaly69@yahoo.com

٠٢/٢٣٩٢٠٣٦٩ -٠١٠٠١٨٨٩٣٦٣

رقم الإيداع : ٨٩٧٥ /٢٠١٣

أبو رحمة، محمد.

الإسلام والدين المصري القديم : دراسة مقارنة بين الدين المصري القديم والأديان السماوية/ محمد أبو رحمة.- القاهرة: بورصة الكتب للنشر والتوزيع، ٢٠١٣ .

٢٢١ص؛ ٢٤ سم.

١- الديانات المقارنة.

أ- العنوان.

٢٩١

رقم الإيداع

٢٠١٣/٨٩٧٥

الإسلام والدين المصري القديم

دراسة مقارنة بين الدين المصري القديم

والأديان السماوية

محمد أبو رحمة

للنشر والتوزيع



مقدمة

قبل خمسة آلاف عام من الميلاد كان القوم هناك.. فوق جبالٍ ، يتابعون بعينٍ قلقة وفؤادٍ مضطرب ما يحدث عند السفح :

الدلتا التي كانت بحراً .. صارت تستقبل مياه النيل النابعة من كهوف الجنوب . ثم يغيض الماء ، فترقى ربى سمراء صارت خضراء. فسحر اللون القوم، فرموا بقوسهم وسهمهم وألقوا بأنفسهم بين أحضان الوادي . وهناك.. فوق الربى رأوا حركةً تدب ، فإرتدوا.. فتقدم كبارُهم ، هدأوا روعَهم، وغمغموا :

هكذا كان البدء !

وهكذا كانت الطبيعة وظواهرها هي المحرك الأول والدافع الأساسي للفكر المصري لإستعادة عملية الخلق ، وترتيب عناصر بدايتها . لقد نظر المصري إلى أرض وادي النيل فرأى مياه الفيضان تغمرُها ثم تنسحب مخلفةً وراءَها تلالاً طينية ، ثم لحظ أن الحياة تدب فوق هذه التلال :

كائناتٌ حية تتحرك ، ثم رأى عشباً أخضر حياً يخرج من ثنايات هذه الأرض الخصبة .

وسجلت ذاكرةُ الإنسان هذه الظاهرة ، ظاهرة الحياة التي خرجت من بين طيات عدمٍ مظلم ، فآمن بأن وراءَ هذا الخلق خالقاً ، صاحبَ قدرة خاصة ، كما تصور أن الكونَ ومظاهره الطبيعية أربابٌ شتى ، منها الخيرُ ومنها ما هو غير ذلك.

ولما كانت البلاد – حينذاك – متناثرةً ؛ فقد نشأت في كلٍ منها رؤيةٌ خاصة تتناول فلسفة الخلق .. والخالق ، تعطيه إسماً وسمة ، قد يختلفا هنا وهناك، ولكنهما ظلا علماً على خالقٍ واحد أبدع الكونَ وما فيه.

إن تناول الدين المصري [القديم] من المسائل الشائكة العسيرة، ويرجع ذلك لعدة أسباب ، أهمها :

- حداثةُ علم المصريات نفسه ، إذ لم يبدأ حلُ رموز اللغة المصرية إلا في القرن التاسع عشر.

- الدمارُ الذي لا مثيل له في تاريخ الإنسانية ، الذي لحق بالمنشآت الحضارية المصرية من معابد وأهرامات ومقابر وأوراق البردي ، مما تسبب في فقدان مصادر حيوية في جميع المجالات.
- الافتراءُ والتشنيع بقلب الحقائق بغرض تشويه الحضارة المصرية.
- امتدادُ الفترة التاريخية – موضوع البحث – لأكثر من خمسةِ آلاف عامٍ [تقع كلها قبل الميلاد] ، فلا يكون من المنطق أن نتعامل مع الدين المصري [القديم] على أنه دين واحد لم تجر عليه تغييرات ، ولم تدخل عليه مذاهب تأويل، وتفاسير وشروحات، ووجهات نظر مختلفة ، وهو ما حدث لكل الأديان الأخرى الأقصر عمراً والأحدث وجوداً.
- لم يترك المصريون كتاباً مقدساً يشمل ما يمكن تعريفه بالدين المصري.
- غموضُ بعض الأفكار، والتي يفترض البعضُ أن الكهنة المصريين قد تعمدوا إخفاء حقيقتها ، كما تعمدوا أيضاً تقديم أفكار بسيطة للعامة ، واحتفظوا لأنفسهم بالأفكار الأصلية والحقيقية.
- اللبسُ الذي يقع فيه الكثيرون الذين يتصدون للبحث في الدين المصري [القديم] ، ومرجعه أن اللغة المصرية عرفت الإله بلفظ : "نتر" ، وهو لقبٌ مقدس وضع أمام الإله والأرباب وآخرين.
ولا يوجد لفظٌ مطابق لكلمة "نتر" المصرية ، أما ترجمته التي تعني "الله" فمسألة محل جدلٍ شديد ، وفي هذا يقول (إريك هورنونج) : " الإستنتاج الذي لا مفر منه حقاً هو " أنه لا تحليل للكلمة " ولا " المعنى الأصلي " لكلمة نتر يمكن تأكيده، لأن هذه المحاولة لاتمدنا بأي نظرة إستبصار في طبيعة المفهوم المصري للإله، فيجب أن ننحي هذه المسألة جانباً ونركز على استعمال الكلمة".
وعلى الرغم من كل ما تقدم فقد بقيت نصوص [مصرية] دينية عديدة ، منها ما هو مسجلٌ على جدران المعابد والمقابر، ومنها ما هو مدونٌ على أوراق البردي، كما أن هناك أيضاً تعاليم كتبها حكماءٌ وأدباء.
من كل ذلك نستطيع أن نستخلص بعضاً من مبادئ ومظاهر وطقوس وآداب وعقائد المصري [القديم].

وكان من أهم مظاهر الدين المصري هي خصوصيته ، فالآرباب التي قُدست في ربوع مصر كانت آرباباً مصرية ذات أسماء مصرية ، ولم يذكر لنا التاريخ أن المصريين قد اعتنقوا ديناً وافداً إلى بلادهم من خارجها.

ورغم اعتزاز المصريين بدينهم ، إلا أنهم لم يبشروا به خارج أراضيهم قط ، فلم يعرف التاريخ أن مصر – مهما بلغت من قوةٍ ونفوذ دولي – قد أكرهت شعوباً على اتباع عقيدة مصرية أو الإيمان بإله مصري.

وقد أبدى المصريون دوماً تسامحاً دينياً فيما بينهم في داخل مصر نفسها ، كما أبدوا ذلك التسامح مع آلهة البلدان "المقهورة" .

وقد جاء في سياق نص أدبي مصري [قديم] أن أحد الأحباش عمل على إذلال الملك المصرى [نفسه] وازدرائه والسخرية منه في العلن ، فقام بجلده أمام الشعب الحبشي ، فلما سقط هذا اللعين بعد ذلك في يد الملك المصري ، وجاءت أم الحبشي ترجو الملك ألا يقتل إبنها ؛ إذ بالفرعون يعفو عنه ، وكان كل ما عاقب به الحبشي هو حرمانه من دخول أرض مصر.

وبالطبع لم يمنع تسامحُ أبناء الحضارة المصرية وسلوكُهم الرفيع من قيام الملوك بالدفاع عن حدود البلاد ، فخاضوا من أجل ذلك حروباً ضروساً ، وقد وصل الأمر بالملك (رمسيس الثالث) أن قطع أوصال أعدائه ، الذين حاولوا إحتلال مصر.

وقد كان الدينُ المصري هو الأساس الذي شُيد عليه بنيانُ المجتمع المصري، فكان الإيمان بحياةٍ أبدية [بعد الموت] يرتبطُ بالإيمان بمبدأ الحساب بما يتبعه من ثوابٍ وعقاب ، هو أيضاً إيمانٌ بمبدأ العدل الذي يمثله ميزانُ "ماعت"، أي الحق والعدل والنظام ، مبادئ ثلاثة عظيمة جمعها المصري في هذه الكلمة الواحدة : "ماعت".

الماعت نظامُ حقٍ عادل شمل الحياة كلها ، الأولى والثانية ، ولم يقتصر فقط على العالم الأخر، فميزان الماعت كان يزن أعمالَ الناس في الدنيا ، ومن خلال ذلك يتحدد مصيرُ الإنسان في الحياة الأبدية . فكان على المصري الساعي إلى نعيم الأبدية أن يلتزم بقوانين الماعت في الحياة الدنيا، كما جاء في النص المصري [القديم] الذي يحثُ المرءَ على أن يكون : " رقيق الطباع في معاملته للناس، مستيقم السلوك، قويم الأخلاق ، يحب الماعت ويكره الشر ".

وكانت قوانين الماعت ملزمةً للجميع ، من المواطنين البسطاء الذين لا يملكون مالاً ولا نفوذاً، إلى رأس السلطة في الدولة المصرية، فكان على أعتى ملوك مصر أن يتبرأ أمام ميزان الماعت في محكمة الآخرة من آثامٍ لم يرتكبها من كذبٍ ، أو سرقة وقتل وزنا ، أو إلحاق الأذى بأرملةٍ لا أحد لها، أو رضيع ضعيف ، أو حتى تلويث مياه النيل ، ويتم ذلك في حضور مندوبين عن جميع أرجاء مصر.

وكان قانون الماعت هو أيضاً القانون الذي يحكمُ به قضاةُ مصر، الذين كانوا لا يلتزمون فقط بنصوص القانون ؛ بل كان عليهم أيضاً حمايةُ الضعفاء من ظلم الظالمين.

وقد احتفظت لنا البرديات وجدرانُ المقابر والأهرام والتوابيت بنصوصٍ دينية رفيعة المستوى. ولم تكن النصوص الأدبية [الدنيوية] تقل بحالٍ من الأحوال عن النصوص الدينية ، فقد كانت الأعمالُ الأدبية أيضاً وعاءً فكرياً شمل أسس الأخلاق العامة.

وقد : " بُني معظم الأدب المصري سواءً كان مقدساً أو دنيوياً على الأخلاق وتعليم الأخلاق " ، كما جاء في معجم الحضارة المصرية القديمة.

أما (كلير لالويت) فتقول : " الأدب المصري هو الأكثر عراقةً بين ما عرفته البشرية من آدابٍ ، وهو من أرفعها شأناً وأكثرها تنوعاً ".

كما تقول (لالويت) أيضاً : " ومن الخصال الهامة للإنسان المصري القديم هو انشغاله الدائم بالحقيقة والعدل، وقد ألّه هاتين الصفتين الكاملتين وجسدهما في الربة "ماعت" ، التي لها وحدها في مجمع الآلهة المصريين صفةُ القداسة المجردة ، والتي كان يُنظر إليها كضرورةٍ لنظام العالم وتوازنه ".

ولم يؤله المصريون "ماعت" فقط ؛ بل وصل بهم الأمر أن وضعوا مؤلفي نصوص الحكمة والأخلاق في صفوف الأرباب.

ومن أبرز أدباء مصر في هذا المجال كان الحكيم (بتاح حتب) ، وزير الأسرة الخامسة [٢٤٠٠ قبل الميلاد]، وكان (بتاح حتب) قد وضع مؤلفاً في الحكمة بناءً على طلب من الملك نفسه. ومن أقوال (بتاح حتب) : " الحقيقة شيء جيد وقيمتها دائمة لا تزول ، إنها أشبه بالصراط المستقيم أمام الإنسان الذي يعرف

قوة الحقيقة في ديمومتها، والإنسان العادل يستطيع أن يقول : هذه هي التركة التي أورثني إياها أبي ".
كما يقول (بتاح حتب) أيضاً : " لا تزرع الخوف في نفوس الناس، فتلك إرادة الله. إذا لجأ أحدهم إلى العنف فإن الله ينزع الخبز من فمه. وإذا فعل ذلك من أجل الثراء سيقول الله : لأحرمنك من هذه الثروة.. أعمل على أن يعيش الناس في سلام، وسوف يعطونك عن طيب خاطر ".
هكذا نرى حدوداً أخلاقية حكمت علاقات الناس في المجتمع المصري، وبلورها الأدبُ المصري [القديم]، وكان أعظم هذه المباديء الأخلاقية مبدأُ السلام، الذي يتكرر أيضاً في النص التالي : " لا تنضم إلى الفاسقين ولا تخالط السفلة ، لا تقدم شيئاً محرماً ولا تستخدم العنفَ ضد أي إنسان ".
كان إذن صنع السلام على الأرض مبدأً هاماً، يكافأ من يعمل عليه ويلتزم به أن يعيش حياةً سعيدة أبدية في "حقول السلام" في الدار الآخرة.
وبعد..
فإن هذا الكتاب لا يُعتبر بحثاً في الدين المصري [القديم]، كما أنني لا أزعم أني أقدمُ من خلاله رؤيةً جديدة لهذه العقيدة ، بل حاولتُ أن أمسح شيئاً من بقعٍ سوداء حاول مغرضون أن يلطخوا بها وجهَ مصر.
لقد لفق الحاقدون – من زمن بعيد – أكاذيبَ تلقفها مغرضون – على مر التاريخ – و رددها جاهلون ، بل وظلوا يرددونها حتى اليوم.
ومن هذه الأكاذيب المفتراة تلك التهمة التي أُلصقت برأس الدولة المصرية : الملك نفسه.. فكان قاسياً جباراً ، طغى وكفر وبغى وأفسد في الأرض، حتى صار لفظ "فرعون" يحمل كل هذه المعاني ، فهو الذي ذبح أطفالاً أبرياء ، وحرص على الحفاظ على شعب كامل في الأسر ليذيقهم المر والهوان . [وللرد على هذه الفرية أفردنا فصلاً داخل هذا الكتاب] . وكان لابد أن يعقب ذلك وصمُ حضارةٍ كاملة بالكفر، وصار ما تبقى من آثارها أصناماً، ينادي البعضُ من حينٍ لآخر بوجوب إزالتها وتدميرها.
ومن جانبٍ آخر يزعم آخرون أن هناك من هبطَ من السماء ليشيدَ لنا هذه المنشآت الضخمة ، وهم يتناسون – بالطبع – أن هذه الآثار الموجودة الآن – والمندثر منها – قد بُنيت على مر عصورٍ تاريخية مختلفة ، مما كان يلزم أن

يبقى هؤلاء – الواقعون من السماء – آلاف السنين على أرض مصر، وأن يتواجدوا في كل بقعةٍ منها ، شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً.
فإذا فرغ هؤلاء من ترديد أوهامهم ، ظهر غيرهم زاعماً أن هذه الحضارة ليست سوى آثار لحضارة أخرى – غير مصرية – اندثرت وابتلعها البحر.
وبين البحر والسماء مازال هناك من يردد هذه المهاترات وغيرها ، أحياناً في شكلٍ علمي وأحياناً أخرى في شكل روائي .. وهكذا .. فالمهم هو تفريغ هذه الحضارة العظيمة من مضمونها ، وقد تصل السذاجة بالبعض أن يردد بأن حضارة مصر ليست سوى حضارة موت وأموات.
وهي على النقيض من ذلك تماماً، فقد كان المصري – المحبُ للحياة – أول من آمن بالخلود ، خلود الروح ، وآمن بالبعث بعد الموت، أي الحياة الأخرى ، فهو إذن ليس موتاً ، بل حياةً تستمر في عالمٍ آخر، حياة متصلة دائمة ، ولهذا السبب لم تعرف اللغةُ المصرية للحياة والأبدية سوى كلمة واحدة هي : "عنخ" ، أي الحياة.
إن مصر أرضٌ مباركة ، دعا لها (آدم) و(نوح)، وجاءها (إبراهيم) أبو الأنبياء، وخرج منها (إسماعيل) جد العرب ، وتربى فيها (يوسف) الصديق ، وفيها مات، وولد فيها (موسى) ، وإليها لجأ (عيسى) إبن (مريم)، ومنها صاهر (محمد) خاتم الأنبياء المرسلين، عليهم جميعاً السلام.
إن مصر العظيمة لم تكن أرضَ كفرٍ وأصنام ، كما لم يكن ملوكُ مصر جبابرةً طغاة ، أما شعبُها السمح فلم ينفرد – دوناً عن شعوب الأرض كافة – بعراقته تاريخياً وعلمياً فحسب، بل تجسدت عراقته الفريدة أيضاً في الدين والأخلاق.
وإلى المصريين ينسب (جيمس هنري برستيد) "نحت" لفظ "الأخلاق" من مفهوم "الخلق"، فكانوا أولَ من ربط بين الأخلاق والخالق، وتبعهم بعد ذلك باقي الشعوب.
ولتجنب مشقة الإطلاع على عشراتٍ من شهادات علماء العالم– قدماء ومحدثين – عن مصر ومكانتها وفضلها، فإننا نكتفي هنا ببضع كلمات قالها عالمان، أحدهما ينتمي إلى العصر الحديث وهو العالم الفرنسي (س. ف. ديبوي)، الذي يقول : " إن مصر تشبه شجرةً قديمة قدم العالم، وقد رفعت رأسَها الشامخ من عماء الأبدية، وأثرت كلَ أجزاء العالم بمنتجاتها، وضربت بجذورها في عمق

أجيال البشر، متخذةً صوراً مختلفة ومظاهر شتى، لكنه جوهرٌ دائم يصعد مرتقياً إلينا متمثلاً في دينها وفضيلتها وعلمها".

أما (هرودوت) فيقول عن المصريين بعد زيارته لبلادهم في القرن الخامس قبل الميلاد :

" وهم في العلم يتفوقون كثيراً على كل الشعوب التي خبرتها ".

" وهم [المصريون] يزيدون كثيراً عن سائر الناس في التقوى ".

" والمصريون أيضاً هم أول من راعى السُنّة التي تحرم مجامعة النساء في المعابد، كما تحرم دخولها بعد الجماع دون اغتسال ".

" ولقد اكتشف المصريون من علامات الغيب أكثر من الشعوب قاطبة".

أما عن مصر نفسها فيقول (هرودوت) :

" والآن سأبدأ الكلام عن مصر في إسهاب، لأنها – دون غيرها من بلاد العالم أجمع – تحوي عجائب أكثر وآثاراً تجل عن الوصف ".

" لقد جاءت أسماء الآلهة كلها تقريباً من مصر إلى بلاد اليونان".

لم تكن أسماء الآلهة فقط هي التي انتقلت من مصر إلى اليونان، وبعدهم الرومان، وإنما العناصر الأساسية في مجمل الفكر الديني والفلسفي والعلمي لهاتين الحضارتين كانت عناصر مصرية بحتة أصيلة، وهذا – وغيره – ما سنراه تفصيلاً بين صفحات هذا الكتاب.

محمد أبو رحمة

اليهودية

" ولكم أيها المتقون اسمي تشرق شمس البر والشفاء في أجنحتها "

سفر ملاخي – التوارة

بنو إسرائيل اليهود العبرانيون

شاع بين الناس خلطُ مسمياتٍ ثلاث ببعضها البعض ، وهي في حقيقة الأمر مصطلحات ثلاث لابد من التمييز بينها.

يقول الدكتور (عبدالجليل شلبي) : " إننا نتحدث عن هذا الشعب بشيءٍ من التسامح في تسميته ، فنقول مرةً الشعب العبراني ، وثانيةً الشعب الإسرائيلي ، وثالثة اليهودي، مما يوهم أنها أسماء مترادفة وهي في واقعها ليست كذلك "[١].

لقد أُطلق اسم العبرانيين على آل (إبراهيم) الخليل ، الذين اجتازوا [عبروا] معه نهر الفرات [٢].

وحددت التوراة هؤلاء القوم فذكرت أنهم كانوا (تارح) وإبنه إبرام [إبراهيم]، و(ساراي) [سارة] زوجة (إبراهيم) ، و (لوط) حفيد (تارح) وإبن (هاران)، الذي كان قد توفي : " وأخذ (تارح) (إبرام) إبنه، و(لوط) إبن (هاران) إبن إبنه، (وساراي) كنته، إمرأة (إبرام) إبنه. فخرجوا معاً من (أور) الكلدانيين إلى أرض كنعان " [٣].

ومبدأ الأمر أن هؤلاء العبرانيين كانوا قوماً من "البدو" الساميين، من أعراب الجنوب الشرقي لشبه الجزيرة العربية، ثم ارتحلوا – كعادة البدو – إلى بلاد الرافدين [العراق] حيث سكنوا أولاً بلدة (حاران)، ثم انتقلوا فيما بعد إلى (أور) عاصمة البلاد.

وتحت وطأة غارات العيلاميين والأموريين ؛ إضطرت هذه القبيلة الصغيرة إلى ترك البلاد كلها قاصدةً أرض كنعان [فلسطين] [٤]. ويرى البعض أن الهجرة قد تمت في حوالي سنة ٢٠٠٠ قبل الميلاد [٥].

أما الإسرائيليون فهم أبناء (يعقوب) الإثنا عشر، الذين عُرفوا بالأسباط، ونسلهم، وسنتناول ذلك فيما بعد بشيء من التفصيل.

وإسرائيل هو اسمٌ لفرد واحد هو (يعقوب) نفسه، وهو لفظٌ عبراني يتكون من مقطعين "إسرا" بمعنى عبد أو "صفوة"، و"إيل" يعني الله [٦].

أما اليهود فهي تسمية دينية أُشتقت من اسم (يهوذا) ابن (يعقوب)، وذلك لاقتصار الرسالة الدينية عليه دون إخوته [٧].

ويمكننا إيجاز تاريخ بني إسرائيل ذوي الأصل العبراني والديانة اليهودية في النقاط الأساسية التالية :

أولاً : إقامتهم في مصر :

دخل بنو إسرائيل مصر ضمن قبائل الهكسوس، التي زحفت على البلاد إثر مجاعة ضربت مناطق غرب آسيا. وأمكن تحديد ذلك بعام ١٧٣٠ قبل الميلاد. وكان أول من دخل إلى مصر من بني إسرائيل [بنو يعقوب] النبي (يوسف).

وأثناء إقامة بني إسرائيل في مصر دارت أحداث قصة (موسى) عليه السلام، التي انتهت بخروجه على رأس قومه إلى شبه جزيرة سيناء، وتاهوا هناك أربعين عاماً. ثم توفي النبي (موسى) تاركاً قيادة بني إسرائيل إلى صفيه (يوشع) بن (نون)[٨].

ثانياً : احتلالهم أرض كنعان :

بعد خروج بني إسرائيل من مصر هاجموا أرض كنعان [فلسطين]، وبعد معارك ضارية وحرب إبادة استطاعوا فرض سيطرتهم على البلاد، ثم اقتسم الأسباط الأرض فيما بينهم، وهكذا عرف بنو إسرائيل الاستقرار. إلا أنهم ظلوا على نظامهم البدوي [القبلي]، فقد اختار كل سبط منهم زعيماً لهم، وأسموا رؤسائهم هؤلاء "قضاة". وقد بلغ عددُ هؤلاء القضاة خمسة عشر قاضياً، حكموا بني إسرائيل لمدة أربعمائة سنة، كما تقول التوراة، أو مائة عام كما يقول بعضُ المؤرخين[٩].

وعن عهد القضاة يقول (جيمس هنري برستيد) : " كانت الحياة العبرانية القومية لا تزال خاملة لا تكاد تعرف شيئاً من الحكم المركزي أو النظام القومي. فقد كان العبرانيون لا يزالون متأثرين كل التأثر بحياة القرون الطويلة التي قضوها في الرعي وتلمس الكلأ على حدود الصحراء، قبل أن يدخلوا فلسطين، فكانوا لا يزالون متمسكين بالعادات الساذجة المتبربرة الشائعة بين قبائل الصحراء، بل ببعض التقاليد القريبة من الوحشية التي تلازم الحياة الفطرية، مثل ذبحهم الولد البكر قرباناً لإله القبيلة"[١٠].

وقد انتهى عهد "القضاة" هذا بفوضى أدت إلى ثورة، كانت إرهاصاً لعهد جديد ومختلف.

ثالثاً : عصر الدولة :

كان آخر حكام بني إسرائيل من القضاة يدعى (صموئيل)، وفي نهاية حكمه طالبه بنو إسرائيل بأن يقيم ملكاً لهم مثل ما لجيرانهم : " فأبى الشعب أن يسمع لصوت (صموئيل) وقالوا لا بل يكون علينا ملك. فنكون نحن أيضاً مثل سائر الشعوب.. " [١١].

فاختار هذا القاضي رجلاً يدعى (شاؤول) ملكاً لهم. وهكذا صار (شاؤول)، أو (طالوت) كما ذكر القرآن، أولَ ملكٍ في دولة بني إسرائيل، التي قامت حوالي عام ١٠٩٥ قبل الميلاد [١٢].

وخلف (شاؤول) أحدُ رجاله، وهو النبي (داود) [١٣]. وقد تميز عهده الذي دام ستين عاماً بكثرة الحروب، التي انتهت بهيمنته على (أورشليم) [القدس]، واتخاذه لها عاصمة لدولته[١٤].

وبعد وفاة (داود) تولى إبنُه (سليمان) الحكمَ مكانه، واستمر حكم (سليمان) مدة أربعين سنة، ويُعرف عهد (شاؤول) و(داود) و(سليمان) بعهد الملوك الأول.

وحدث بعد وفاة (سليمان) [حوالي ٩٧٥ ق. م] أن إبنه (رحبعام) لم يحظ إلا بمبايعة سبطين من أسباط بني إسرائيل الإثني عشر. أما الأسباط العشرة الآخرون فقد اختاروا (يربعام) ليكون ملكاً عليهم[١٥].

فصار هناك حاكمان على رأس مملكتين لبني إسرائيل، إحداهما في الجنوب وعاصمتها (أورشليم)، والأخرى في الشمال وعاصمتها (السامرة)[١٦].

وعن الأوضاع السياسية في هاتين الدولتين يقول د. (أحمد شلبي) : " كانت دولة (إسرائيل) تمثل أغلبية الأسباط، وكانت أوسع رقعة من دولة (يهوذا)، ولكن دولة (إسرائيل) كانت مضطربة، كثيرة الانقلابات، في حين كانت دولة (يهوذا) أكثر استقراراً. ومن أجل هذا تقلب على عرش (إسرائيل) ملوك من أسر متعددة، وتغيرت عاصمتها مع الانقلابات. أما (يهوذا) فقد ظل المُلك بها في سلسلة متصلة من ذرية (سليمان) وظلت عاصمتها (أورشليم)[١٧].

وبينما استمرت دولة (يهوذا) قائمة طيلة ٤٠٠ سنة، ثم انهارت تحت وطأة ضربات الملك البابلي (بختنصر)، عام ٥٨٦ قبل الميلاد، نجد أن دولة إسرائيل كانت أسرع بالانهيار، فقد أسقطها الملك الأشوري (سرجون) عام ٧٢١ ق.م[١٨].

وقد عُرف هذا العهد بعهد الملوك الثاني، الذي تميز بكثرة الإضطرابات الداخلية وانتشار الفتن، وكان الضعف قد بدأ يسري في أوصال دولة بني إسرائيل في أواخر عهد (سليمان) نفسه، ويضيف (برستيد) سبباً هاماً آخر لانهيار هذه الدولة، فيصف موقع أرض (كنعان) [فلسطين] بقوله : " (فلسطين) كانت قديماً كما هي الآن : كرة قدم دولية "[١٩].

ويفصل (ويلز) هذا الوصف فيقول : ".. أصبح تاريخ ملوك (إسرائيل) وملوك (يهوذا) تاريخ ولايتين صغيرتين بين شقي الرحى، تعركهما على التوالي سوريا ثم بابل من الشمال، ومصر من الجنوب "[٢٠].

رابعاً : النهاية

بعد أن أزال الأشوريون مملكة(إسرائيل) من الوجود، وبعد تدمير البابليين لمملكة (يهوذا) ؛ لم تقم لبني إسرائيل قائمة في فلسطين، التي صارت تحكم حكماً أجنبياً دائماً من دول مختلفة، فقد توالى على حكم فلسطين : البابليون [٥٨٦ – ٥٣٨ ق. م]، وتبعهم الفرس [٥٣٨ - ٣٣٠ ق. م]، ثم أعقبهم اليونانيون [٣٣٠ - ٣٢٣ ق. م]، فالبطالمة [٣٢٣ - ٢٠٠ ق. م]، ثم السلوقيون [٢٠٠ - ١٦٧ ق. م]، فالسلوقيون والمكابيون [١٦٧ - ٦٣ ق.م]، ثم الرومان [٦٣ ق. م – ٦١٤ ميلادية] [٢١].

العقيدة اليهودية

لليهود كتابٌ مقدس أساسي هو التوارة . والتوراة كلمة سامية عبرية تعني الشريعة، وهي تطلق على خمسة أسفار تُنسب لـ(موسى)، وهي التكوين واللاويين والخروج والعدد والتثنية.

وتبدأ من أصل الكون، وتنتهي بدخول اليهود أرض كنعان(٢٢) [فلسطين]. وتتناول الأسفار الخمسة، أي كتب (موسى)، قصص خلق العالم والإنسان، والطوفان، وقصص الأنبياء، وإقامة بني إسرائيل في مصر، وخروجهم منها، كما تشتمل كذلك على التقاليد والعبادات، وغير ذلك من المسائل الدينية وطقوسها، وكذلك بيان تعداد أسباطهم بالتفصيل. ويضاف إلى هذه الأسفار الخمسة أربعة وثلاثون سفراً كتبت بعد (موسى)(٢٣).

ويعلق (موريس بوكاي) على أسفار (موسى) الخمسة، فيقول بأنها مجموعة من " أقوال موروثة مختلفة، جمعها – بشكل يقل أو يزيد حذقاً – محررون وضعوا تارة ما جمعوا جنباً إلى جنب، وطوراً غيروا من شكل هذه الروايات بهدف إيجاد وحدة مركبة، تاركين للعين أموراً غير معقولة وأخرى متنافرة " (٢٤).

ويؤيد رأيه في ذلك ما جاء في بيان المجمع المسكوني للفاتيكان الثاني (١٩٦٢ – ١٩٦٥) : " غير أن هذه الكتب تحتوي على شوائب وشيء من البطلان"(٢٥).

وقد قام عددٌ من علماء الدين اليهود في القرنين الميلاديين الأول والثاني بتأليف كتابٍ آخر لتفسير التوراة اُشتهر باسم التلمود، وظل هؤلاء يضيفون إلى التلمود روايات أخرى حتى صار يتكون من ثلاثة وستين سفراً(٢٦).

وقد انقسم اليهود إلى عدة فرق، كان أشهرها : فرقة "الفريسيين"، واسم الفرقة يعني الذين انفصلوا أو انعزلوا عن بقية الشعب، وأفراد هذه الفرقة يتمسكون بالتعاليم النصية ويرفضون مبدأ الاجتهاد في هذه النصوص، كما أنهم يؤمنون بالبعث والحساب والجزاء، ويؤرخ لنشأة هذه الفرقة بالقرن الثاني قبل الميلاد.

أما فرقة "الصدوقيين" فقد اكتسبت هذا الاسم من أحد الكهان الذي كان يُدعى (صدوق)، وعاش في القرن الثالث الميلادي. وأهم ما يميز عقيدة هذه الجماعة هو إنكارُ "التلمود"، كما أن أتباع فرقة الصدوقيين لا يجعلون من قدسية التوراة قدسية مطلقة.

أما ما يهمنا هنا – بالنسبة لموضوع هذا البحث – فهو عدم إقرار هذه الجماعة بوجود بعثٍ وحساب وجزاء.

وهناك أيضاً فرقة "الكتبة" التي كان يقوم أفرادها بنسخ الكتاب المقدس(٢٧).

وعن الإله أو الآلهة التي عبدها بنو إسرائيل فقد يكون من الأفضل هنا أن نورد أقوال بعض العلماء.

يقول (هنري برستيد) : " فيما هذا الشعب المضطهد في بلاد عدوانية ؛ كان لابد من ظهور قائد زعيم عبقري (..) وضع نصب عينيه تخليص مواطنيه من العبودية (..) هذا المشروع السياسي كان سيتم بإيحاء ديني باسم إله جديد ".

أما (فوستر كنت) فيقول : " إن (موسى) حاول أن يُكوّن أمةً من الجماعات التي تبعته، وقد وجد ألا مناص من تحديد إله يرعى جموعهم وتعبده الجموع، ويتم بينه وبين بني إسرائيل نوع من المنفعة المتبادلة، ويرتبط مصيرهما بالأخر ارتباطاً دقيقاً، وتبعاً لذلك أعلن (موسى) "يهوه" إلهاً لبني إسرائيل " (٢٨).

أما (جان بوتيرو) فيقول : " نحن أمام حال اجتماعية قبلية بدوية، لم تكد تستقر على الأرض التي اغتصبتها وتتعلم من جيرانها أساليب المدنية ؛ حتى جاء من حطم غرورها وأبعدها بالقوة"(٢٩).

ويقول (برستيد) : " فإن هذا الشعب لم يقم له نظام قومي خالص إلا منذ العشر أو العشرين سنة السابقة لعام ١٠٠٠ قبل الميلاد، ولم يبق أمة موحدة إلا نحو قرن واحد على أكبر تقدير " (٣٠).

ثم يضيف : " أخذ بنو إسرائيل كل شيء وتعلموا كل شيء من الكنعانيين بما في ذلك لغتهم ".

ونقرأ في "سفر القضاة" [من كتاب اليهود المقدس] أن الإسرائيليين أقاموا بين الكنعانيين "وعبدوا آلهتهم "(٣١).

ويقول (ديورانت) : " يبدو أن الفاتحين اليهود عمدوا إلى أحد آلهة كنعان فصاغوه في الصورة التي كانوا هم عليها، وجعلوا منه إلهاً"[٣٢].

ويكمل (برستيد) : " لم يقتصر الأمر على آلهة الكنعانيين، بل أضيفت إليهم – مع تطور العلاقات مع الدول المجاورة – بعض آلهة الفينيقيين والسوريين مثلاً" [٣٣].

يوسف المصري

وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ ﴿١٠٠﴾

سورة يوسف آية ١٠٠

بنو إسرائيل في مصر

" أكان هو غضبُ الله، حين باغتنا قومٌ ذو أصلٍ وضيع من ربوع الشرق، فغزوا بلادَنا ولم يجدوا مشقةً في إخضاعها بالقوة، وإن كان قد تم لهم ذلك دون التحامٍ معهم في معركة، فلما فرغوا من فرضِ هيمنتهم على حكامِنا عمدوا إلى مدننا فأحرقوها وهدموا معابدَ الآلهة، واستغلوا الناس استغلالاً وحشياً، فقتلوا من قتلوا ثم ساقوا بنيهم وأزواجَهم أسرى "(٣٤).

كان هذا هو تعليق المؤرخ المصري [القديم] "(مانيتون)" (٣٥) وهو يسجل أحداثَ فترةٍ تاريخية عصيبة، تم خلالها احتلالُ مصر لأول مرةٍ في التاريخ، ولم يكن المحتلون سوى خليطٍ غريب من أقوام رعوية، عضها الجوع إثر مجاعةٍ ضربت مناطقَ غربِ آسيا، فاندفع أهلُ هذه المناطق في أمواج هائلة من البشر متجهين حيث الرزق الوفير والزاد الكثير... في أرض مصر. وقد عُرف هؤلاء البدو الجوعى في التاريخ باسم "الهكسوس".

وكان غزو الهكسوس لمصر قد بدأ بتسللهم إلى شرق الدلتا، ثم أخذوا يفرضون سلطانَهم على الدلتا كلها، واتخذوا لهم هناك عاصمة عُرفت باسم (أورايوس)، وهي تسمية محرفة للاسم المصري [لقديم] حت وعرت، أي "هوارة" اليوم(٣٦).

وما لبث هؤلاء الحكام البدو أن تشبهوا بملوك البلاد الأصليين، وكذلك اتخذوا ألقابهم وكونوا أسرتين حاكمتين هما "الرابعة عشرة والخامسة عشرة"(٣٧)، حكمتا البلاد فيما بين عام ١٧٣٠ و١٥٨٠ قبل الميلاد(٣٨).

وقد تزامن غزو الهكسوس لمصر مع هجرة بني إسرائيل إليها، وهو ما أشارت إليه التوراة وربطت ذلك بحدوث المجاعة التي ذكرناها سابقاً.

تقول التوراة : " فكان جوعٌ في جميع البلدان. وأما جميعُ أرضِ مصر فكان فيها خبز "(٣٩).

ثم كان نزوح جماعي لسكان غرب آسيا : " وجاءت كلُ الأرض إلى مصر.."(٤٠).

ومن بين هؤلاء كان بنو إسرائيل [يعقوب] : " فلما رأى (يعقوب) أنه يوجد قمح في مصر قال (يعقوب) لبنيه لماذا تنظرون بعضكم إلى بعض. وقال إني

سمعت أنه يوجد قمح في مصر. انزلوا إلى هناك واشتروا لنا من هناك لنحيا ولا نموت "[٤١].

وبينما لا يرى المؤرخ اليهودي "يوسيفوس" فرقاً بين الهكسوس وبين بني إسرائيل[٤٢] يذكر المؤرخ الإسلامي (ابن كثير) أن ملك مصر حين دخلها (يوسف) بن (يعقوب) كان (الريان) بن (الوليد)، الذي ينسبه (ابن كثير) إلى العماليق، والعماليق هم نفسهم الهكسوس[٤٣].

وبالإضافة إلى ما ذكره (مانيتون) من أسماء لهؤلاء الحكام الأجانب البدو الآسيويين ؛ فإنه تم العثور على شواهد أثرية أخرى تحمل أسماء بعض هؤلاء مثل : (أبوفيس) و (خيان)[٤٤].

ويذكر الأستاذ (سليم حسن) أن (مانيتون) – المؤرخ المصري – ذكر ستة أسماء لملوك هكسوس كونوا الأسرة الخامسة عشرة، وهناك اثنان وثلاثون غيرهم ضمتهم الأسرة السادسة عشرة، أما الأسرة السابعة عشرة فتكونت من ثلاثة وأربعين حاكماً هكسوسياً[٤٥].

ويرجع كثرة هذا العدد من هؤلاء الحكام – في رأينا – إلى سببين :

أولاً : النزاع المستمر بين زعماء قبائل الهكسوس للسيطرة على أوسع مساحة ممكنة من رقعة الأرض، التي تكفل لهم موارد الكلأ والماء، وهو ما اعتاده هؤلاء البدو.

ثانياً : إن هذا العدد الضخم من الحكام لم يكن يمثل سوى عدد زعماء هذه القبائل وشيوخ تلك العشائر البدوية، الذين لم يعتادوا العيش في وحدة سياسية في ظل دولة ذات مؤسسات حاكمة.

وكان (يوسف) – عليه السلام – أول من دخل مصر من بني إسرائيل، وهو (يوسف) بن (يعقوب) [إسرائيل] بن (إسحق) بن (إبراهيم). وكان أبوه (يعقوب) قد تزوج من ابنتي خاله، فأنجب منهما ومن جاريتين لهما اثني عشر ولداً كان من بينهم النبي (يوسف).

وتبدأ التوراة قصة (يوسف) بأن : " وأما (إسرائيل) فأحب (يوسف) أكثر من سائر بنيه لأنه إبن شيخوخته.."[٤٦]، فلما رأى أخوة (يوسف) حب أبيه له وإيثاره دونهم : " أبغضوه ولم يستطيعوا أن يكلموه بسلام "[٤٧].

ومن آيات القرآن الكريم نعلم أن (يوسف) قد حلم ذات يوم حلماً، فذهب ليرويه لأبيه :

(يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين) [٤٨].

وكان رد فعل أبيه (يعقوب) هكذا : " فانتهره أبوه وقال له ماهذا الحلم الذي حلمت. هل نأتي أنا وأمك وإخوتك لنسجد لك إلى الأرض. فحسده أخوته. وأما أبوه فحفظ الأمر"[٤٩].

ولكن إخوة (يوسف) كان لهم رأيٌ آخر : (إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة إن أبانا لفي ضلالٍ مبين. اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضاً يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوماً صالحين)[٥٠].

وذات يوم مضى هؤلاء الأخوة ليرعوا غنم أبيهم، فأرسل (يعقوب) إبنه (يوسف) إليهم : " فلما أبصروه من بعيد قبلما اقترب إليهم احتالوا له ليميتوه "[٥١]، ولكن أخاه (رأوبين) اعترض على قتله :

(قال قائلٌ منهم لا تقتلوا يوسف وألقوه في غيابت الجب يلتقطه بعض السيارة إن كنتم فاعلين)[٥٢].

وهكذا إتفقوا على ذلك وألقوا بأخيهم في غيابات الجب "ثم جلسوا ليأكلوا طعاماً، فرفعوا عيونهم ونظروا وإذا قافلة إسمعيليين مقبلة من جلعاد "[٥٣].

فاقترح أحد الأخوة، وكان يدعى (يهوذا)، بيع الصبي للإسماعيليين. أما الثمن الذي قبضه إخوة (يوسف) من الإسماعيليين فلم يزد على "عشرين فضة"[٥٤].

وهو الأمر الذي يؤكده القرآن أيضاً حين باع هؤلاء الإسماعيليون الصبي :

(وشروه بثمنٍ بخسٍ دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين)[٥٥]

يوسف في مصر

وهكذا جيء بـ(يوسف) إلى مصر، وتكمل التوراة قصة سيدنا (يوسف) : " وأما (يوسف) فأُنزل إلى مصر واشتراه (فوطيفار) خصيّ فرعون رئيس الشرط رجل مصري من يد الإسمعيليين الذين أنزلوه إلى هناك "[٥٦].

وكانت هذه مشيئة الله : (وكذلك مكنّا ليوسف في الأرض ولنعلمه من تأويل الأحاديث)[٥٧]، والأرض هي مصر التي تلقى فيها (يوسف) العلم والحكمة : (ولما بلغ أشده آتيناه حكماً وعلماً)[٥٨].

وكان العلم والحكمة وكذلك تأويل الأحاديث هو الذي أنقذ (يوسف) فيما بعد من سجنه، الذي سيق إليه بعد قصة الإغواء الشهيرة، فقد حدث : " بعد هذه الأمور أن امرأة سيده رفعت عينيها إلى (يوسف) وقالت اضطجع معي "[٥٩].

وألحت المرأة عدة مرات على (يوسف) حتى أنها ذات يوم أمسكت به " قائلة اضطجع معي، فترك ثوبه في يدها وهرب وخرج إلى خارج "[٦٠].

وهنا انقلب تدله المرأة بـ(يوسف) إلى حقد عليه، حتى : " أنها نادت أهل بيتها وكلمتهم قائلة انظروا. قد جاء إلينا برجل عبراني ليداعبنا "[٦١].

وفي هذه المرة أُلقي بـ(يوسف) إلى غيابات السجن، وأثناء وجود (يوسف) بالسجن حدث : " أن ساقي ملك مصر والخباز أذنبا إلى سيدهما ملك مصر. فسخط فرعون على خصييه رئيس السقاة ورئيس الخبازين .

فوضعهما في حبس بيت رئيس الشرط في بيت السجن المكان الذي كان (يوسف) محبوساً فيه "[٦٢].

وذات ليلة حلم كلٌ من الساقي والخباز حلماً كان سبباً في اضطرابهما، فلما رآهما (يوسف) سألهما عن سر تبدل حالهما، فروى كلٌ منهما حلمه له، فطمأن (يوسف) الساقي وبشره بعفو الملك عنه وعودته إلى مقامه الأول بعد ثلاثة أيام، أما الثاني فقال له : " في ثلاثة أيام أيضاً يرفع فرعون رأسك عنك ويعلقك على خشبة وتأكل الطيور لحمك عنك "[٦٣].

ثم طلب (يوسف) من الساقي أن يذكره عند سيده، أي يذكر له وجود (يوسف) بالسجن دون إثم ارتكبه، ولكن الساقي ينسى (يوسف) وما كان من أمره (فلبث في السجن بضع سنين)[٦٤].

وحدث بعد سنتين من الزمان " أن فرعون رأى حلماً "[٦٥]. وكان حلم فرعون عبارة عن : (سبع بقراتٍ سمانٍ يأكلهن سبعٌ عجافٌ وسبع سنبلاتٍ خضرٍ وأُخر يابسات)[٦٦].

أزعج الحلم الفرعون فإلتفت لمن حوله سائلاً إياهم تفسيرَ الحلم، فأجابوه : (أضغاث أحلامٍ وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين)[٦٧].

وهنا تذكر ساقي الملك رفيقه بالسجن الذي فسر له حلمه : (وقال الذي نجى منهما وادكر بعد أمةٍ أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون)[٦٨].

" فأرسل فرعون ودعا (يوسف). فأسرعوا به من السجن. فحلق وأبدل ثيابه ودخل على فرعون"[٦٩].

ففسر (يوسف) الحلم للفرعون، ولكنه لم يكتف بذلك، بل أسدى إليه بالنصح : (قال تزرعون سبع سنين دأباً فما حصدتم فذروه في سنبله إلا قليلاً مما تأكلون. ثم يأتي من بعد ذلك سبعٌ شدادٌ يأكلن ما قدمتم لهنّ إلا قليلاً مما تحصنون. ثم يأتي من بعد ذلك عامٌ فيه يغاث الناس وفيه يعصرون)[٧٠].

وسر الفرعون ومن حوله بكلام (يوسف) : " فحسن الكلام في عيني الفرعون وفي عيون جميع عبيده . فقال فرعون لعبيده هل نجد مثل هذا رجلاً فيه روح الله . ثم قال فرعون لـ(يوسف) بعدما أعلمك الله كل هذا ليس بصير وحكيم مثلك. أنت تكون على بيتي وعلى فمك يقبل جميع شعبي إلا أن الكرسي أكون فيه أعظم منك . ثم قال فرعون لـ(يوسف) انظر . قد جعلتك على كل أرض مصر "[٧١].

ولم يكتف الفرعون بذلك بل كافأ (يوسف) مكافأة عظيمة : "وأعطاه (إسنات) بنت (فوطي فارع) كاهن (أون) زوجةً "[٧٢]. ومرت سنوات الرخاء السبع، " وابتدأت سبع سني الجوع تأتي كما قال (يوسف) "[٧٣].

ولكن فيما يبدو أن المجاعة الناتجة عن جفاف الأرض كانت قد داهمت قطاعات عريضة شرقي البلاد.. أي غرب آسيا وطالت أيضاً آل (يوسف) في فلسطين، فلما حاق بهم الخطر ارتحلوا جميعاً إلى مصر بما فيهم (يعقوب) [إسرائيل] نفسه :

" جميع النفوس لـ(يعقوب) التي أتت إلى مصر الخارجة من صلبه ماعدا نساء بني (يعقوب) ست وستون نفساً. وابنا (يوسف) اللذان ولدا له في مصر نفسان. جميع نفوس بيت (يعقوب) التي جاءت إلى مصر سبعون "[٧٤].

" وعاش (يعقوب) على أرض مصر سبع عشرة عاماً "[٧٥] قبل أن يتوفاه الله، ومات إبنُه (يوسف) أيضاً في مصر ودفن بها.

وهنا نتوقف لنسجل عدة ملاحظات على قصة (يوسف) وآله في مصر :

أولاً : دخول (يوسف) مصر صبياً صغيراً لا يملك من أمر نفسه شيئاً، وهو ما يتضح من نسيج بدايات قصته، وهو ما يُفهم أيضاً من رواية القرآن، إلا أن التوراة تأبى إلا المخالفة فتحدد عمر (يوسف) حينذاك بسبعة عشر عاماً.

ثانياً : كان دخول (يوسف) – على ما يبدو – في نهاية حكم أسرة مصرية صميمة، وكان ذلك قبل بدء المجاعة والجفاف، وهو ما شهدت به التوراة نفسها، وهذا يعني أن (يوسف) جاء – أو جيء به - إلى مصر قبل حكم الهكسوس، وكان دخوله إلى البلاد طبيعياً وآمناً في ظل ظروف سياسية غير مضطربة، إذ حملته قافلة اعتادت دخول مصر للتجارة.

وقد وصلتنا وثيقة مصرية [قديمة] تثبت أن المصريين كانوا يقومون بتأمين طرق هذه القوافل التجارية، حتى بعد تجربة الهكسوس المريرة، وهذا ما يتضح من نص هذه الوثيقة التي تعود إلى القرن الثالث عشر قبل الميلاد، إذ أرسل أحد الموظفين تقريراً إلى الملك يقول فيه : "هنا خبر آخر لصاحب الجلالة، لقد سمحت للبدو القادمين من (أيدوم) بالمرور.. حتى مستنقعات (بيرانتي) في منطقة (تيكو) لمساعدتهم بالحفاظ على حياتهم وحياة مواشيهم "[٧٦].

ثالثاً : باعت القافلة التجارية (يوسف) لموظف مصري كبير يدعى (فوطيفار)، وقد حرص هذا الرجل على أن يتلقى (يوسف) تعليماً مصرياً وأن ينشأ نشأة مصرية، وعاش (يوسف) آمناً هانئاً في كنف الرجل الكريم، حتى حدث ما حدث بين (يوسف) وبين زوجة سيده.

ويربط (جيمس هنري برستيد) بين هذا الجزء من قصة (يوسف) وبين قصة من الأدب المصري القديم هي قصة الأخوين، فيقول : " ويبلغ مغزى هذه القصة الجميلة [يقصد قصة (يوسف)] قمته في الثبات الخلقي، الذي كانت تنطوي عليه نفسية ذلك الشاب المبعد عن وطنه، فنراه وهو غريب في بلدة أجنبية يجازف بحياته محافظةً على سلامة أخلاقه وطهارتها (..) ومن الحقائق

المدهشة أن هذه الحادثة التي توجت القصة كلها بتاج الفخر مستقاة من قصة مصرية قديمة شعبية كانت – لابد – قد انتشرت في فلسطين الكنعانية "[٧٧].
وبدخول (يوسف) السجن يكون فصلٌ من روايته قد انتهى وبدأ فصلٌ جديد مختلف.

فعلى ما يظهر أن الهكسوس اجتاحوا مصر أثناء وجود (يوسف) بالسجن، ويبدو أيضاً أن الظروف السياسية في هذه الأثناء قد اضطربت، وهو ما نلمحه في قصة زميلي (يوسف) بالسجن.. وهو ما يوحي بوجود مؤامرة على حياة الملك نفسه، إذ كان أحد هذين النزيلين مسئولاً عن شراب الملك وكان الأخر مسئولاً عن طعامه أو خبزه على حد قول التوراة، وقد أُدين أحدهما بالفعل.
وفي السجن وأثناء حوار بين (يوسف) ورفيقيه من موظفي الفرعون، أورد القرآن عبارة على لسان (يوسف)، إذ يرجع (يوسف) قدرته على تفسير حلمهما إلى ما علمه له ربه : (ذلكما مما علمني ربي) ثم يضيف (.. إني تركت ملة قومٍ لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون)[٧٨]. وقد لا نتعب أنفسنا كثيراً لمعرفة من هم هؤلاء القوم الذين ترك (يوسف) ملتهم، ولكن لابد أن نتوقف أمام جوهر إيمان هؤلاء القوم، فهم لا يؤمنون بالله، وهم كافرون بالآخرة.
وما يهمنا هنا أن (يوسف) لم يكن يقصد المصريين بالذين أشار إليهم "بالقوم"، حتى إذا اختلفنا حول شكل الإله الذي كان المصريون يؤمنون به، فإننا – وغيرنا – لا نستطيع الاختلاف حول عدم كفر المصريين بالآخرة. فلو أننا بحثنا عن موطن لفكرة الخلود والبعث والحساب بعد الموت لم نجد في أرجاء الدنيا – وعلى مر العصور – سوى مصر، فقد آمن المصريون منذ فجر تاريخهم بالآخرة – كما سنوضح فيما بعد تفصيلاً.
وما ذكره (يوسف) – في القرآن – من إيمانه بالآخرة – قام بتطبيقه عملياً – بنص التوراة، بل وعلى الطريقة المصرية الصحيحة، ولنقرأ سوياً ما فعله (يوسف) عند وفاة أبيه (يعقوب) [إسرائيل]، يقول كاتب التوراة : " وأمر (يوسف) عبيده الأطباء أن يحنطوا أباه "[٧٩].
لم تخبرنا التوراة قبل ذلك عن عملية تحنيط واحدة أُجريت لأحدٍ من بني إسرائيل أو العبرانيين. ولكن التحنيط كان عملاً تطبيقياً لمبدأ أصيل من مباديء العقيدة الإيمانية المصرية، وكان ركناً أساسياً في الطقوس الدينية المصرية الأخروية، التي كان يجريها الكهنة، أي رجال الدين المصريين.

ثم تقول التوراة : " فحنط الأطباء إسرائيل. وكمل له أربعون يوماً. لأن هكذا تكمل أيام المحنطين "[٨٠].

وهكذا صرحت التوراة بأن أيام المحنطين تكمل باليوم الأربعين، وأظن أننا لسنا بحاجة لذكر أن يوم الأربعين [بعد الوفاة] مازال طقساً مصرياً خالصاً حتى اليوم، يحرص مسلمو مصر ومسيحيوها على أدائه.

ثم تبين التوراة " وبكي عليه المصريون سبعين يوماً "[٨١].

والسبعون يوماً هي المدة الزمنية التي كانت تشتمل عملية التحنيط والطقوس المصاحبة لها، وهي فترة زمنية محددة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالعقيدة المصرية [القديمة]، وهي الفترة التي يغيب فيها نجم الشعرى اليمانية عن السماء ثم يعود [يُبعث] من جديد. وهو ما سنعود إليه عند الحديث عن هذا النجم.

هكذا إذن تمت عملية تحنيط (يعقوب) [إسرائيل].

فلما عزم (يوسف) على دفن أبيه لم يجد بُداً من اصطحاب المصريين لإتمام ما بدأوه : " فصعد (يوسف) ليدفن أباه. وصعد معه جميع عبيد فرعون شيوخ بيته، وجميع شيوخ أرض مصر"[٨٢].

ومضى المصريون يؤدون مهمتهم الدينية : " فأتوا إلى بيدر أطاد الذي في عبر الأردن وناحوا هناك نوحاً عظيماً وشديداً جداً. وصنع لأبيه مناحة سبعةِ أيامٍ. فلما رأى أهلُ البلاد الكنعانيون المناحة في بيدر أطاد قالوا هذه مناحةٌ ثقيلة للمصريين "[٨٣].

كانت هذه "المناحة" أو "التراتيل" يعرفُها أهلُ البلاد الأجنبية بأنها مصريةٌ. وكان (يوسف) قد دفن أباه في أرض كنعان بناءً على وصيته، ولكن (يوسف) نفسه لم يُدفن هناك.. بل دُفن في أرض مصر بعد أن تم تحنيطه هو أيضاً. " ثم مات (يوسف) وهو ابن مائة وعشر سنين. فحنطوه ووُضع في تابوتٍ في مصر"[٨٤].

فإذا عدنا إلى السجن مرةً أخرى، نجد أن الفرعون قد استدعى (يوسف) إلى بلاطه : " فأرسل فرعون ودعا (يوسف) فأسرعوا به من السجن فحلق وأبدل ثيابه ". هكذا كان (يوسف) حريصاً على أن "يحلق"، وهو ابن الحضارة المصرية أو المنتمي إليها حتى في مظهره، فكان حرصه على أن "يحلق" ليس سوى ممارسة للعادة المصرية التي اكتسبها أو شب عليها، وهي عادة تمسك بها الكهنة بالذات.

يقول (هيرودوت) : " وفي غير مصر يطلق كهنة الآلهة شعورهم، أما في مصر فيحلقونها "[٨٥].

فإذا انطلقنا مع (يوسف) من سجنه وذهبنا إلى بلاط ذلك الملك، الذي أزعجه حلمٌ رآه في منامه فطلب تفسيراً له ممن حوله، فأعلنوا جهلهم بهذا العلم، لأنهم – ومليكهم – لم يكونوا مصريين ليعرفوا مثل هذه العلوم، أما (يوسف) [المصري] فكان يعلم ذلك، كما كان المصريون يعلمونه ويدرسونه ويطبقونه عملياً، بل وصلوا في هذا الشأن إلى حد تشخيص الأمراض النفسية من خلال تفسير الأحلام، وفي هذا يقول د. (عبدالمحسن الخشاب) : " وكانت وسيلة الإتصال بالقوى الروحانية العليا عن طريق روحي، بالتنويم في المعبد وظهور الإله نفسه للمريض، ووصفه لهم الدواء. وكانت أحلامهم هذه عبارة عن تشخيص للمرض، وكان المفسرون لهذه الأحلام الكهنة الرسميين في المعبد، وغيرهم من مفسري الأحلام ومن غير سلك الكهنوت "[٨٦].

وهذا ما نراه أيضاً في إحدى الأساطير المصرية [القديمة] التي تحكي عن زوجة ولي العهد العاقر التي ذهبت إلى المعبد ونامت هناك، فتجلى لها طيف الله في منامها وقدم لها نصيحة مناسبة، استطاعت بعدها الإنجاب[٨٧].

ولم يقم (يوسف) بتفسير حلم الملك فحسب، بل أرشده أيضاً إلى الطريقة السليمة لتخزين القمح، وهو ما كان "الفلاحون" المصريون يقومون به خلال عهود طويلة سبقت (يوسف)، وهو ما كان يجهله حكام مصر البدو [الهكسوس]. فقد وصلنا من زمن الأسرة العاشرة ما كتبه (خيتي الثاني)، فقال :

" إنني غني بقمح الشمال حيث كانت الأرض في جفاف، فأعشت مدينتي وأذنت للصغير أن يحمل لنفسه من قمح الشمال مع زوجته، وللأرملة مع ولدها، ونزلت عن الضرائب التي وجدت آبائي قدروها "[٨٨].

ومن عصر الأسرة الحادية عشر نقرأ الوثيقة التالية :

" لقد كلت قمح الصعيد، الذي يحيي تلك المدينة بأسرها، في قصر الحاكم أمير الكهان (جفاي)، في سنين الضيق والشدة"[٨٩].

ويروي (أميني) من الأسرة الثانية عشرة : " وكان أن حدثت أعوام المجاعة، فكان أن حرثت الحقول من إقليم الوعل حتى تخومه الجنوبية والشمالية، وأعشت أهله وكفيته غذاءه فلم يبق جائع فيه، إذ أعطيت الأيم كالسيدة ذات الزوج ولم أميز عظيماً على صغير "[٩٠].

إن هذه الوثائق التاريخية – التي تعود إلى زمن يسبق وجود (يوسف) بمصر بسنوات قليلة – لهي دليلٌ دامغ على أن المصريين– وهم مجتمع ذو حضارة زراعية عريقة – كانوا يقومون بتخزين القمح في زمن القحط أو المجاعات. وهذه الوثائق تشهد أيضاً للمصريين بخبرة طويلة وإدارة حسنة. ولم تولد هذه الخبرة فجأة، بل إنها امتدت إلى آلاف من السنين لم تسبق دخول بني إسرائيل مصر فحسب، بل وجودهم ذاته على كوكب الأرض. فقد تم العثورُ على مطامير لتخزين الحبوب في مدينة (الفيوم)، يبلغ عددها ١٦٥ مخزناً، ويعود تاريخُها إلى الألف الخامسة قبل الميلاد(٩١).

وفي مكانٍ آخر بـ(الفيوم) أيضاً عُثر على مطامير يعود تاريخها إلى أربعة آلاف سنة قبل الميلاد(٩٢).

وعن أسلوب صُنع هذه المطامير يقول د.(إبراهيم يوسف الشتلة) إن : " المصريين خرجوا بمطامير غلالهم عن منطقة المساكن، وحفروها فوق ربوة عالية بعض الشيء بعيدة عن مساكنهم، ورتبوها في ساحتين ترتفع إحداهما عن مستوى الأخرى، وحفروا كل مطمورة فيها على هيئة مستديرة، تفاوت قطرها بين القدم والثلاثة أقدام، وكسوا قاعها وجوانبها بأغشية من الخوص والقش والحصير وأعواد الأثل، كانوا يكسون جدرانها في أغلب الأحوال بالطين، واحتفظت مطاميرهم ببقايا نادرة من القمح والشعير وبذور الكتان ونباتات أخرى "(٩٣).

كان (يوسف) إبن الحضارة المصرية الزراعية، يعلم ذلك يقيناً، فقد تعلم ذلك وغيره على أيدي علماء مصر وكهنتها.

ولما انتهى (يوسف) من تفسير الحلم وتقديم المشورة لحاكم مصر الأجنبي البدوي [الهكسوسي] كافأه الملك بمنصب عظيم : " قد جعلتك على كل أرض مصر "، ولم يكتف بذلك بل زوجه من (إسنات) ابنة كاهن (أون)، أعظم مراكز مصر الدينية، ولم يكن كاهن مصر الأعظم ليقبل زواج ابنته من أجنبي بدوي إلا إذا كان (يوسف) غير ذلك، فالمصريون لم يكونوا يتزواجون مع البدو.. بل إن التوراة تخبرنا بأنهم كانوا يعتبرون البدو رجساً : " لأن المصريين لا يقدرون أن يأكلوا طعاماً مع العبرانيين لأنه رجس عند المصريين"(٩٤).

وكذلك : " لأن كل راعي غنم رجسٌ للمصريين "(٩٥).

وهكذا كانت قصة سيدنا (يوسف) في القرآن والتوراة غنية بتفاصيل هامة، مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بحضارة مصر وعلومها وثقافتها ودينها، ولا يسعنا في نهاية هذا الفصل إلا بختمه بخاتمة سورة (يوسف) نفسها : (لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثاً يُفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيءٍ وهدىً ورحمةً لقومٍ يؤمنون)[٩٦].

الهـوامـش

١- اليهود واليهودية د.عبدالجليل شلبي
٢ – بنو إسرائيل في القرآن والسنة د.محمد سيد طنطاوي
٣ – سفر التكوين إصحاح (١١) آية (٣١)
٤ – اليهود واليهودية د.عبدالجليل شلبي
٥ – مقارنة الأديان د. أحمد شلبي
٦ – بنو إسرائيل في القرآن والسنة د.محمد سيد طنطاوي
٧ – مقارنة الأديان د. أحمد شلبي
٨ – بنو إسرائيل في القرآن والسنة د.محمد سيد طنطاوي
٩ – المرجع السابق
١٠ – فجر الضمير جيمس هنري برستيد
١١ – سفر صموئيل الأول الإصحاح (٨) آية (١٩) وآية (٢٠)
١٢ – بنو إسرائيل في القرآن والسنة د.محمد سيد طنطاوي
١٣ – مقارنة الأديان د. أحمد شلبي
١٤ – المرجع السابق
١٥- بنو إسرائيل في القرآن والسنة د.محمد سيد طنطاوي
١٦- مقارنة الأديان د. أحمد شلبي
١٧- المرجع السابق
١٨- بنو إسرائيل في القرآن والسنة د.محمد سيد طنطاوي
١٩- فجر الضمير جيمس هنري برستيد
٢٠- مقارنة الأديان د. أحمد شلبي
٢١- بنو إسرائيل في القرآن والسنة د.محمد سيد طنطاوي
٢٢- المرجع السابق
٢٣- المرجع السابق
٢٤-دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة موريس بوكاس
٢٥- المرجع السابق
٢٦- بنو إسرائيل في القرآن والسنة د.محمد سيد طنطاوي
٢٧- المرجع السابق
٢٨- مقارنة الأديان د. أحمد شلبي
٢٩- ولادة إله جان بوتيرو
٣٠- فجر الضمير جيمس هنري برستيد
٣١- سفر القضاة الإصحاح(٣) آية (٥) و (٦)
٣٢- مقارنة الأديان د.أحمد شلبي
٣٣- فجر الضمير جيمس هنري برستيد
٣٤- مصر في القرآن والسنة د.أحمد عبدالحميد يوسف
٣٥- كان مانيتون كاهناً مصرياً عاش في القرن الثالث

قبل الميلاد، وكان يجيد إلى جانب لغته الأم (المصرية) كذلك اللغة اليونانية التي سجل بها التاريخ المصري القديم وقسمه إلى الثلاثين أسرة المعروفة.

٣٦- الحضارة المصرية القديمة — الأستاذ سليم حسن
٣٧- المرجع السابق
٣٨- المرجع السابق
٣٩- سفر التكوين، الإصحاح (٤١) الآية (٥٤)
٤٠- سفر التكوين، الإصحاح (٤١) الآية (٥٧)
٤١- سفر التكوين، الإصحاح (٤٢) الآيات:(١ – ٣)
٤٢- الحضارة المصرية القديمة — الأستاذ سليم حسن
٤٣- قصص الأنبياء — ابن كثير
٤٤- الحضارة المصرية القديمة — الأستاذ سليم حسن
٤٥- المرجع السابق
٤٦- سفر التكوين، الإصحاح (٣٧) الآية (٣)
٤٧- سفر التكوين، الإصحاح (٣٧) الآية (٤)
٤٨- سورة يوسف آية (٤)
٤٩- سفر التكوين، الإصحاح (٣٧) آية (١٠)
٥٠- سورة يوسف آية (٨) و(٩)
٥١- سفر التكوين، الإصحاح (٣٧) آية (١٨)
٥٢- سورة يوسف آية (١٠)
٥٣- سفر التكوين، الإصحاح (٣٧) آية (٢٥)
٥٤- سفر التكوين، الإصحاح (٣٧) آية (٢٨)
٥٥- سورة يوسف آية (٢٠)
٥٦- المرجع السابق الإصحاح (٣٩) آية (١)
٥٧- سورة يوسف آية (٢١)
٥٨- المرجع السابق آية (٢٢)
٥٩- سفر التكوين، الإصحاح (٣٩) آية (٧)
٦٠- المرجع السابق الإصحاح (٣٩) آية (١٢)
٦١- المرجع السابق الإصحاح (٣٩) آية (١٤)
٦٢-المرجع السابق الإصحاح(٤٠) آيات (١: ٣)
٦٣- المرجع السابق الإصحاح (٤٠) آية (١٩)
٦٤- سورة يوسف آية (٤٢)
٦٥- سفر التكوين، الإصحاح (٤١) آية (١)
٦٦- سورة يوسف آية (٤٣)
٦٧- المرجع السابق آية (٤٤)
٦٨- المرجع السابق آية (٤٥)
٦٩- سفر التكوين، الإصحاح (٤١) آية (١٤)
٧٠- سورة يوسف آيات (٤٧، ٤٨، ٤٩)

٧١- سفر التكوين،الإصحاح (٤١) آيات (٣٧ : ٤١)
٧٢- المرجع السابق الإصحاح (٤١) آية (٤٥)
٧٣- المرجع السابق الإصحاح (٤١) آية (٥٤)
٧٤- المرجع السابق الإصحاح(٤٦) آية (٢٦) و(٢٧)
٧٥- المرجع السابق الإصحاح (٤٧) آية (٢٨)
٧٦- ولادة إله — جان بوتيرو
٧٧- فجر الضمير — جيمس هنري برستيد
٧٨- سورة يوسف آية (٣٧)
٧٩- سفر التكوين، الإصحاح (٥٠) آية (٢)
٨٠- المرجع السابق الإصحاح (٥٠) آية (٢) و(٣)
٨١- المرجع السابق الإصحاح (٥٠) آية (٣)
٨٢- المرجع السابق الإصحاح (٥٠) آية (٧)
٨٣- المرجع السابق الإصحاح (٥٠) آية(١٠) و(١١)
٨٤- المرجع السابق الإصحاح (٥٠) آية (٢٦)
٨٥- هيرودوت "يتحدث عن مصر" — ترجمة د.محمد صقر خفاجة
٨٦- تاريخ اليهود القديم بمصر — د.عبدالمحسن الخشاب
٨٧- أسطورة سي أوزير — Altaegyptische Maerchen Emma Brunner Traut
٨٨- مصر في القرآن والسنة — د.أحمد عبدالحميد يوسف
٨٩- المرجع السابق
٩٠- المرجع السابق
٩١- جذور الحضارة المصرية — د.إبراهيم يوسف الشتلة
٩٢- المرجع السابق
٩٣- المرجع السابق
٩٤- سفر التكوين، الإصحاح (٤٣) آية (٣٢)
٩٥- المرجع السابق الإصحاح (٤٦) آية (٣٤)
٩٦- سورة يوسف آية (١١١)

فرعون موسى

لم يكن مصرياً

ظل بنو إسرائيل يعيشون على أرض مصر، وكان (يوسف) قد ساهم في رفع شأنهم بين القبائل البدوية [الهكسوسية] الأخرى. فعندما جاء (يعقوب) [إسرائيل] وبنوه مصر، أوقفهم (يوسف) أمام الملك الذي سألهم : " ما صناعتكم ؟ فقالوا لفرعون عبيدك رعاة غنم نحن وأباؤنا جميعاً "(١).

" فكلم فرعون (يوسف) قائلاً أبوك وأخوتك جاءوا إليك. أرض مصر قدامك. في أفضل الأرض أسكن أباك وأخوتك "(٢).

" فأسكن (يوسف) أباه وأخوته وأعطاهم ملكاً في أرض مصر في أفضل الأرض..." (٣).

وتمر أيامٌ وأعوام.. ويتبدلُ الحال.. فقد : " قام ملك جديد على مصر لم يكن يعرف (يوسف). فقال لشعبه هو ذا بنو إسرائيل شعبٌ أكثر وأعظم منا"(٤).

ثم كان أن قام هذا الملك "الجديد" باضطهاد بني إسرائيل :

(إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفةً منهم يذبّح أبناءهم ويستحيي نساءهم إنه كان من المفسدين) (٥).

أما السبب الذي من أجله قام هذا الملك باضطهاد بني إسرائيل ؛ فيورده (ابن كثير) في كتابه "قصص الأنبياء" :

" وكان الحامل له على هذا الصنيع القبيح أن بني إسرائيل كانوا يتدارسون فيما بينهم ما يأثرون عن (إبراهيم) عليه السلام من أنه سيخرج من ذريته غلامٌ يكون هلاك ملك مصر على يديه ". ولم يكن هذا الغلام سوى (موسى).

أما التوراة فتجري سبباً آخر على لسان الملك نفسه : " لئلا ينموا فيكون إذا حدثت حربٌ أنهم ينضمون إلى أعدائنا ويحاربوننا ويصعدون من الأرض "(٦).
وهكذا سام الفرعون وقومه بني إسرائيل العذاب : " ومرّروا حياتهم بعبودية قاسية.. "(٧).
وتمضي التوراة لتذكر شيئاً من تفاصيل هذه الفترة : " وكلم ملك مصر قابلتي العبرانيات "(٨)، واتفق معهما على قتل ذكور بني إسرائيل والإبقاء على حياة بناتهم : " إن كان ابناً فاقتلاه وإن كان بنتاً فتحيا "(٩).
إلا أن هاتين القابلتين خدعتا الفرعون، وأوحيتا إليه أن النساء العبرانيات لسن بحاجة إلى مساعدة المولدات، فالمرأة العبرية تلد قبل وصول القابلة. وفي هذه الأثناء وفي هذه الظروف : " ذهب رجل من بيت لاوي وأخذ بنت لاوي "(١٠).
" فحبلت المرأة وولدت إبناً.. "(١١).
وكان هذا الإبن هو : (موسى) بن (عمران) بن (قاهث) بن (عازر) بن (لاوي) بن (يعقوب).
وكان بطبيعة الحال أن تخشى أم (موسى) بطش الفرعون، فأوحى إليها الله : (أن أرضعيه فإذا خفتِ عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني) (١٢). وهذا ما فعلته أم (موسى).
تكمل التوراة الرواية : " فنزلت إبنة فرعون إلى النهر لتغتسل وكانت جواريها ماشيات على جانب النهر . فرأت السفط بين الحلفاء فأرسلت أمتها وأخذته "(١٣).
" ولما فتحته رأت الولد وإذا هو صبيٌ يبكي. فرقت له وقالت هذا من أولاد العبرانيين "(١٤).
ويذكر القرآن "إبنة الفرعون" هذه بأنها "زوجته".
(وقالت إمرأة فرعون قرة عينٍ لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً) (١٥).
وتقول التوراة : " ولما كبر الولد جاءت به إلى إبنة فرعون فصار لها ابناً. ودعت اسمه (موسى) وقالت إني انتشلته من الماء"(١٦).
كان هذا هو الفصل الأول من قصة (موسى)، الذي نتوقف عنده لنسجل التالي :

أولاً : إن الملك الجديد حين قال : " هو ذا بنو إسرائيل أكثر وأعظم منا " لم يكن يخاطب الشعب المصري بكل تأكيد، فهل قال مؤرخٌ واحدٌ أن بني إسرائيل حتى في أزهى عصورهم وبعد تأسيس دولتهم في فلسطين كانوا أكثر وأعظم من المصريين ؟! ناهيك عن هذه القبيلة الرعوية القليلة الشأن التي كانت تعيش حينذاك في أرض مصر.

يقول (جان بوتيرو) في كتابه "ولادة إله، التوراة والمؤرخ" : "إن الشعب الإسرائيلي لم يكن سوى شعب مجهري (يكاد لا يُرى إلا بالمجهر) قياساً على تلك الشعوب العملاقة التي أشادت حضارات ضخمة (..) كالبابليين والأشوريين والمصريين ".

أما (جيمس هنري برستيد) فيقول عن هذا الشعب [الإسرائيلي] في أمجد فترات تاريخه : ".. شعبٌ خامل الذكر سياسياً منزوٍ في الركن الجنوبي من البحر المتوسط. فإن هذا الشعب لم يقم له نظامٌ قومي خاص به إلا منذ العشر أو العشرين سنة السابقة لعام (١٠٠٠) قبل الميلاد، ولم يبق أمةً موحدة إلا نحو قرن واحد على أكبر تقدير "[١٧].

أما (ديورانت) فيقول عن هذه الفترة التاريخية : " هي قصة ملوك همج يحكمون شعباً من الهمج "[١٨].

وهكذا يتضح أن هذا الملك الجديد لم يكن يخاطب شعبَ مصر، بل جماعةً من الناس أو طائفة منهم، أو قبيلة من قبائل هؤلاء الهكسوس، الذين كانوا لا يزالون يعيشون – حينذاك – على أرض مصر.

ثانياً : ابنة هذا الملك (في التوراة) أو زوجته (في القرآن) – حين عثرت على الطفل (موسى) في السفط – أدركت على الفور أن الطفل الرضيع إسرائيلي. فيا ترى ما هي تلك العلامة التي رأتها هذه الأميرة فأدركت على الفور أن الطفل الرضيع إسرائيلي ؟.

هي علامة بالتأكيد لم تستطع أم (موسى) أن تخفيها أو تمحوها مع أنها كانت – يقيناً – حريصة كل الحرص على إخفاء أو محو أية إشارة تدل على نسب (موسى) إلى العبرانيين..

نقول : على الأرجح أن (موسى) كان مختوناً، وهي عادة دينية اعتادها اليهود. فلو كانت هذه السيدة "مصرية" ما كان يلفت نظرَها ختانُ الطفل، فالختانُ عادةٌ

مصرية أصيلة، وكان المصريون يمارسونها منذ بضعة آلاف من السنين قبل الميلاد.
وقد ذكر (هرودوت) أن المصريين عرفوا الختان منذ أقدم العصور، بل ويشهد أيضاً أن هذه العادة انتقلت من مصر إلى البلاد الأخرى. وفي مقبرة بـ(سقارة) توجد لوحة تسجل عملية الختان، ويرجع تاريخها إلى الأسرة السادسة أي حوالي ٢٣٠٠ قبل الميلاد(١٩).
هو أمرٌ إذن مألوف، كما هو حتى اليوم، لا يلفت نظر مصريٍ أو مصرية، ولكنه لفت نظر هذه الأميرة، لأنها كانت تنتمي إلى البدو الآسيويين، الذين حكموا مصر في غفلة من الزمن، وعُرفوا باسم الهكسوس. وهذا أيضاً ما تؤيده المراجع العربية، إذ يذكر (ابن كثير) هذه الأميرة باسم (آسية)، ويقول أنها كانت بنت (مزاحم) بنت (عبيد) بن (الريان)، الذي كان فرعون مصر في زمن (يوسف) بن (يعقوب).
وهكذا يثبت أن أقرب الناس إلى "الملك الجديد" لم تكن مصرية، بل هي حفيدة الملك الهكسوسي الذي حكم مصر في زمن (يوسف).
ثالثاً : إن هذه الأميرة "الهكسوسية" هي التي أطلقت على الطفل اسم (موسى)، وقد استوحت هذه التسمية من لغتها "السامية"، ثم قدمت تفسيراً لغوياً لذلك : " وقالت إني انتشلته من الماء "، وهذا دليل آخر على أن المرأة لم تكن مصرية، بل آسيوية الأصل والانتماء حضارياً ولغوياً.
ومما يؤكد أن حاكمَ مصر – حينذاك – وقومَه جميعاً كانوا آسيويين ؛ أن مساعد هذا الحاكم أو نائبه أو وزيره كان يُدعى (هامان)، ومن المعروف أن هذا الاسم آسيوي وليس مصرياً.
رابعاً : قد ثبت تاريخياً وأثرياً ومقارنةً مع بعض نصوص التوراة؛ أن بني إسرائيل دخلوا مصر مع غزو الهكسوس لها بعد انتشار المجاعة كما أسلفت. وقد حدد المؤرخون ذلك بعام ١٧٣٠ قبل الميلاد، كما حُدد تاريخ خروج الهكسوس من مصر بعام ١٥٨٠ ق. م، وهكذا تكون فترة حكم الهكسوس لمصر قد دامت زهاء ١٥٠ عاماً، فإذا عدنا إلى نسب (موسى) وعددنا الأجيال بينه وبين جده الأكبر (يعقوب)، لوجدناها أربعة أجيال، وهي نفس عدد الأجيال لحكام مصر الهكسوس، كما ذكر (المسعودي) في كتابه "مروج الذهب"، إذ يقول بأن فرعون (موسى) كان الرابع من فراعنة مصر، ولو جاز لنا إتمام عبارة هذا المؤرخ العربي فقلنا إن فرعون (موسى) " كان الرابع من فراعنة

مصر "الأجانب" أو "الهكسوس" "، لاستقام المعنى تماماً وصار ذلك برهاناً وحجة على كل ما ذهبنا إليه.

وإذا عرفنا أن (لاوي) جد (عمران) [والد موسى] هو أخو (يوسف) النبي، أول من دخل مصر من بني إسرائيل، لكان الفرق الزمني بين (يوسف) و(موسى) ما يعادل ثلاثة أجيال فقط، وهي فترة زمنية في حدود الستين سنة.

وهكذا تكون أحداثُ قصةِ سيدنا (موسى) – منذ ميلاده وحتى خروجه من مصر – قد وقعت أثناء حكم الهكسوس لمصر، وهكذا يكون حاكمُ مصر أيام (موسى) هكسوسياً، فإذا إحتج البعضُ فقال إن الله حدد ملك مصر بلفظ "فرعون" وهو لقب مصري صميم كان يُطلق فقط على ملوكها ؛ قلنا إن هناك حكاماً أجانب كثيرين حكموا مصر فنسبوا أنفسهم إليها، واعتنقوا دينها وحملوا ألقاب ملوكها [الفراعنة]، وكان من بينهم هؤلاء الحكام الهكسوس أنفسهم. وفي هذا السياق نستطيع أن نقول أن كاتب التوراة قد تعمد إغفال اسم الملك الذي كان يحكم مصر حينذاك، وهو الذي كان حريصاً على ذكر اسم كاهن في بلدة صغيرة خارج حدود مصر، وهو (يثرون) كاهن (مدين)، وهو ما فعلته التوراة في قصة (يوسف) أيضاً ؛ حين ذكرت اسم رئيس الشرطة واسم كاهن مدينة (أون) أو اسم ابنته، ولم تذكر اسم الحاكم نفسه.

وإن كان القرآن أيضاً لم يذكر الفرعون بالاسم، إلا أن ذلك يتسق مع الرواية القرآنية كلها – وعلى نقيض التوراة – فالقرآن لم يذكر قط أن فرعون (موسى) كان مصرياً. ولم يخبرنا القرآن قط أن عشيرة هذا الفرعون كانوا مصريين، فهم دائماً "القوم" أو "الملأ"، حتى حين يحدد القرآن شخصاً بعينه هو (قارون)، قال أنه كان من قوم (موسى)، أي أنه لم يكن مصرياً[٢٠].

ولكن القرآن أشار إلى فرعون (موسى) هذا بإشارة واضحة، فوصفه بأنه " فرعون ذو الأوتاد "[٢١]. وهو وصفٌ يتفق مع ما ذهبنا إليه بأن حاكمَ مصر في زمن (موسى) لم يكن مصرياً، بل كان هكسوسياً بدوياً، وهل هناك اقترانٌ وتلازم أكثر من اقتران وتلازم الوتد بـ"البدو" ؟، فإذا ذكرنا الوتد ذكرنا البدوي، وإذا قلنا ملك [فرعون] ذا أوتاد، قلنا ملك [فرعون] بدوي، و"الملك البدوي" هو المرادف العربي للتسمية المصرية [القديمة] هكسوس، أي الحكام البدو.

هذا من ناحية، ومن ناحيةٍ أخرى كان للوتد عند المصريين [القدامى] دلالة هامة، إذ كان المصريون يعتقدون أن "ست" – رب الصحراء – قد شُد وثاقه

إلى "وتد" حتى لا يهاجم أخاه "أوزيريس"[٢٢] رب الخصب والنماء، وكان "ست" [صاحب الوتد] هو رب الهكسوس وبني إسرائيل [اليهود].
وهكذا تكون الإشارة القرآنية إلى هذا الحاكم [فرعون (موسى)] إشارةً جامعة مانعة، إذ احتوت المعنى الدنيوي للوتد، كذلك المعنى الديني له [عند المصريين] بالإضافة إلى إتفاقها (لغوياً) مع اللفظ المصري [القديم] : "هكسوس".

وكان "ست" هو إبليس الحضارة المصرية [القديمة]، فـ"ست" هو ستن أو (Satan) في اللغات الأوروبية [حتى اليوم]، وهو شتن أو شطن أو شيطان.
وكان المسيح يدرك تماماً ما ذهب إليه عندما قال لليهود :
" أنتم من أب هو إبليس وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا. ذاك كان قتالاً للناس من البدء ولم يثبت في الحق لأنه ليس فيه حق. متى تكلم بالكذب فإنما يتكلم مما له لأنه كذاب وأبو الكذاب "[٢٣].

إبليس أو الشيطان "ست" كان قتَّالا للناس من البدء حقاً، فهو أول من قتل في تاريخ الإنسانية كما قالت بذلك الحضارة المصرية، فقد قتل أخاه الطيب "أوزيريس"، ثم احتل مكانه، ولكنه لم يثبت في الحق – على حد قول المسيح – إذ سرعان ما أطاح به "حورس" ابن "أوزيريس".
ويعلق د.(عبد المحسن الخشاب) على ما جاء على لسان المسيح، فيقول : " هكذا كان "ست"، أي الشيطان عند المصريين، وكان العبرانيون من عبدته المتعصبين، فقد اختاروه الإله لهم – على خلاف غالبية المصريين – مثلهم الأعلى، ثم إنهم بسبب ما رآه وعرفه المصريون فيهم من خلق وطباع، اختاروه أباً للعبرانيين منذ وجودهم بمصر "[٢٤]. وهو ما يؤكده المؤرخ الإغريقي (بلوتارخ) حين روى أن "ست" هرب من وجه "حورس" [ابن "أوزيريس"]، وبعد نجاته ولد له ابنان هما "هورسوليمون" و"ياهودايس"، وهما آباء العبرانيين[٢٥].

ولننتقل الآن إلى فصلٍ تالٍ من قصة سيدنا (موسى) في مصر، وهي فترةٌ يحددها القرآن الكريم كالتالي : (ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكماً وعلماً)[٢٦]، أما التوراة فتحكي عن هذه المرحلة فتقول : " وحدث في تلك الأيام لما كبر (موسى) أنه خرج إلى إخوته لينظر في أثقالهم. فرأى رجلاً مصرياً

يضرب رجلاً عبرانياً من أخوته، فإلتفت إلى هنا وهناك ورأى أن ليس أحدُ فقتل المصري وطمره في الرمل "[٢٧].

ثم : " خرج في اليوم الثاني وإذا رجلان عبرانيان يتخاصمان"[٢٨].

ويحدد القرآن أحد هذين المتخاصمين بأنه هو نفسه الذي من أجله قتل (موسى) رجلاً آخر بالأمس : (فإذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه) [٢٩].

" فقال للمذنب لماذا تضرب صاحبك. فقال من جعلك رئيساً وقاضياً علينا، أمفتكرٌ أنت بقتلي كما قتلت المصري "[٣٠].

وشاع خبرُ قتل (موسى) للرجل حتى وصل مسامع الفرعون : "فسمع فرعون هذا الأمر فطلب أن يقتل (موسى) "[٣١].

(وجاء رجلٌ من أقصى المدينة يسعى قال يا موسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك..) [٣٢].

فلم يجد (موسى) بداً من الفرار : " فهرب (موسى) من وجه فرعون وسكن في أرض (مديان) وجلس عند البئر "[٣٣].

وعند هذا البئر قابل (موسى) ابنة كاهن (مدين)، التي تزوجها فيما بعد. وكان قد ساعدها وأخواتها على السقي، وكذلك سقى لهن أغنامهن. فلما عادت البنات إلى أبيهن : " فقلن رجلٌ مصري أنقذنا من أيدي الرعاة وإنه استقى لنا أيضاً وسقى الغنم "[٣٤]. وينتهي الأمر بزواج (موسى) بـ(صفورة)، وإقامته معها هناك حيناً من الزمن يقدره البعض بعشر سنوات[٣٥]. وأثناء إقامة (موسى) بـ(مدين) كان الفرعون الذي يطلب دمه قد مات. ويبدو أن ذلك كان السبب في عودة (موسى) إلى مصر : " وقال الرب لـ(موسى) في (مديان) اذهب ارجع إلى مصر. لأنه قد مات جميع القوم الذين كانوا يطلبون نفسك"[٣٦].

كما يفهم من عبارة التوراة السابقة، فإن "جميع القوم" الذين كانوا يلاحقون (موسى) قد ماتوا، فلا يمكن أن يكون المعنى هنا مقصوداً به شعب مصر – أو الدولة المصرية – بل تقودنا عبارة التوراة إلى القول أن "جميع القوم" لم يكونوا سوى قبيلة أو عشيرة هكسوسية كانت تحكم مصر حينذاك، وهلكت أو تفرق شملها أثناء صراعها مع قبيلة أخرى.

وكان أن أخذ (موسى) أهله ورحل، وأثناء ذلك إذا به يلمح ناراً تتأجج في جانب "الطور"[٣٧].

ويذكر القرآن هذا الحدث : (فلما أتاها نودي من شاطيء الواد الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى إني أنا الله رب العالمين)[٣٨].
أما "الرب" فحذره : " فقال لا تقترب إلى ها هنا. اخلع حذاءك من رجليك. لأن الموضع الذي أنت واقفٌ عليه أرضٌ مقدسة. ثم قال أنا إله أبيك إله (إبراهيم) وإله (إسحق) وإله (يعقوب) "[٣٩]. وبعد ذلك كُلف (موسى) بالرسالة إلى الفرعون :
(اذهب إلى فرعون إنه طغى. قال رب اشرح لي صدري. ويسر لي أمري. واحلل عقدةً من لساني. يفقهوا قولي) [٤٠].
فلبى الله طلب (موسى)، وعضده بأخيه (هارون) ليكون لسانه لدن الفرعون :
(ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبياً) [٤١].

(فأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين. أن أرسل معنا بني إسرائيل) [٤٢].
ومضى (موسى) [عليه السلام] وأخوه (هارون) إلى الملك، فلما أبلغاه الرسالة وطلبا منه الذهاب ببني إسرائيل، اندهش الملك ولام (موسى)، وقال له : (ألم نربك فينا وليداً ولبثت فينا من عمرك سنين. وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين) [٤٣].

ثم دار جدلٌ بين الرسول والحاكم.. ولكن قبل أن نصل إلى هذه المرحلة نتوقف قليلاً لنسجل النقاط التالية :

أولاً : كان النبي (يوسف) قد تربى وتعلم في مصر وتخلق بأخلاق أهلها، وكذلك كان (موسى)، بل إنه زاد على (يوسف) بأنه وُلد على أرض مصر، أو كما يقول (فرويد) في كتابه "(موسى) والتوحيد" : " كان (موسى) مصرياً أولاً ثم كان كاهناً عظيماً عليماً بدقائق الأسرار والطقوس المصرية ".
وهو ما أكدته التوراة نفسها على لسان بنات شيخ (مدين)، حين أخبرنه عن (موسى) فقلن : " رجلٌ مصري ".
ثانياً : على الرغم من ذلك يحرصُ كاتب التوراة على إثبات وتأكيد "عداءً" بين (موسى) والمصريين، ففي الحادثة التي انتصر فيها (موسى) لأحد طرفيها على الآخر، نجد التوراة تحدد أحدهما بأنه مصري، وهو الذي قتله (موسى) : " فقتل المصري". وفي هذه الواقعة نجد القرآن – كعهده – يحدد هذين الخصمين بقوله : (هذا من شيعته وهذا من عدوه) [٤٤]. وهو تعريف أقرب إلى تحديد

الهوية السياسية أو الدينية، ولا تشير من قريب أو بعيد إلى هذه العصبية القبلية العنصرية كما أرادها كاتب التوراة.

وإذا عدنا إلى بلاط الحاكم رأينا (موسى) وأخاه هناك، وسمعنا حواراً دار بينهما وبين الفرعون، على النحو التالي :

- (فمن ربكما يا موسى).
- (ربنا الذي أعطى كل شيءٍ خلقه ثم هدى).
- (فما بال القرون الأولى).
- (علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى. الذي جعل لكم الأرض مهداً وسلك لكم فيها سبلاً وأنزل من السماء ماءً فأخرجنا به أزواجاً من نباتٍ شتى. كلوا وارعوا أنعامكم إنّ في ذلك لآياتٍ لأولي النُهى. منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارةً أخرى) [٤٥].

ولنقرأ معاً هذا النص المصري [القديم] : " أنت ربُ السماءِ و ربُ الأرضِ، خالقُ كائنات السماء وخالق الكائنات على الأرض. أنت الإلهُ الأوحد الذي خلق لأول مرة، الذي أنشأ البلاد الذي أوجد "نون" وخلق النيل، الذي أوجد الماء وأحيا كل ما يعيش بها، الذي شيد الجبالَ وخلق البشر والأنعام"[٤٦].

هذا النص المصري السابق وغيره – قبله وبعده – الكثير، كان لا يعرفها هذا الحاكم، لأنه لم يكن منتمياً لهذه الحضارة، ولو كان الفرعون المزعوم مصرياً لما رد على (موسى) الرد "الغريب" التالي، الذي يناقض تماماً إيمان المصريين بالإله الخالق لكل شيء ولكل البشر بما فيهم الحاكم نفسه : (ما علمت لكم من إلهٍ غيري فأوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحاً لعلي أطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذباً) [٤٧].

في هذه الآية يطلب فرعون من (هامان) أن يبني له صرحاً، وقبل أن يشرع في ذلك.. عليه أن يجهز مادة البناء (الطين) بأن يوقد عليه ناراً، أي أن يصنع له صرحاً من الطين المحروق، وهو أسلوب بناء لم يعرفه المصريون الذين – على مر عصورهم التاريخية – كانوا يصطنعون الطوب " اللبن" من الطين، دون أن يحرقوه[٤٨].

وفي الحوار بين (موسى) وفرعون، يؤكد (موسى) على مبدأ عقائدي راسخ وهو الإيمان باليوم الأخر، فيقول : (.. إن في ذلك لآياتٍ لأولي النُهى. منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارةً أخرى).

إنـه مبـدأ أصـيل فـي عقيـدة (موسـى)، وآمـن بـه مـن قبلـه ومـن بعـده أنبيـاء الله المرسلون : إنـه مبدأ البعث والحسـاب الـذي أكـد (موسـى) – نفسـه - جهـل هـذا الفرعون به عندما قال : (إني عذت بربـي وربكم من كل متكبرٍ لا يـؤمن بيـوم الحسـاب) [٤٩]. وهـو مـا يؤكـده القـرآن مـرةً أخـرى فـي سـورة القصـص : (واسـتكبر هـو وجنـوده فـي الأرض بغيـر الحـق وظنـوا أنهـم إلينـا لا يرجعون)[٥٠].

وهو نفسه المبدأ الذي آمن بـه (يوسـف)، بعد أن جـاء مصـر وأقـام بهـا، فـأعلن : (إني تركت ملة قومٍ لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون).

وكانت رسالة (يوسف) هي رسالة (موسى) إلـى "نفس القوم"، أي حكام مصـر البدو "الهكسوس". وهذا ما يؤكده "مؤمن آل فرعون"، وهو يُذّكر هذا الحـاكم الأجنبـي وآلـه برسـالة (يوسـف) إلـى أسـلافه وجـدوده، فيقـول : (ولقـد جـاءكم يوسـف مـن قبـل بالبينـات فمـا زلـتم فـي شـكٍ ممـا جـاءكم بـه) [٥١]. وكمـا آمـن (موسـى) و(يوسـف) بـالآخرة والبعـث والحسـاب، آمـن بهـا المصـريون مـن قبـل هذين الرسولين الكريمين ومن بعدهما أيضاً.

فقد دلت أقدمُ الآثار في مصر على إيمان المصريين الأوائل بالبعث بعد المـوت، فقـد تـم العثـور علـى مقـابر يعـود تاريخُهـا إلـى العصـر الحجـري الحـديث، أي ٥٠٠٠ سنة قبل الميلاد. وقد عُثر فـي إحدى هذه المقابر فـي قريـة (مرمـدة بنـي سلامة) على بعض الحبوب بالقرب من القاهرة.

وفي منطقـة (طرخـان) عُثر علـى بعض الأوانـي الفخاريـة. وفـي (حلـوان) عُثر على زهور في بعض المقابر. وفي (البداري) بـ(أسيوط) اشتملت بعض المقـابر على لوحات عليها بقايا ألوان كانت تستخدم فـي الزينـة، وهنـاك أيضـاً عُثر علـى جثـة طفـل ملفوفـة بـالجلود ومغطـاة بالحصـير، ومعـه سـوار مـن العـاج وبعـض المحار وإناءان.

وعُثر أيضاً على مقبرة لإمرأةٍ عجوز، لُف جثمانُها بسبعٍ أو ثمـاني طبقـات من الجلـد، وبجوارهـا عقـدُ محـارٍ وإنـاءان. ووُجـد فـي مقبـرة أخـرى لوحـة مـن الألباستر، بها أثار ألوان وملعقة من العاج وخلخلان من العاج أيضاً.

هكذا إذن قبل سبعة آلاف سنة كان المصريون قد آمنوا بالبعث بعد المـوت، فقد اهتمـوا بحفـظ جثـث ذويهـم مـن البلـى والفنـاء، ووضـعوا معهـم بعـض الأوانـي وأدوات الزينة وغيرها، كزادٍ لهم في الحياة الآخرة.

وينتقل المبدأ الإيماني من جيلٍ إلى آخر.

فمن العصر النحاسي، الذي يُؤرخ له بالألف الرابعة قبل الميلاد، تم العثور على مقابر في (هليوبوليس) [حي المطرية بالقاهرة] بها جثثٌ في حالة حفظ جيدة، وعُثر في هذه المقابر كذلك على أوانٍ فخارية ولوحات.

وقد تكرر هذا الأمرُ في منطقة جزرة بـ(الفيوم) وفي (البداري) و(المحاسنة) بـ(أسيوط)[٥٢].

وإذا ما دخلنا العصور التاريخية وعصر الأسرات، لذهلنا لعدد المقابر العظيم، ولمتانة بنائها وبهاء زخرفها، وما احتوته من أثاثٍ وحلي وكل متطلبات الحياة، وذلك بطول البلاد وعرضها، وهو ما يحتاج إلى مجلداتٍ كثيرة لذكر بعض تفاصيلها.

ونضيف إلى ذلك أن الإيمان بالآخرة والبعث لم يكن منتشراً في غرب آسيا، تلك المنطقة التي انحدر منها الهكسوس وبنو إسرائيل، وقد تأصل عدم الإيمان بالآخرة بين بني إسرائيل واليهود أنفسهم، فهناك فرق يهودية لا تؤمن – إلى الآن – بالبعث والخلود.

يقول (ديورانت) : " ولم تدر فكرة البعث في خُلد اليهود إلا بعد أن فقدوا الرجاء في أن يكون لهم سلطان في هذه الأرض، ولعلهم أخذوا هذه الفكرة عن الفرس أو لعلهم أخذوا شيئاً عن المصريين"[٥٣].

وقد ثبت – كما سيتضح فيما بعد – أن الفرس أنفسهم أخذوا فكرةَ البعث عن المصريين. حتى أن ملوكَ الفرس كانوا يزينون قصورهم بصور رب البعث المصري "أوزيريس"[٥٤].

ويقول د.(أحمد شلبي) : " والدارس للكتب الإسرائيلية يجدها تسير مع الفكر الذي أوضحناه آنفاً، فلم يرد شيء عن البعث واليوم الأخر، وإنما ورد بها حديث عن الأرض السُفلى والجب التي يهوي إليها العصاة ولا يعودون ".

ثم يضيف (شلبي) : " فالشعب اليهودي عند الباحثين اليهود قسمان، قسم عاش حياته الدنيا سعيداً، وهؤلاء يعدهم الفكر اليهودي قد حصلوا على الجانب المادي من رضا إلههم، أما القسم الآخر وهم الذين فقدوا هذا الجانب، فهؤلاء من حقهم أن يعودوا للحياة مرة أخرى لينالوا نصيبهم من المتعة أوالنعيم. وعلى العموم فإن فكرةَ البعث لم تجد أرضاً خصبة في عالم اليهود، وقد حاول بعض طائفة الفريسيين القول بها، ولكن هذه المحاولة لقيت معارضةً شديدة، أما باقي الفرق اليهودية فلم تعرف عنها شيئاً"[٥٥].

ولننتقل الآن مع فرعون (موسى) إلى مرحلة أخرى، فقد انتهى الإثنان من حوارهما الذي احتدم، ووصلا إلى مرحلة التحدي، وكان "السحر" هو الفيصل في هذه المباراة المثيرة، التي شهدها بلاط الفرعون.
وتبدأ التوراة روايتها هكذا : " وكلم الرب (موسى) و(هارون) قائلاً. إذا كلمكما فرعون قائلاً هاتيا عجيبة تقول لـ(هارون) خذ عصاك واطرحها أمام فرعون فتصير ثعباناً. فدخل (موسى) و(هارون) إلى فرعون وفعلا هكذا كما أمر الرب. طرح (هارون) عصاه أمام فرعون وأمام عبيده فصارت ثعباناً"(٥٦).
وكان لهذا العمل وقعه على الحضور في البلاد، وكما جاء بالقرآن : (قال الملأ من قوم فرعون إن هذا لساحرٌ عليم) (٥٧).
ونظر فرعون إلى معيته، وقد بلغت به الدهشة مداها، فسألهم عما عساه يفعل إزاء هذا التحدي، فجاء ردهم : (قالوا أرجه وأخاه وابعث في المدائن حاشرين. يأتوك بكل سحّار عليم) (٥٨).

ولنا أن ندهش نحن أيضاً، كما دهش هذا الفرعون، ولكن لسببٍ آخر، وهو خلو بلاط حاكم مصر من السحرة. فقد عرف المصريون السحرَ منذ أقدم العصور، فهم قد آمنوا بوجود قوى ذات قدرةٍ على الإتيان بالأفعال الخارقة. وكانت هذه القوى السحرية تُعرف باسم "حكا" أو "حقا"، وقد تمتع "حقا" بمكانة سامية، حتى إننا نراه يقف جنباً إلى جنب مع أعظم أرباب مصر، حتى أنه نازع واحداً من أقدمهم، وقد حاول أن يبرهن على مكانته وسبقه في الوجود، فقال : " إني هذا الذي أحيا التاسوع الإلهي، إني هذا الذي يفعل ما يشاء، أبو الأرباب، كلُ شيءٍ ملكٌ لي، قبل أن تنشأوا أنتم أيها الأرباب، التي جاءت بعدي، إني أنا السحرُ "(٥٩).
وقد كان "حقا" موجوداً منذ بدء الخليقة، فقد كان تلك القوى العظيمة التي إستخدمها الإله في الخلق. وقد تمتعت الأرباب بامتلاك هذه القوى السحرية، وكذلك الملوك وبعض الناس الذين نسميهم بالسحرة، أو هؤلاء الذين كانوا يأتون أعمال لا يقوى عليها سوى الأرباب، وقد عرفت مصر طبقتين من السحرة، أولاهما :
من تسمح لهم الدولة بممارسة هذا العمل، وكانوا يتمتعون بمرتبة عالية، حتى أنه كان من بينهم أبناء الملوك والأمراء، مثل (أمنحتب) بن (حابو) وزير الملك (أمنحتب الثالث)، والملك (سيزوستريس) نفسه، و(خعموزا) ابن الملك الشهير

(رمسيس الثاني). وكان هؤلاء ينتمون إلى طبقة الكهنة. وكانوا يدرسون السحر في المعابد، التي اشتملت مكتباتها على كتب السحر.
أما الطبقة الثانية من السحرة فكانوا ينتمون إلى الطبقات الشعبية، وكانت مهمتهم منحصرة في حماية الناس من الحيوانات المفترسة وغيرها من الكائنات الخطرة، وكان يتوجب عليهم الحصول على إذن رسمي لممارسة هذه الأعمال.
أما غير ذلك، مما نستطيع أن نسميه بالسحر الأسود، فكان ممنوعاً ومحرماً، ومن كان يعمل به يعتبر مجرماً، يُوقع عليه أشد العقاب الذي يصل إلى حد الإعدام.
ومن بين النفائس التي يحتفظ بها المتحف البريطاني بردية مصرية تحت رقم (٦٠٤) دُوّن عليها أسطورةٌ بعنوان "(سي أوزير) يقود أباه (..) في العالم الأخر وينتصر على السحرة الأحباش "، وتحكي هذه الأسطورة عن مجيء ساحر حبشي إلى مصر ليتحدى المصريين، فوقف أمام الفرعون وقال :" هل يوجد هنا من يستطيع قراءة هذه الرسالة أمام الفرعون، أي يتلو الرسالة دون أن يفتحها، فإذا تبين أنه لا يوجد كاتب جيد أو رجل عالم في مصر، يستطيع قراءتها دون فتحها، فإنني سوف أفضح مصر في وطني بلاد الزنج ".
وكان أن برز حفيد الملك المصري، وكان صبياً في الثانية عشرة من عمره، وكان يدعى (سي أوزير)، وقبل تحدي الساحر الحبشي.
ومن المصادفات أن تجري هذه المباراة في بلاط الفرعون، وفي يوم العيد أيضاً، مثلما حدث في قصة (موسى). وقد استطاع (سي أوزير) قراءة الرسالة المغلقة، التي كانت عبارة عن قصة دارت أحداثها قبل ١٥٠٠ عام من هذه المباراة. وتحكي أن حاكم بلاد الزنج – التي كانت تخضع للحكم المصري – كان يتنزه في حديقة، حين وصل إلى أسماعه حديث ثلاثة من السحرة، وهم ينفثون حقدهم على مصر. فقال أحدهم بأنه يستطيع – من خلال سحره – أن يجعل : " شعب مصر يقضي ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ لا يرى ضوءاً آخر غير ضوء مصابيح الزيت ".
وهو ما ترويه التوراة.. كواحدة من الأعاجيب التي أتى بها (موسى) :
" ثم قال الرب لـ(موسى) مد يدك نحو السماء ليكون ظلامٌ على أرض مصر. حتى يلمس الظلام. فمد (موسى) يده نحو السماء فكان ظلامٌ دامسٌ في كل أرض مصر ثلاثة أيام "[٦٠].

وقال أحد هؤلاء السحرة الثلاثة بأنه يستطيع أن يلقي سحره على مصر فيجعل : " البلاد تجدب ثلاث سنوات ". وهذا أيضاً نسمع صداه يتردد في التوراة التي تحكي أن الله سلط الجراد على مصر : ".. حتى لم يبق شيءٌ أخضر في الشجر ولا في عشب الحقل في كل أرض مصر "[٦١].

أما ثالث السحرة فقد لقى كلامه هوى حاكم بلاد الزنج، وكان عمله السحري يتلخص في إذلال الفرعون ملك مصر. فأمر حاكم بلاد الزنج هذا الساحر بأن يفعل ذلك. ولكن كبير سحرة الفرعون استطاع أن ينقذ مليكه، ويرد الصاع صاعين لحاكم بلاد الزنج، مما دفعه إلى تقريع الساحر، وأمره بتخليصه من الورطة التي أوقعه فيها، فاضطر هذا الساحر للذهاب إلى مصر ليبارز كبير سحرة البلاد، ودارت معركة سحرية في بلاط الفرعون.

وقد جعل الساحر الزنجي النار تشب في البلاط، ولكن الساحر المصري جعل السماء تمطر فأطفأ النار.

ومثل ذلك ما جاء في التوراة : " فمد (موسى) عصاه نحو السماء. فأعطى الرب رعوداً وبرداً وجرت نارٌ على الأرض.."[٦٢].

وفي بلاط الفرعون تحكي الأسطورة المصرية أن الساحر الحبشي جعل سحابة كثيفة تغشى البلاط " فصار الرجل لا يرى أخاه أو رفيقه ".

وفي التوراة : " فمد (موسى) يده نحو السماء فكان ظلامٌ دامسٌ في كل أرض مصر ثلاثة أيام. لم يبصر أحد أخاه.. "[٦٣].

وفي النهاية انتصر الساحر المصري على غريمه الزنجي، الذي عفى الفرعون عنه شريطة ألا يدخل مصر لمدة ١٥٠٠ عام.

كان كل ما تقدم هو فحوى الرسالة، التي حملها الساحر الحبشي وجاء يتحدى أهل مصر أن يقرأها أحدهم وهي مغلقة، فكانت هذه القصة السابقة التي قرأها (سي أوزير)، والذي فجر مفاجأة في النهاية بأن هذا الساحر الحبشي هو نفسه الساحر الزنجي، وقد جاء مصر بعد ١٥٠٠ عام، ولم ينس حسده ضد مصر ولا هزيمته على أرضها.

ومن الأساطير المصرية التي حكت عن السحر أسطورة سُجلت على بردية تُعرف ببردية "وستكار"، ويعود تاريخها إلى العام ١٥٠٠ ق. م، وهي قصة كانت قد رويت في بلاط الملك (خوفو)، أي قبل ألف عام أخرى من تسجيلها أو نسخها على هذه البردية[٦٤]، وتروي الأسطورة عن مرور الملك (سنفرو)

بحالة من السأم والملل، فلما استدعى الكاهن الأكبر سائلاً إياه النصيحة، اقترح عليه الأخير أن يجهز له نزهة في بحيرة قصره. فأعد قارب الملك تقوده عشرون عذراء فاتنة، وأثناء هذه النزهة سقطت قطعة حُلي من قائدة الفتيات، فاشتكت للملك، الذي استدعى الكاهن الأكبر وأخبره بما حدث، فما كان من الكاهن إلا أن شق البحيرة فجعلها نصفين، ووضع نصفها على النصف الأخر. فعثر على قطعة الحُلي، ثم أعاد ماء البحيرة مرة أخرى إلى حاله الأولى.

ومن المعروف أن السحرة المصريين كانوا يستخدمون "عصا" في أعمالهم. وكان للعصا بشكل عام أهميتها، فهي تدل على الزعامة أو القيادة والمكانة العالية للممسك بها، حتى أنه تم العثور على مثل هذه العصا مدفونة بجوار أصحابها، مما يدل على علو شأنهم بين قومهم.

ولنعد الآن إلى بلاط الفرعون المزعوم، لنجد هذا الملك قد حشد السحرة "المصريين"، فلما جاءوه بادروه: (أئن لنا لأجراً..)[٦٥].

فوافق الفرعون، وزادهم :

(.. نعم وإنكم إذاً لمن المقربين) [٦٦].

فلما واجه (موسى) هؤلاء السحرة حذرهم من مغبة ما قد يقدمون عليه، فقال لهم : (ويلكم لا تفتروا على الله كذباً فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى)[٦٧].

وهنا اختلف السحرة فيما بينهم : (فتنازعوا أمرهم بينهم) [٦٨]، ويفسر (ابن كثير) "الأمر الذي تنازعوه بينهم"، فيقول : " قيل : معناه أنهم اختلفوا فيما بينهم، فقائلٌ يقول هذا كلام نبي وليس بساحر، وقائل بل هو ساحر، فالله أعلم، وأسروا التناجي بهذا وغيره "[٦٩].

كان هذا إذن موقف السحرة المصريين من (موسى)، بعد أن سمعوا منه تحذيراً بسيطاً، وهو موقف مغاير لموقف حاكمهم الأجنبي، الذي لم يفلح (موسى) بكل ما أتاه من بينات على حمله على مجرد التفكير فيما يقول.. أما المصريون، فقد رأى بعضهم– بعد بضع كلمات – أن الرجل ليس ساحراً، بل ذهبوا إلى أنه قد يكون نبياً.

كان ذلك قبل أن يُلقي (موسى) بعصاه فتستحيل ثعباناً يلتهم ثعابينهم، وما أن رأوا ذلك، أجمعوا كلهم في الحال على موقف مناقض لموقف حاكم بلادهم، فجهروا بإيمانهم برب (موسى)، وقالوا : (آمنا برب العالمين) [٧٠].

حتى.. إذ هددهم الملك بالصلب، لم يخشوه فهم يؤمنون "بحياة أخرى"، وبأن الله سيبعثهم ليجازيهم بما فعلوا، وهو ما يتسق مع دينهم المصري ويخالف ما يؤمن به الحاكم الغريب، فقالوا : (إنا إلى ربنا منقلبون. إنا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا إنا كنا أول المؤمنين) [٧١].

ويكشف المصريون ما ضمره هذا الحاكم، ويسبرون غوره : (وما تنقم منا إلا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا) [٧٢].

حتى عندما نفذ الحاكم وعيده : " فقطعهم وقتلهم"[٧٣]، صار هؤلاء المصريون المؤمنون يقولون : (ربنا أفرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين) [٧٤].

لم يخرج موقف السحرة المصريين بحالٍ من الأحوال عن أسس ومباديء الدين المصري، فهم مصريون قلباً وقالباً، ديناً ودنيا، أكرههم هذا الفرعون البدوي وأغراهم، ولكنهم سرعان ما ثابوا إلى رشدهم فأعلنوا تمسكهم بدينهم، في مواجهة حاكم غريب على دينٍ آخر.

وهاهم يكشفون عن جوهر إيمانهم الراسخ ودينهم العريق، فيقولون للحاكم الهكسوسي : (لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا فاقض ما أنت قاض إنما تقضي هذه الحياة الدنيا. إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خيرٌ وأبقى. إنه من يأت ربه مجرماً فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيا. ومن يأته مؤمناً قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العُلى. جنات عدنٍ تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى) [٧٥].

صدق الله العظيم

الخروج

وتنتهي إقامة بني إسرائيل في مصر بخروجهم منها هاربين، يلاحقهم الفرعون ورجاله.

ويصور "سفر الخروج" بالتوراة هذا الفصل الختامي في مشاهد مثيرة : " ثم قال الرب لـ(موسى) ضربةً واحدةً أيضاً أجلب على فرعون وعلى مصر. بعد ذلك يطلقكم من هنا. وعندما يطلقكم يطردكم طرداً من هنا بالتمام"(٧٦).

" فإني أجتاز في أرض مصر هذه الليلة وأضرب كل بكر في أرض مصر من الناس والبهائم "(٧٧).

" فحدث في نصف الليل أن الرب ضرب كل بكر في أرض مصر من بكر فرعون الجالس على كرسيه إلى بكر الأسير الذي في السجن وكل بكر بهيمة "(٧٨).

" فارتحل بنو إسرائيل من رعمسيس إلى سكوت نحو ست مئة ألف ماشٍ من الرجال عدا الأولاد "(٧٩).

"فلما أُخبر ملك مصر أن الشعب قد هرب تغير قلب فرعون"(٨٠).

" فشد مركبته وأخذ قومه معه. وأخذ ست مئة مركبة منتخبة وسائر مركبات مصر وجنوداً مركبية على جميعها"(٨١).

في ظل هذه الأحداث المتلاحقة، لابد أن نتوقف من أجل تسجيل بعض النقاط الهامة :

أولاً : زيف هذا العدد الضخم لبني إسرائيل، الذين لم يزد عددهم حين دخلوا مصر على "سبعين نفساً"، كما قالوا هم في توراتهم، فكيف صار هؤلاء ٦٠٠ ألف رجل "ماعدا الأولاد ".

إنه الكذب، الذي يتمون ما بدأوا به، حين زعموا على لسان حاكم مصر "المزعوم" أن شعب إسرائيل "أكثر وأعظم" من شعب مصر.

ثانياً : استعمال الفرعون وجنوده للمركبات، أي العجلات الحربية، في مطاردة بني إسرائيل يؤكد أن هذا الحاكم هكسوسي، فهذه العجلات الحربية كانت سلاح الهكسوس الذي لم يكن يعرفه المصريون حينذاك.

ثالثاً : يضاف إلى ذلك ما يدل على ضعة وخسة هؤلاء القوم، وما يؤكد في نفس الوقت على كرم المصريين، ومسالمتهم لبني إسرائيل، فلم يكن المصريون طرفاً في معركة دارت بين الإسرائيليين وبين حكام البلاد الغرباء. ففي خضم هذه الساعات العصيبة، التي سبقت خروجهم من مصر، لم يفتهم أن يحتالوا على أهل مصر ويسرقوهم، بناءً على أمر ربهم، الذي قال لـ(موسى) : " تكلم في مسامع الشعب أن يطلب كل رجلٍ من صاحبه وكل امرأة من صاحبتها أمتعة فضة وأمتعة ذهب"(٨٢).

" وفعل بنو إسرائيل بحسب قول (موسى)، طلبوا من المصريين أمتعة فضة وأمتعة ذهب، وثياباً، وأعطى الرب نعمة للشعب في عيون المصريين حتى أعاروهم. فسلبوا المصريين "(٨٣).

وبعد أن خرج الملك خلف الإسرائيليين، أخذ يجد في سعيه حتى أوشك أن يلحق بهم، ففزع هؤلاء وخافوا، فأخذوا يلومون (موسى) على إخراجه لهم من مصر : " وقالوا لـ(موسى) هل لأنه ليست قبور في مصر أخذتنا لنموت في البرية. ماذا صنعت بنا حتى أخرجتنا من مصر. أليس هذا هو الكلام الذي كلمناك به في مصر قائلين كف عنا فنخدم المصريين. لأنه خيرٌ لنا أن نخدم المصريين من أن نموت في البرية "(٨٤).

" فقال الرب لـ(موسى) مالك تصرخ إلي. قل لبني إسرائيل أن يرحلوا. وأرفع أنت عصاك ومد يدك على البحر وشقه. فيدخل بنو إسرائيل في وسط البحر على اليابسة. وها أنا أشدد قلوب المصريين حتى يدخلوا وراءهم "(٨٥). " ومد (موسى) يده على البحر. فأجرى الرب البحر بريح شرقية شديدة كل الليل وجعل البحر يابسة وانشق الماء. فدخل بنو إسرائيل في وسط البحر على اليابسة والماء سورٌ لهم عن يمينهم وعن يسارهم. وتبعهم المصريون ودخلوا وراءهم"(٨٦).

وكانت النهاية .. فما أن اجتاز بنو إسرائيل البحر حتى عادت مياهه إلى حالها السابقة، فأطبقت على الفرعون ورجاله فغرقوا جميعاً، وهو ما ينص عليه

القرآن : (فأراد أن يستفزهم من الأرض فأغرقناه ومن معه جميعاً) [٨٧].
وكذلك : (فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين) [٨٨].
كانت هذه هي نهاية أحداث قصة بني إسرائيل في مصر، وهي تمثل – في رأينا – حلقة من حلقات صراع دار بين قبائل رعوية، كان منها من استطاع فرض سيطرته على آخرين لحينٍ من زمن.

ويبدو أن حالة الصراع والتنازع بين هؤلاء قد مهدت السبيل أمام الأمير المصري (أحمس) للقضاء على الجميع قضاءً مبرماً، وحرر البلاد المصرية من استعمارهم البغيض، ومحق كل أثر لهم على هذه الأرض الطيبة.
ولا يسعنا في النهاية إلا أن نردد ما جاء في القرآن الكريم : (ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون) [٨٩].

بين الدين المصري والتوراة

عرفنا من التوراة أن "أسرة (يعقوب)" [بنو إسرائيل] جاءت مصر لا تملك ما يقيم أودها، فلولا مصر ولولا خيرها لهشمت الريح عظامهم اليابسة، وذرتهم رمالاً في صحراءهم.

وقصت علينا التوراة أنهم لما خرجوا.. ندموا.. فلم تنسهم الأيام جوعهم، وإن كان – سرعان – ما نسوا تعاليم (موسى)، وفضلوا عليها "قدور اللحم"، فتمنوا العوة إليها وإلى خدمة المصريين.

وأخبرتنا التوراة أن هؤلاء جاءونا خلواً من كل سبب حضارة.. بدواً لا يحسنون سوى رعي البهائم. ولم يفلح كرم المصريين في تهذيب طبعهم الذي لا ينفر من السلب، "فسلبوا المصريين" أمتعة الفضة والذهب والثياب، وهو سلوك يتسق مع شريعتهم. لذا لم يجد كاتب التوراة غضاضة في تدوين هذه السرقة، وإن كان سكت عن سرقة أهم وأعظم، سرقة حضارة وثقافة من أحسنوا إليهم.

إن ما قدمناه على صفحات سابقة لم نقصد به إعلاء شأن مصر أو إبراز دورها.. بل قصدنا توضيح أمور حرص هؤلاء على إبقائها غامضة، أما ما نورده على صفحات قليلة تالية فلا نريده دليلاً على أن ما تاجروا به آلاف السنين هو "بضاعتنا" نحن، بل كل ما نبغيه هو فقط إعمال المثل المصري القائل بأن "اللص بما يحمله" وهم مازالوا يحملون ما سرقوا.

يحكي (جيمس هنري برستيد) الواقعة التالية : " كنت قائماً لأول مرة بين الدمن الضئيلة الباقية في قصر (كورش) الأكبر، وهو واقع على مسيرة أقل من نصف ساعة من قبره في "بازار جادة"، ولم يبق من هذا المبنى، الذي كاد أن يختفي، إلا عمود مربع أو عمودان من الأحجار، كانا لا يزالان قائمين، منقوشاً عليهما بالخط المسماري باللغة الفارسية القديمة العبارة الموجزة الآتية : " أنا كورش" " قد أقمته"، وأحد هذين العمودين عبارة عن قائمة باب، ولا يزال ظاهراً فوقه نقش بارز يمثل صورة إنسان طويل القامة – في شكل أحد أنصاف الآلهة، له زوجان من الأجنحة المنتشرة في وضع رائع، كأنه واحد من سلالة الملائكة المذكورين في التوراة. وقد عرفت فيه نقشاً رأيته من قبل في بعض المطبوعات، غير أني عندما حققت النظر بدقة فيما كان متآكلاً من النقش، ظهر لي في الحال شيء لم يسبق أن جذب نظري من قبل قط. ذلك أن رأس تلك الصورة المجنحة كان يعلوها تاج "أوزير"، إله الحساب المصري في عالم

الأخرة عند قدماء المصريين. ولمثل هذا الرمز أهمية في الفن الشرقي القديم. فهذا النذر (بحساب الأخرة) ذو الجناحين بقى قائماً في قصر كورش نحو ٢٥٠٠ سنة، وكل زائر دخل القصر كان يشاهده لابساً تاج الحساب لعالم الأخرة، عند قدماء المصريين، وعلى ذلك يكاد يكون من الأمور التي لاشك فيها أن المحاكمة الزرداشتية في الأخرة مأخوذة عن المصريين القدماء "[٩٠].

ثم يؤكد (برستيد) على هذا الأمر مرة أخرى، فيقول : " وإن ظهور فكرة الحساب في الأخرة – وهو شيء لم يُعرف في آسيا الغربية قبل (زرادشت) – قد أوجد نظرية قوية أن (زرادشت) قد أخذ الكثير من ديانته عن الديانة المصرية "[٩١].

ويضيف (برستيد) : " وقد اتصل العبرانيون خلال أسرهم في الشرق – وهم في مرحلة متأخرة من مراحل تقدمهم الديني – اتصالاً وثيقاً بالمدنية الفارسية، ووقفوا على الكثير من ديانة (زرادشت) "[٩٢].

وقبل "أسرهم في الشرق"، كان هؤلاء قد اغتصبوا فلسطين [أرض كنعان]، وأقاموا "دويلة". كان الكنعانيون قد أقاموا مجتمعاً متحضراً قبل ألف سنة من غزو العبرانيين لبلادهم[٩٣].

يقول (جان بوتيرو) : " إن بني إسرائيل حلوا محل الكنعانيين، فتبنوا طريقة حياتهم دون تغيير يذكر ". ثم يضيف (بوتيرو) : "أخذ بنو إسرائيل كل شيء، وتعلموا كل شيء عن الكنعانيين"[٩٤].

وقبل اغتصاب الإسرائيليين لأرض كنعان [فلسطين] بألفي عام، كانت هذه البلاد تخضع للنفوذ المصري، بل أنها ظلت تحت السيطرة المصرية لمدة مائتي سنة بعد دخول بني إسرائيل إليها[٩٥].

ولنتم الحلقة بقول (برستيد) : " وبذلك بلغت المدنية الكنعانية مرتبة سامية في القرون التي احتلتها فيها مصر. فلما غزاها العبرانيون كانت صُبغت مراراً وتكراراً بالعناصر المصرية ". ثم يضيف : " فإن التفكير الديني عند هؤلاء القوم [يعني الإسرائيليين]، الذين سكنوا فلسطين، اعتمد جوهره في هذه الحالة – كما اعتمد في تجارب كثيرة مشابهة لها – على الاستقاء من تراث الماضي، كما وجدوه في الجماعات الكنعانية التي اندمجوا فيها تدريجياً. وكان هذا التراث مفعماً بالأفكار المصرية القديمة "[٩٦].

ولنضرب بعض الأمثال على "ما استقى" هؤلاء "من تراث مفعم بالأفكار المصرية "، فالوصايا العشر لا تختلف عما جاء بما يسمى بـ"الإنكار" في كتاب الموتى المصري. فمن هذه الوصايا : " أكرم أباك وأمك، "لا تقتل"، "لا تزن"، "لا تسرق"، "لا تشهد على قريبك شهادة زور"، "لا تشته قريبك"، "لا تشته امرأة قريبك ولا عبده ولا أمته"[٩٧].

وفي كتاب الموتى نقرأ : " إني لم أسرق، لم أقتل، لم أنطق بالأكاذيب، لم أرتكب الزنى، لم أغرر بزوجة رجل، لم أقهر أحداً من أفراد عائلتي "[٩٨]. هذا وغيره ما يشهد به أيضاً مؤلفو معجم الحضارة المصرية إذ يقولون : " لا شك أن إقامة بني إسرائيل في مصر تفسر بعض العناصر القانونية والدينية في القاموس الموسوي".

ويضيفون : " عرفت تراتيلهم [أي المصريين] وأدب حكمتهم في كنعان، منذ الدولة الحديثة، وعلمت علماء (يهوذا) كيف ينظمون تراتيل أفضل لإلاههم، وكيف يزيدون في حكمة التوراة "[٩٩].

كما جاء في التوراة أيضاً أن (موسى) قد تفقه كل حكمة المصريين، وعلى الرغم من ذلك يزعم كاتب التوراة أن حكمة (سليمان) قد فاقت : ".. حكمة جميع بني المشرق وكل حكمة مصر "[١٠٠].

مع أن (سليمان) نفسه لا يجد وصفاً لمحبوبته أفضل من أنها فرس في مركبة ملك مصر : " لقد شبهتك يا حبيبتي بفرسٍ في مركبات فرعون "[١٠١].

ولـ(سليمان) كتاب في التوراة يعرف باسم سفر الأمثال، الذي نقرأ عنه في معجم الحضارة المصرية : " إن سفر الأمثال في التوراة ليستعير عدة عبارات من هذا المؤلف [المصري]، ولا يدهشنا هذا، إذ أن القوانين الأخلاقية، التي نشأت على ضفاف النيل، انتشرت في جميع بلاد الشرق الأدنى ".

والمؤلف هنا ليس سوى الحكيم المصري (أمنموبي)، وعن أعماله الأدبية يقول (ياروسلاف تشرني) : " وهناك أجزاء من الأعمال المتأخرة من هذا الفرع من الأدب، المسماة تعاليم (أمنموبي)، والتي صيغت في عصر الأسرتين العشرين والواحد والعشرين، يبدو أنها وجدت طريقها في شكل محرف إلى أمثال (PROVERBS) العهد القديم". ثم يضيف في هامش كتابه : " وفي الواقع أن سفر الأمثال قد استعار الكثير من أمثاله "[١٠٢].

ولنضع الآن أمثال (سليمان) أمام أمثال (أمنموبي) :

أمثال (سليمان)	أمثال (أمنموبي)
أمل أذنيك واسمع كلام الحكماء ووجه قلبك إلى معرفتي.	أمل أذنيك واسمع كلامي ووجه قلبك إلى فهمها.
لأنه حسن إن حفظتها في جوفك إن ثبتت جميعاً على شفتيك.	لأنه مفيدٌ أن حفظتها في جوفك واجعلها مستقرة في صندوق جوفك.
ألم أكتب لك ثلاثين فصلاً من جهة مؤامرة ومعرفة لأعلمك قسط كلام الحق لترد جواب الحق للذين أرسلوك.	تبصر لنفسك هذه الثلاثين فصلاً فإنها مسيرة وتعليم معرفة كيفية تجيب الذي يتحدث وكيف ترد على تقرير لمن أرسلت.
لا تسلب الفقير لكونه فقيراً ولا تسحق المسكين في الباب.	احذر أن تسلب الفقير وأن تظلم المحزون.
لا تستصحب رجلاً غضوباً ومع رجل ساخط لا تجيء.	لا تستصحب غضوباً.
لا تنقل التخم القديم.	لا تنقل العلامات من تخوم الحقول ولا تكن شرهاً نحو ذراع من أرض ولا تعتد على حدود أرملة.
أرأيت رجلاً مجتهداً في عمله أمام الملوك يقف.	إن الكاتب الماهر في وظيفته يجد نفسه جديراً بأن يكون من رجال البلاط.
إذا جلست تأكل مع متسلط فتأمل ما هو أمامك تأملاً وضع سكيناً لحنجرتك.	لا تأكل خبزاً أمام عظيم ولا تكشف فاك أمامه. وإذا أشبعتك لقمة حرام فإنما هي لذة ريقك.

إن كنت شرهاً، لا تشته أطايبه
لأنها خبز أكاذيب.

انظر إلى الوعاء الذي أمامك
وعليك أن تجعله يكفيك.

لا تتعب لتصير غنياً.

لا تتعب طلباً للمزيد إذا كفيت
لحاجتك.

كف عن فطنتك.

فإذا جُلب إليك بالسرقة لم يبت
معك، وفي الفجر لا يكون في
بيتك.

هل تطير عينيك نحوه وليس
هو، لأنه إنما يصنع لنفسه
أجنحة كالنسر يطير نحو
السماء.

انظر مكانه وليس هناك لأنه
إنما يصنع لنفسه أجنحة
كالأوز يطير نحو
السماء(١٠٣).

وكما حذر (أمنموبي) المصري من "الكسب الحرام" والإثراء عن طريق السرقة، حرم أيضاً الغش، فقال : " حذار أن تغش الوادج (مكيال الحبوب)، أو أن تغش في أجزاءها، فلا تكيل بمكيالين"(١٠٤).

وهو ما جاء أيضاً في التوراة : " إن ميزانين ومكيالين كليهما يغضب يهوا"(١٠٥).

أما ما جاء في المزامير بالتوراة، فلا يختلف أيضاً عن أناشيد الملك المصري (إخناتون)، صاحب أكبر ثورة دينية.

أناشيد (إخناتون)	المزامير
وحينما تغيب في أفق السماء الغربي فإن الأرض تظلم كالموات فيناموا في حجراتهم و رؤوسهم ملفوفة ومعاطسهم مسدودة ولا يرى إنسان الأخر في حين أمتعتهم تسرق وهي تحت رؤوسهم وهم لا يشعرون بذلك	تجعل ظلمة فيكون ليل فيه يدب كل حيوان وعر (المزمور ١٠٤ – ٢٠)
وكل أسد يخرج من عرينه (ليفترس) وكل الثعابين تنساب لتلدغ والظلام يخيم والعالم في صمت في حين أن الذي خلقهم في أفقه	الأشبال تزمجر لتخطف ولتلتمس من الله طعامها (المزمور ١٠٤ – ٢١)
الأرض زاهية حينما تشرق في الأفق وعندما تضيء بالنهار مثل "أتون" فإنك تقصي الظلمة إلى بعيد وحينما ترسل أشعتك تصير الأرض (مصر) في عيد والناس يستيقظون ويقفون على أقدامهم عند إيقاظك لهم وبعد غسلهم لأجسامهم يلبسون ثيابهم ثم يرفعون أذرعتهم تعبداً لطلعتك ثم بعد ذلك يقومون إلى أعمالهم في كل العالم	تشرق الشمس فتجتمع وفي مأويها تربض الإنسان يخرج إلى عمله وإلى شغله إلى المساء (المزمور ١٠٤ – ٢٢ و٢٣)
والسفن تقلع في النهر صاعدة أو منحدرة فيه على السواء وكل فج مفتوح لأنك أشرقت	هذا البحر الكبير الواسع الأطراف هناك دبابات بلا عدد

والسمك يثب في النهر أمامك
وأشعتك تنفذ إلى وسط البحر
الأخضر العظيم.

صغار حيوان مع كبار
هناك تجري السفن. لوياثان
هذا خلقته ليلعب فيه
(المزمور ١٠٤ ـ ٢٥ ـ ٢٦)

ما أكثر تعدد أعمالك
إنها على الناس خافية
يا أيها الإله الأحد

ما أعظم أعمالك يا رب
كلها بحكمة صنعت
ملآنة الأرض من غناك
(المزمور ١٠٤ ـ ٢٤)

وقد رمز (إخناتون) إلى هذا الإله الأحد [كما يخاطبه] بقرص الشمس المتوهج، الذي تخرج منه أشعة تنتهي بأياد.

وكلنا نعرف ما للشمس من فضلٍ وأثر في الأرض، وفي كل أوجه الحياة على الأرض، فبدون الشمس تتوقف الحياة تماماً، فلا يوجد ليل أو نهار أو نور أو حرارة ولا يوم أو ساعة ولا ماء أو نبات.. فالشمس هي الحياة.

وقد وضع المصريون الشمس في المكانة التي تستحقها، ورفعوها إلى أسمى المراتب، بعدما أدركوا قيمتها.

وقد جاء في التوراة، وفي إصحاح "ملاخي" : " ولكم أيها المتقون اسمي تشرق شمس البر والشفاء في أجنحتها.. "[١٠٧].

إن مثل هذه "الشمس ذات الأجنحة" لم يعرفها العبرانيون، ولم توجد عندهم صورة واحدة، وعلى النقيض من ذلك، نرى الشمس بجناحيها أينما خطونا على أرض مصر، فهذه الصورة بهذا الوصف تملأ معابد مصر ومقابرها. وانتقل هذا التصور المصري لرب الشمس على أرض فلسطين، حيث عُثر هناك على آثار الشمس المصرية[١٠٨].

ومن الرموز المصرية الشهيرة التي عبدها اليهود، كان الثعبان المصري، فتنسب التوراة إلى (موسى) أنه صنع لبني إسرائيل حية ليعبدوها، فظل هؤلاء على عبادتهم للثعبان المصري طيلة خمسة قرون بعد (موسى)، على حد قول كاتب التوراة[١٠٩].

وبالإضافة إلى ما تقدم فإن هؤلاء أخذوا أيضاً عن المصريين عادات كثيرة، مثل الختان، كما ذكرنا سلفاً، وكذلك الغسل والتطهر، وتصعيد ذبائح القربان بالحريق[١١٠].

وكذلك تحريم أكل لحم الخنزير[١١١].

وإذا كان لابد من ختام فلا يسعنا في هذا المقام سوى ترديد قول الدكتور (عبد المحسن الخشاب) :

" فما كان لليهود حضارة ولا أدب إلا حضارة مصر، ولا حكمة إلا حكمة مصر، ولا دين دانوا به قبل اليهودية إلا دين مصر، نقلوه معهم، وارتدوا إليه بعد أن أدانوا باليهودية "[١١٢].

الهوامش

١ – سفر التكوين، الإصحاح (٤٧) آية (٣).
٢ – المرجع السابق، الإصحاح (٤٧) آية (٥) و(٦).
٣ – المرجع السابق، الإصحاح (٤٧) آية (١١).
٤ – سفر الخروج، الإصحاح (١) آية (٨) و(٩).
٥ – سورة القصص آية (٤).
٦ - سفر الخروج، الإصحاح (١) آية (١٠).
٧ – المرجع السابق الإصحاح (١) آية (١٤).
٨ - المرجع السابق الإصحاح (١) آية (١٥).
٩ - المرجع السابق الإصحاح (١) آية (١٦).
١٠ - المرجع السابق الإصحاح (٢) آية (١).
١١ - المرجع السابق الإصحاح (٢) آية (٢).
١٢ – سورة القصص آية (٧).
١٣ – سفر الخروج الإصحاح (٢) آية (٥).
١٤ – المرجع السابق الإصحاح (٢) آية (٦).
١٥ – سورة القصص آية (٩).
١٦ - سفر الخروج الإصحاح (٢) آية (١٠).
١٧ – فجر الضمير   جيمس هنري برستيد
١٨ – مقارنة الأديان   د.أحمد شلبي
١٩ – مصر في القرآن والسنة   د.أحمد عبد الحميد يوسف
٢٠ – سورة القصص آية (٧٦).
٢١ – سورة الفجر آية (١٠).
٢٢ – آلهة المصريين   والاس بدج
٢٣ – إنجيل يوحنا الإصحاح (٨) آية (٤٤).
٢٤ – تاريخ اليهود القديم بمصر   د.عبد المحسن الخشاب
٢٥ – المرجع السابق.
٢٦ – سورة القصص، آية (١٤).
٢٧ - سفر الخروج، الإصحاح (٢) آية (١١) و(١٢).
٢٨ – المرجع السابق، الإصحاح (٢) آية (١٣).
٢٩ – سورة القصص آية (١٨).
٣٠ - سفر الخروج، الإصحاح (٢) آية (١٣) و(١٤).
٣١ – المرجع السابق، الإصحاح (٢) آية (١٥).
٣٢ – سورة القصص آية (٢٠).
٣٣ - سفر الخروج، الإصحاح (٢) آية (١٥).

٣٤ ـ المرجع السابق، الإصحاح (٢) آية (١٩).
٣٥ – قصص الأنبياء ابن كثير
٣٦ ـ سفر الخروج، الإصحاح (٤) آية (١٩).
٣٧ – قصص الأنبياء ابن كثير
٣٨ – سورة القصص آية (٣٠).
٣٩ ـ سفر الخروج، الإصحاح (٣) آية (٥) و(٦).
٤٠ – سورة طه آيات (٢٤ و٢٥ و٢٦ و٢٧ و٢٨).
٤١ – سورة مريم آية (٥٣).
٤٢ – سورة الشعراء آية (١٦) و(١٧).
٤٣ – المرجع السابق آية (١٨) و(١٩).
٤٤ – سورة القصص آية (١٥).
٤٥ – سورة طه آيات (٤٩ و٥٠ و٥١ و٥٢ و٥٣ و٥٤ و٥٥).
٤٦ – الحيـــاة اليوميـــة للآلهـــة ديمتري ميكس وكريستين فافار ميكس الفرعونية
٤٧ – سورة القصص آية (٣٨).
٤٨ – مصر في القرأن والسنة د.أحمد عبدالحميد يوسف
٤٩ – سورة غافر آية (٢٧).
٥٠ – سورة القصص آية (٣٩).
٥١ – سورة غافر آية (٣٤).
٥٢ – جذورالحضارة المصرية د.إبراهيم يوسف الشتلة
٥٣ – مقارنة الأديان د.أحمد شلبي
٥٤ – فجر الضمير جيمس هنري برستيد
٥٥ – مقارنة الأديان د.أحمد شلبي
٥٦ – سفر الخروج الإصحاح (٧) آيات (٨ : ١٠).
٥٧ – سورة الأعراف آية (١٠٩).
٥٨ – سورة الشعراء آية (٣٦) وآية (٣٧).
٥٩ـ السحر عند الفراعنة محمد أبو رحمة
٦٠ – سفر الخروج الإصحاح (١٠) آية (٢١) و(٢٢).
٦١ ـ المرجع السابق الإصحاح (١٠) آية (١٥).
٦٢ – المرجع السابق الإصحاح (٩) آية (٢٣).
٦٣ ـ المرجع السابق الإصحاح (١٠) آية (٢٢) و(٢٣).
٦٤ – Libe und sexualiktaet im Alten Agypten ليزا مانيكه
٦٥ – سورة الشعراء آية (٤١).
٦٦ – المرجع السابق آية (٤٢).

٦٧ – سورة طه آية (٦١).
٦٨ – المرجع السابق آية (٦٢).
٦٩ – قصص الأنبياء ابن كثير
٧٠ – سورة الشعراء آية (٤٧).
٧١ – المرجع السابق آية (٥٠) و(٥١).
٧٢ – سورة الأعراف آية (١٢٦).
٧٣ – الكامل في التاريخ ابن الأثير
٧٤ – سورة الأعراف آية (١٢٦).
٧٥ – سورة طه آيات (٧٢ و٧٣ و٧٤ و٧٥ و٧٦).
٧٦ – سفر الخروج الإصحاح (١١) آية (١).
٧٧ – المرجع السابق الإصحاح (١٢) آية (١٢).
٧٨ – المرجع السابق الإصحاح (١٢) آية (٢٩).
٧٩ – المرجع السابق الإصحاح (١٢) آية (٣٧).
٨٠ – المرجع السابق الإصحاح (١٤) آية (٥).
٨١ – المرجع السابق الإصحاح (١٤) آية (٦) و(٧).
٨٢ – المرجع السابق الإصحاح (١١) آية (٢).
٨٣ – المرجع السابق الإصحاح (١٢) آية (٣٤ : ٣٦).
٨٤ – المرجع السابق الإصحاح (١٤) آية (١١) وآية (١٢).
٨٥ – المرجع السابق الإصحاح (١٤) آية (١٥ : ١٧).
٨٦ – المرجع السابق الإصحاح (١٤) آية (٢١ : ٢٣).
٨٧ – سورة الإسراء آية (١٠٣).
٨٨ – سورة الزخرف آية (٥٥).
٨٩ – سورة الأعراف آية (١٣٧).
٩٠ – فجر الضمير جيمس هنري برستيد
٩١ – المرجع السابق.
٩٢ – المرجع السابق.
٩٣ – المرجع السابق.
٩٤ – ولادة إله جان بوتيرو
٩٥ – فجر الضمير جيمس هنري برستيد
٩٦ – المرجع السابق.
٩٧ – مقارنة الأديان د.أحمد شلبي
٩٨ – كتاب الموتى.
٩٩ – معجم الحضارة المصرية القديمة مجموعة من الباحثين
١٠٠ – الملوك الأول الإصحاح (٤) آية (٣٠).
١٠١ – نشيد الإنشاد الإصحاح (١) آية (٩).

١٠٢ – الديانة المصرية القديمة   ياروسلاف تشرني
١٠٣ – فجر الضمير   جيمس هنري برستيد
١٠٤ – تاريخ اليهود القديم بمصر   د.عبد المحسن الخشاب
١٠٥ – المرجع السابق.
١٠٦ – فجر الضمير   جيمس هنري برستيد
١٠٧ - سفر ملاخي الإصحاح (٤) آية (٢).
١٠٨ – فجر الضمير   جيمس هنري برستيد
١٠٩ – الملوك الثاني الإصحاح (١٨) آية (٤).
١١٠ – فجر الضمير   جيمس هنري برستيد
١١١ – هيرودوت يتحدث عن مصر   ترجمة د.محمد صقر خفاجة
١١٢ – تاريخ اليهود القديم بمصر   د.عبد المحسن الخشاب

المسيحية

" من مصر دعوت ابني "
إنجيل (متّى)

يرجع نسب السيدة العذراء (مريم) إلى (عمران) ابن (هاشم) ابن (آمون)، و(حنّة) بنت (فاقود) بن (قابيل)، وكان (عمران) – والد (مريم) – الذي يمتد نسبه إلى (داود)، قد تزوج من (حنّة) ومرت بهما أعوامٌ كثيرة لم يرزقا خلالها بطفلٍ، فتمنت (حنّة) أن تنجب إبناً، ونذرت إن تحققت أمنيتُها أن تهب هذا الإبن خادماً لله في بيت القدس[١] : (إذ قالت امرأت عمران ربِ إني نذرتُ لك ما في بطني محرراً فتقبل مني إنك أنت السميعُ العليم. فلما وضعتها قالت ربِ إني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى وإني سميتها مريم..) [٢].

تحققت إذن أمنية (حنّة)، وإن لم يكن تحققاً كاملاً كما رغبت، وكان (زكريا) – (عليه السلام) نبي ذاك الزمان – قريباً لـ(حنّة) أم (مريم)، فقيل أنه كان زوج أختها[٣]، كما قيل أيضاً أنه كان زوجاً لأخت (مريم) نفسها[٤]. وشاءت الأقدار أن يكفل (زكريا) الصغيرة (مريم)، وعمل فيما بعد على الوفاء بنذر أمها، فجعل لها مكاناً خاصاً في الهيكل لتعبد الله فيه، وتقوم هناك بخدمته أيضاً.

وظلت (مريم) على حالها من صلاة وتبتل في المعبد، حتى فوجئت ذات يوم بمن يقف أمامها، فخافت (مريم) من الرجل، الذي طمأنها وقال لها : (إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكياً)، فلما دهشت (مريم) من الأمر، أجابها الرسول : (كذلكِ قال ربك هو علي هين ولنجعله آيةً للناس..) [٥].

وحملت (مريم).. أما (إليصابات) زوجة (زكريا) نفسه، فكانت قد حملت أيضاً قبل (مريم) بحوالي ستة أشهر، حسب رواية الإنجيل[٦].

وكان أن انتشر خبر حمل (مريم) دون زواج معروف، وواجه القوم "العذراء الحامل"، وأخذوا يلومونها : (.. يا مريم لقد جئت شيئاً فرياً. يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوءٍ وما كانت أمك بغياً) [٧].

وتجاه ذلك التزمت (مريم) الصمت، كما أمرها الله : (.. فإما ترينّ من البشر أحداً فقولي إني نذرت للرحمن صوماً فلن أكلم اليوم إنسياً) [٨].

وولد لـ(زكريا) وزوجته (إليصابات) ابنهما (يحيى)، والذي اشتهر فيما بعد أيضاً باسم (يوحنا) المعمدان، إذ كان يقوم بتعميد الناس في نهر الأردن، وكان (يحيى) هو النبي السابق لبعثة المسيح (عيسى بن مريم). وكان ملك البلاد

حينذاك قد وقع في هوى ابنة أخيه، فلما أراد الزواج منها ثار (يوحنا) على ذلك، وأخذ يندد بالملك وفعلته.
ولما كانت الفتاة حريصة على الزواج من الملك، فإنها قامت بالرقص أمامه على نحوٍ مغرٍ أطارت به عقل الملك، فلما سألها عما تطلبه منه قالت : رأس (يوحنا). وكان لها ما أرادت. فجز الملك رأس النبي (يحيى) وقدمها إليها.

وقد وُلد (عيسى) ابن (مريم) إبان حكم هذا الملك المعروف باسم (هيرودوس). ويروي الإنجيل أن بعض المجوس [من الشرق] قد علموا بمولد النبي الجديد، فجاءوا فلسطين للبحث عنه وزيارته، فأدرك (هيرودوس) أهمية المولود، فعزم على القضاء عليه، فأوحى الله إلى (يوسف) – خطيب (مريم) – أن يأخذ الطفل وأمه ويهرب الجميع من وجه الحاكم الروماني، وكان الملاذ هو أرض مصر كما أمر الرب(٩). وعاشت العائلة المقدسة على أرض مصر، حتى بلغ (عيسى) الثانية عشرة من عمره، وهنا أوحى الله لـ(يوسف) مرة أخرى بالعودة بـ(مريم) وابنها إلى فلسطين، إذ أن الملك الذي كانوا يخشون بطشه قد مات(١٠). وتنفيذاً لمشيئة الله سكنت (مريم) وابنها (الناصرة)، إحدى مدن (الجليل) (١١).

وبعد عدة سنوات أُنزل الإنجيل على (عيسى)، ويذكر (ابن جرير) أن المسيح كان حينذاك في الثلاثين من عمره(١٢)، وصار المسيح يبشر أهل (الجليل) بتعاليم ربه، كما ذاع صيته أيضاً واشتهر بقدرته – غير العادية – على شفاء المرضى، " وكان (يسوع) يطوف كل (الجليل) يعلم في مجامعهم ويكرز ببشارة الملكوت، ويشفي كل مرض وكل ضعف في الشعب، فذاع خبره في جميع سورية "(١٣).

فلما انتشر ذلك صار المرضى يقبلون على (عيسى) طالبين الشفاء، فلما تحقق لهم ما كانوا ينشدونه، لم يكن أمامهم سوى أن يتبعوا صاحب هذه الكرامة. فلما رأى (عيسى) أن الجمع قد كثر من حوله صعد إلى الجبل، وقام يخطب في الناس، فقال : "طوبى للمساكين بالروح لأن لهم ملكوت السموات، طوبى للحزانى لأنهم يتعزون، طوبى للودعاء لأنهم يرثون الأرض، طوبى للجياع والعطاش إلى البر لأنهم يشبعون، طوبى للرحماء لأنهم يرحمون، طوبى لأنقياء

القلب لأنهم يعاينون الله، طوبى لصانعي السلام لأنهم أبناء الله يدعون"[١٤].
ويستطرد المسيح – عليه السلام - واضعاً رسالته داخل إطار كبير، فيقول :
" لا تظنوا إني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء، ما جئت لأنقض بل لأكمل، فإني الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل "[١٥].
ثم أمر الناس بالصلاة، فقال : " فصلوا أنتم هكذا، أبانا الذي في السموات ليتقدس اسمك، ليأت ملكوتك، لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض خبزنا كفافنا أعطنا اليوم، واغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضاً للمذنبين إلينا، ولا تدخلنا في تجربة، لكن نجنا من الشرير، لأن لك الملك والقوة والمجد إلى الأبد آمين"[١٦].
ويذكر الإنجيل أن المسيح قد اتبع أسلوباً مغايراً عما ألفه الناس، فقد كان يعلم الناس : " كمن له سلطان وليس كالكتبة "[١٧]. وكما صعد المسيح إلى الجبل وتبعه كثيرون، تبعته جموع كثيرة[١٨] أيضاً لدى نزوله من الجبل. ثم كان أن أعطى المسيح (عيسى) بعضاً مما عنده لتلاميذه، فاستطاع هؤلاء أيضاً شفاء المرضى، ثم أوصاهم بعد ذلك فقال : " إلى طريق أممٍ لا تمضوا وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا، بل اذهبوا بالحري إلى خراف بيت إسرائيل الضالة"[١٩].
وذاعت أخبار المسيح بين الناس، وفيما يبدو أن الأقوال تضاربت حوله، حتى أنه سأل تلاميذه عما يقولون هم أنفسهم عنه، فرد أحدهم وقال أنت المسيح ابن الله الحي[٢٠].
ثم أخبر المسيح تلاميذه بما لابد من قوله، فأنبأهم بذهابه إلى (القدس)، حيث تكون نهايته هناك[٢١].
ثم قال (عيسى) لتلاميذه : ".. إن أراد أحد أن يأتي ورائي فلينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعني، فإن من أراد أن يخلص نفسه يهلكها، ومن يهلك نفسه من أجلي يجدها، لأنه ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه، أو ماذا يعطي الإنسان فداءً عن نفسه، فإن ابن الإنسان سوف يأتي في مجد أبيه مع ملائكته، وحينئذ يجازي كل واحد حسب عمله "[٢٢]، وبعد ذلك أخذ المسيح بعضاً من

تلاميذه وصعدوا إلى الجبل، وهناك تحولت هيئة المسيح فأضاء وجهه كالشمس وصارت ثيابه بيضاء كالنور"[٢٣].

وإذ هم على حالهم هذه إذ بسحابة تظلهم، وإذا بصوت يخرج من هذه السحابة معلناً : " هذا هو ابني الحبيب الذي سررت به، له اسمعوا "[٢٤].

وقد حرص المسيح (عيسى) على تكتم هذا الأمر، وأوصى من كان معه بعدم البوح به حتى " يقوم ابن الإنسان من الأموات"[٢٥]. وكان المسيح حريصاً على تذكير تلاميذه الإثني عشر بالمصير الذي ينتظره، حتى أنه أبلغهم بتفاصيل الحوادث التي ستجري عليه، فقال لهم : " ها نحن صاعدون إلى (أورشليم)، وابن الإنسان يسلم إلى رؤساء الكهنة والكتبة، يحكمون عليه بالموت، ويسلمونه إلى الأمم لكي يهزأوا به ويجلدوه ويصلبوه، وفي اليوم الثالث يقوم "[٢٦].

وقد صحب دخول (عيسى) (أورشليم) ضجة عظيمة إذ " ارتجت المدينة كلها "[٢٧] أما هو فقد آثر – كما يبدو – أن يكون دخوله إلى (القدس) مرتبطاً بتغيير مفاهيم استقرت وعادات أُستؤصلت، وكذلك إعلان ما يفهم هو : " ودخل (يسوع) إلى هيكل الله وأخرج جميع الذين كانوا يبيعون ويشترون، وقلب موائد الصيارفة وكراسي باعة الحمام، وقال لهم بيتي بيت الصلوة وأنتم جعلتموه مغارة لصوص "[٢٨].

وهكذا اندفع شيوخ اليهود " رؤساء الكهنة والكتبة وشيوخ الشعب"[٢٩] إلى دار رئيسهم، واستقر أمر القوم على الإيقاع بـ(عيسى) والخلاص منه.

وكان أن تطوع أحد تلاميذ المسيح، وكان يدعى (يهوذا الأسخريوطي)، وذهب إلى المتآمرين وأعلن عن مساعدته لهم مقابل مبلغ من المال لم يكن أكثر من " ثلاثين فضة "[٣٠].

وتحين الخائن الفرصة وانتهز اجتماعاً للمسيح مع تلاميذه في ضيعة يقال لها جثسيماني[٣١]، واتفق مع رؤساء الكهنة على إشارة يحدد لهم من خلالها شخص المسيح، قائلاً : " الذي أقبله هو أمسكوه "[٣٢]. وكان ذلك ما حدث، فتقدم (يهوذا) إلى المسيح وسلم عليه ثم قبله، فألقى القوم القبض على (عيسى) بينما لاذ الجميع بالفرار.

وفي صباح اليوم التالي مضى به شيوخ اليهود إلى الوالي، وكانت عادة قد جرت بالعفو عن أحد المجرمين في أيام العيد، وكان (عيسى) وأحد اللصوص قد أقيم عليهما الحد في هذا اليوم، فلما سألهم الوالي عمن يودون الإفراج عنه، ناشدوه العفو عن اللص وصلب (عيسى بن مريم).

وهكذا صُلب (عيسى) المسيح – على حد رواية الإنجيل – "وجعلوا فوق رأسه علته مكتوبة هذا هو (يسوع) ملك اليهود"[٣٣].

العقيدة المسيحية

نستطيع أن نقول إن العقيدة المسيحية قامت على ركيزة أساسية هي : إرسال الله لـ(عيسى) عليه السلام إلى الأرض لكي يُعذب ثم يصلب، وكان لابد من أن يتم ذلك من أجل تخليص البشرية من الخطيئة الأولى، وهي الخطيئة التي ارتكبها (آدم) "أبو البشر"، فصار أبناؤه يحملون وزر هذا الإثم، حتى جاء المسيح فقدم نفسه فداءً للناس، وسُفح دمُه كي يرفع جرم (آدم) من أعناق بنيه.

ومن أهم المباديء التي تنهض عليها العقيدة المسيحية هي : الإيمان بالتثليث، أي بالثالوث المقدس، المكون من ثلاثة أقانيم هي : الأب والإبن والروح القدس، وهو المبدأ الذي أقره مجمع نيقية عام ٣٢٥ م، وأصدر به بياناً نقرأ منه العبارة التالية : "نؤمن بالله الواحد، الأب، مالك كل شيء، وصانع كل ما يُرى وما لا يُرى، وبالإبن الواحد (يسوع) المسيح، إبن الله الواحد، بكر الخلائق كلها، الذي وُلد من أبيه قبل العوالم كلها، وليس بمصنوع، إلهٌ حق من إلهٍ حق، من جوهر أبيه الذي بيده أتقنت العوالم وخلق كل شيء من أجلنا ومن أجل معشر الناس، ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد من روح القدس، وحُبل به، ووُلد من (مريم) البتول، وصُلب أيام (بيلاطوس)، ودُفن ثم قام في اليوم الثالث وصعد إلى السماء وجلس على يمين أبيه "[٣٤].

أما الكنيسة المسيحية فقد قامت على مباديء يجب على كل مسيحي الإيمان بها، وتُسمى "أسرار الكنيسة". ويعرف الإرشيد ياكون (حبيب جرجس) السر الكنسي بأنه " نعمة غير منظورة نحصل عليها بممارسة طقس ظاهر ذي علاقة بها على يد كاهن شرعي ".

أما هذه الأسرار فهي سبعة، يأتي على رأسها : سر المعمودية، وهو فاتحة بقية الأسرار، فمن لم يُمنح سر المعمودية لا يحق له الاشتراك في بقية الأسرار. وهو طقس يتم فيه تغطيس الطفل، أو من يشاء اعتناق المسيحية، في الماء باسم الآب والإبن والروح القدس. وهذا السر يعتبر ميلاداً ثانياً ولازماً للحصول على الخلاص.

ويلي سر المعمودية : سر الميرون، ويسمى أيضاً بسر المسح، وهو اللفظ الذي أُشتق منه اسمُ المسيح. وهو طقسٌ يتم خلاله مسح من تم تعميده بما يسمى بالميرون، وهو مزيجٌ من عدة أنواع من الطيوب يصل عددها إلى ٣٠ صنفاً.
سر الشكر : " ولهذا السر المقام الأسمى بين الأسرار السبعة المقدسة "، كما يقول (حبيب جرجس). وسر الشكر شعيرة كنسية يتناول خلالها المسيحي شيئاً من خبزٍ وشيئاً من خمر، على أن يؤمن المتناول أن ما أكله وما شربه ليس سوى جسد المسيح ودمه. ومن خلال هذا السر يمنح المرء الحياة الأبدية.
سر التوبة : وهو الإقرار أو الإعتراف بالذنب أو الخطيئة أمام الكاهن على أن يقترن ذلك بالندم، ومن خلال ذلك ينال المغفرة.
سر مسحة المرضى : وهو طقس كنسي يقوم أثناءه الكاهن بمسح المريض بزيت مقدس فيشفي المريض من أمراضه الروحية والجسدية.
سر الزيجة : وهو سرٌ مؤسسٌ على أمر الرب، به يتحد الرجل والمرأة اتحاداً مقدساً.
سر الكهنوت : وهو السر أو الطقس الذي يمنح خلاله الكاهن رتبته أو درجته[٣٥].

وقد وضعت الكنيسة نظاماً هرمياً للكهنوت، تندرج تحته درجات رجال الدين، فأولهم هو القس، ويرأس هؤلاء القساوسة في المدينة الواحدة كبير لهم يعرف باسم الأسقف أو المطران. ويرتفع فوق هؤلاء كبيرُ أو رئيس الأساقفة، ومن رؤساء الأساقفة صار منهم خمسة أُطلق عليهم لقب البطريق، وكانوا رؤساء خمس كنائس رئيسية هي : (أنطاكية) و(القدس) و(القسطنطينية) و(الإسكندرية) و(روما)، تلك الكنيسة التي اختص رئيسها في النهاية بلقب البابا[٣٦].

وقد انقسمت العقيدة المسيحية على نفسها فيما يخص طبيعة المسيح الإلهية والإنسانية، فظهرت عدة مذاهب كان أشهرها :

- مذهب النسطوريين، وهم ينسبون إلى بطريرك (القسطنطينية)، وكان يدعى (نسطور) [٤٣١ م] [٣٧]، والذي يرجع (الشهرستاني) ظهوره إلى عهد الخليفة (المأمون) بن (هارون الرشيد) [٣٨].

ويذهب (نسطور) إلى أن للمسيح طبيعتين، فـ(عيسى) قد ولد إنساناً ولذا لا تكون (مريم) أماً لإله، ثم حدث بعد الميلاد اتحاد "مجازي" بين الإنسان والإله[٣٩].

- المذهب الكاثوليكي أو الملكائي، وهو الذي تأثر برأي (نسطور)، إلا أن الكاثوليك يعتقدون أن (مريم) قد ولدت المسيح بطبيعته الإنسانية والإلهية معاً.

- مذهب الأرثوذكس، وهو ما آمنت به كنيسة (الإسكندرية)، وينادي بطبيعة واحدة للمسيح أو على حد قول البابا (كيرلس) بابا كنيسة (الإسكندرية) : " إن لسيدنا (يسوع) المسيح أقنوماً واحداً إلهياً اتحد مع الطبيعة الإنسانية اتحاداً تاماً بلا اختلاط ولا امتزاج ولا استحالة، فالعذراء والحالة هذه هي بحق والدة الإله، فـ(مريم) لم تلد إنساناً عادياً بل ابن الله المتجسد، لذلك هي حقاً أم الله"[٤٠].

الإنجيل : عهد جديد

يعتبر المسيحيون كتابهم المقدس مكوناً من جزئين، الأول هو العهد القديم، وهو كتاب اليهود، والثاني هو الإنجيل أو العهد الجديد.

والإنجيل كلمةٌ يونانية تعني البشارة، أي تلك البشرى التي حملها المسيح إلى البشر بتخليصهم من ذنب أبيهم (آدم) [٤١]. ويعتبر الباحثون (بولس) هو المؤسس الحقيقي للمسيحية، كما أنه مصدر تشريعها. و(بولس) كان مواطناً رومانياً ترك ديانته اليهودية واعتنق المسيحية. وبالرغم أن (بولس) - الذي كان يدعى (شاؤول) – لم يلتق بالمسيح، إلا أنه كان له الفضل الأول في تغيير دفة التاريخ لهذه الديانة الجديدة، وتقدم بها على طريق العالمية، وقد خلف (بولس) أربعة عشر مقالاً عرفت بالرسائل[٤٢].

وبالإضافة إلى ما كتبه (بولس) من رسائل ؛ هناك الأناجيل الأربعة الشهيرة التي يقول عنها (ابن حزم) : " إنها أربعةُ تواريخ ألفها أربعةُ رجالٍ معروفون في أزمان مختلفة. وقد نُسب تأليف أحد هذه الأناجيل إلى (لوقا) تلميذ (بولس)، وقد كتب هذا الإنجيل باليونانية فيما بين عامي ٨٠ و٩٠ ميلادية[٤٣].

وبينما كان (لوقا) يهدف من إنجيله هداية الكفار به دون اليهود، نجد أن (متّى) ينشيء إنجيله مستهدفاً اليهود، فجعل إنجيله باللغة التي يفهمها اليهود وهي العبرية(٤٤).

ويذكر الإمام (ابن حزم) أن (متّى) كان تلميذاً للمسيح، وقد ألف إنجيله بالعبرانية في بلدة (يهوذا) (٤٥)، إلا أن هذا الإنجيل قد اختفى تماماً وحلت محله ترجمة باللغة اليونانية(٤٦). وإنجيل (متّى) هو الأول بين الأناجيل الأربعة لأنه امتدادٌ للعهد القديم بشكل ما، على حد قول (موريس بوكاي). أما (مرقس) فقد حرر إنجيله فيما بين عامي ٥٦ و٦٥ م(٤٧). وكان (مرقس) هو الذي بشر بالدين المسيحي في مصر، وبالذات في (الإسكندرية)، حيث بنى هناك أول كنيسة(٤٨). ويعتبر "إنجيل (يوحنا)" أحدث كتب العهد الجديد، ويعتبر "جمهور المسيحيين" (يوحنا) هو ذاته الحواري (يوحنا) (٤٩)، الذي كان المسيح يحبه ويؤثره على الآخرين(٥٠). وينسب إلى (يوحنا) "رؤياه" التي جاءت في نهاية العهد الجديد.

وعن الإنجيل "كتاب المسيحيين المقدس" يقول (الشهرستاني) : "والإنجيل النازل على المسيح لم يختص أحكاماً ولا استنبطن حلالاً وحراماً، ولكنه رموزٌ وأمثال ومواعظ ومزاجر، وما سواها من الشرائع والأحكام فمحالة على التوراة "(٥١).

يبدو أن راية التغيير التي حملها المسيح ولوح بها في وجه كهنة اليهود، ثم ثورته عليهم، وكذلك روح التحدي التي بثها في حوارييه، كان باعثاً على مواجهة اليهود القاسية للحركة الدينية الجديدة وأنصارها.
وبالرغم أن المسيح كان حريصاً على إعلان أنه لم يجيء لنقض الناموس ، إلا أنه بادر بتغيير بعض أحكام التوراة ، وهو ما حدا باليهود أن ينكروا دعوته ، بل ويرمونه بالكفر، وعن مخالفة (عيسى) [عليه السلام] لليهود يقول (الشهرستاني) أن المسيح : " كان مأموراً بمتابعة (موسى) وموافقة التوراة، فغير وبدل ، وعدوا عليه تلك التغييرات ، منها تغيير السبت إلى الأحد، ومنها تغيير أكل الخنزير، وكان حراماً في التوراة ، ومنها الختان والغسل وغير ذلك ".
وكان المسيح يواجه شيوخ اليهود ؛ فينتقد أحوالهم وأقوالهم : "ويلٌ لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون ؛ لأنكم تغلقون ملكوت السموات قدام الناس، فلا تدخلون أنتم ولا تدعون الداخلين يدخلون، ويل لكم أيه الكتبة والفريسيون المراءون ؛ لأنكم تأكلون بيوت الأرامل، ولعلة تطيل صلواتكم، لذلك تأخذون دينونة أعظم، ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون للقادة العميان، أيها الحيات أولاد الأفاعي.. "[٥٢].
ثم كان الإنفصال التام بين اليهودية والمسيحية، والذي حققه (بولس)، ليخرج بذلك من إطار الدين اليهودي الضيق، ويتقدم بالدعوة الجديدة إلى أفق عالمية.. فكان الصدام التالي بين المسيحيين والرومان حكام البلاد. فكان إضطهاد الرومان للمسيحيين عنيفاً وقاسياً، ونالت حركة الإضطهاد الرومانية مسيحيي مصر، وبلغت ذروتها على يد الإمبراطور (دقلديانوس)، الذي اتخذ المسيحيون المصريون من عهده (٢٨٤– ٣٠٥ م) بداية لتقويمهم.
وبسبب ملاحقة الرومان للمصريين المسيحيين ؛ اندفع هؤلاء فارين بدينهم إلى الصحراء ؛ التي وجدوا فيها ملاذاً للإحتماء والحماية لعقيدتهم.

وكان هؤلاء يسيرون على درب أسلافهم، أصحاب العقيدة المصرية [القديمة]، حين أسسوا في صحراء مصر ما عُرف فيما بعد بنظام الدير أو الرهبنة، فقد كان هذا النظام مصرياً أصيلاً أسسه كهنة مصريون.

ويُعتبر القديس (أنطون) والقديس (بولا) هما أول من أنشأ نظام الرهبنة.

أما القديس (باخوم) فكان أول من جمع الرهبان في مكان عُرف باسم الدير، كما أنشأت أخت القديس (باخوم) ديراً للنساء.

ومن مصر انطلق هذا النظام إلى البلاد المجاورة، فقد انتقل إلى فلسطين، ومنها انتشر في آسيا الصغرى، ثم أوروبا. وصار قانون (باخوم) سارياً في جميع أديرة العالم منذ القرن الرابع الميلادي. وعن هذا يقول د.(عبدالحميد رأفت) : " الأمر الذي لا سبيل إلى الشك فيه أن فكرة الرهبانية في المسيحية وأنماط حياتها كانت مصرية خالصة، لم تأخذ عن أي هذه الأنماط التي سبقتها شيئاً، بل على العكس من ذلك، هي التي تركت آثارها البعيدة على الحركة الرهبانية في العالم كله (....) لم يكن غريباً على أن تكون الرهبانية المصرية – في زمانها – أنموذجاً حرص المسيحيون في الإمبراطورية البيزنطية على معرفة أسرارها وتنظيماتها، التوحيدية منها والديرانية، فكانت مصر في هذا التيار- دون منازع – رائدة العالم المسيحي "[٥٣].

هكذا كان الفضل يرجع إلى عقيدة مصر وحضارتها في تأسيس واحد من أهم المؤسسات المسيحية التي انتشرت في أرجاء العالم، ومازالت موجودة حتى اليوم.

فهل هناك نقاط التقاء أخرى بين ما بشر به المسيح، وما دعا إليه من عقائد ومباديء إيمانية وتعاليم، وبين ما جاء في نصوص الدين المصري [القديم] ؟ وهل هناك ثمة علاقة بين (عيسى بن مريم) وبين أرباب مصريين ؟.

هذا ما سوف نحاول الإجابة عليه.

بين المسيح و"أوزيريس" المصري

الأسطورة :

تروي الأسطورة المصرية أن "نوت" ربة السماء و"جب" رب الأرض أنجبا أربعة أبناء هم : "أوزيريس" و"إيزيس" وست" و"نفتيس".

ويقال أن "أوزيريس" قد ولد في اليوم الثاني عشر من أول شهر في السنة المصرية [القديمة] (٥٤). وعندما وُلد "أوزيريس" إذا بصوت يعلو من معبد (طيبة) مبشراً بميلاد الملك العظيم الطيب(٥٥)، وكان أن ورّث "جب" ابنه البكر "أوزيريس" سلطان الأرض : "فأعطاه ملك الأرضين، وأسند إليه قيادة البلاد لإسعادها، وسلمه هذه الأرض في يده : ماءها وهواءها ونباتها وقطاعاتها، وكل ما يطير وكل ما يسبح في الفضاء أعطي لابن "نوت"، وسعدت مصر بذلك، وكان "أوزيريس" ملكاً عظيماً وسطع على عرش أبيه، كالشمس عندما تشرق بأشعتها لكل من يعيش في الظلام "(٥٦).

وكان "أوزيريس" ملكاً قوياً شجاعاً، يهابه أعداؤه، وكان عادلاً، فعمل على تثبيت " أقدام الحقيقة في مصر"(٥٧)، وكانت كل أعمال هذا الملك طيبة، عادت بالنفع على كل البشر، الذين علمهم الزراعة، وأرسى بينهم الناموس، ونشر بينهم الدين، وارتفع بالناس إلى مستوى حضاري راق.

ولم يكن "أوزيريس" فظاً، بل كان يتقرب إلى الناس بعزف الموسيقى، فكان مبشراً مرغباً، لا منفراً مرهباً، فأحب الناس مليكهم الطيب "ون نفر"(٥٨).

غير أن ذلك كله أثار حسد شقيقه "ست" فحقد على أخيه، وتمنى الخلاص منه واحتلال مكانه. ثم كان أن عقد "ست" العزم على ذلك فتآمر مع اثنين وسبعين من رجاله(٥٩)، فأعدوا خطة للتخلص من "الملك الطيب"، وبعد أن توصلوا إلى معرفة طول قامة "أوزيريس"، التي كانت تبلغ حوالي ثماني أذرع وستة أشبار وثلاثة أصابع [حوالي : أربعة أمتار وستة وستين سنتيمتراً] (٦٠)، عمدوا إلى صنع تابوت بنفس الحجم، وأقام "ست" وليمة دعا إليها أخاه، وأثناء الحفل

عُرض التابوت النفيس أمام الجميع، ووعد بإهدائه لمن يناسبه حجماً، فأخذ المتآمرون يرقدون في التابوت، الواحد تلو الأخر، فلم يوافق حجم أحدٍ منهم، إلا "أوزيريس" الذي ما أن رقد في التابوت حتى تم إغلاقه إغلاقاً محكماً، ثم أُلقي به في النهر، وأسلمه النهر إلى البحر، فوصل "أوزيريس" إلى شواطيء (فينيقية)، وتحديداً ميناء (جبيل) (ببلوس)، وهناك استقر التابوت تحت شجرة، سرعان ما تضخم ساقها وسمقت فروعها، ولا عجب، فهي تضم رب النماء والخضرة "أوزيريس".

وكان أن أعجب ملك البلاد بالشجرة الضخمة العجيبة، فاتخذ جذعها عموداً يدعم به سقف بلاطه الملكي.

أما "إيزيس"، زوجة "أوزيريس" وأخته، فقد كانت تبحث عن شقيقها وزوجها، حتى وصلت إلى (جبيل)، وهناك بجوار نبع أخذت تبكي وتنوح، ولا تكلم أحداً إلا وصيفات الملكة وخادمات القصر، فقد تعمدت أن تصفف لهن شعورهن وتدهنها بعطر نادر لا مثيل له.

وما أن فاح عطر "إيزيس" بأرجاء القصر ؛ حتى أمرت الملكة بإحضار "إيزيس" بين يديها، ثم كان أن اتخذتها صاحبة لها وأوكلت لها مهمة رعاية وليدها وإرضاعه.

وهكذا تم لـ"إيزيس" ما سعت إليه، فصارت على مقربة من زوجها، وما أن حانت لها الفرصة حتى انتزعت تابوته ورجعت به. ثم استطاعت "إيزيس"، الساحرة العظيمة، أن تحمل من "أوزيريس"، وتنجب منه ابناً هو "حورس".

ولكن "ست" البغيض استطاع الاستيلاء على جثمان أخيه الطيب "ون نفر"، فقطعه إرباً. وجلست "إيزيس" تنوح نادبة :

" عد إلى دارك، عد إلى دارك أيها الرب "ون"، عد إلى دارك يا من بلا أعداء، أيها الفتى الجميل عد إلى دارك فتراني، إني أختك، التي تحبها، ولا تود أن تفقدك، أيها الصبي الجميل، عد إلى دارك، وإن كنت لا أراك فقلبي يفيض بحبك، عيناي تتحرقان إلى رؤياك فعد إلى من تحبك، أنا حبيبتك يا "ون نفر" الصديق، فعد إلى أختك، زوجتك، فإنا من أم واحدة، فلا تهجرني، ها هي الأرباب والناس يقصدونك، يبكونك، وأنا أناديك وأبكيك، سُمع صوتي في

السماء، أفلا تسمعني أنت، وأنا أختك التي أحببتها على الأرض، ولم تحب غيرها، يا أخي، يا أخي ".
وسمع الله "إيزيس" فأرسل إليها "أنوبيس" فجمع أشلاء "أوزيريس"، وقام بتحنيط جثمانه ودفنه.
ولما كان "أوزيريس" ملكاً على الأرض، فإنه صار ملكاً على العالم الأخر، عالم الموتى. وجمع بين يديه مقاليد السلطان على هذا العالم وصار متحكماً في كل أموره، فأمامه يقف الموتى ليفصل بينهم، يثيب الخير ويدين المجرم.
وهكذا رسخت العقيدة الأوزيرية في أذهان المصريين منذ أقدم العصور، وامتدت بطول التاريخ المصري في كل أرض مصر.
كان "أوزيريس" المثل الأول والأعلى لدى المصريين في مسألة الموت والقيامة، فكان هو أول من مات، وكذلك هو أول من بُعث، وهو أول أهل الغرب، أي الموتى، الذين كانوا يدفنون في غرب النيل، أو حيث تغرب الشمس.
وكان "أوزيريس" كذلك أول من تم تحنيطه، فكان ذلك بمثابة أول تجربة للحفاظ على الجسد البشري بعد الموت ليبعث بعد ذلك.
لقد كان الموت مسألة هامة في العقيدة الأوزيرية، إذ كان لابد من موت (أوزيريس) أولاً حتى يبعث، فكان موته حتمياً، وكان الرب الوحيد الذي مات... ليحيا.

وكان المصريون [القدامى] يفهمون الموت بأنه النهاية التي لا مفر منها لكل حياة، ولذا كانوا يبغضونه ويقولون عنه : " الموت أمر بغيض يجلب الدموع والأحزان، ويخطف الرجل من بيته، ويلقي به على كثيب رملي في الصحراء، ولن تعود إلى الأرض أو ترى الشمس "[٦١].
والموت هو أمر بيد الله، خالق الحياة، وهو أيضاً الذي ينهيها كذلك في أي وقت هو يشاء، فالموت أمر مفاجيء، لابد أن يتوقعه المرء صغيراً كان أو كبيراً : " لا تقل إني لا أزال شاباً، ذلك لأنك لا تعرف متى يحين أجلك، فالموت يحضر ويأخذ طفلاً من حجر أمه كما يأخذ رجلاً مسناً "[٦٢].
ونقرأ في نص مصري آخر : " كنت طفلاً عندما خُطفت بالعنف، اختصرت سنوات حياتي وأنا وسط زملائي في اللعب، انتُزعت فجأة في شبابي كرجل

يروح في سبات عميق، كنت شاباً عندما أخذني الموت إلى المدينة الأبدية، وذهبت إلى سيد الآلهة دون أن أحظى بوقتي على الأرض، لي كثير من الأصدقاء ولكن لم يستطع أحد منهم أن يدافع عني "(٦٣).

الموت إذن لحظة اختطاف عنيف وانتزاع مفاجيء. وقد صور المصريون [القدامى] الموت أيضاً على أنه "لص بغيض"(٦٤) يتسلل مستتراً بالظلام ليخطف الأطفال : " اختف يا من تأتي في الظلام، يا من تأتي سراً.. هل أتيت لتلقي تعويذة الموت على هذا الطفل، لن أسمح لك بذلك، هل أتيت لتخطفه، لن أسمح لك بأن تخطفه"(٦٥).

إنه لص يأتي ليلاً، هكذا نظرت المسيحية إلى اليوم الذي سيزول فيه السموات، أي نهاية الحياة كلها :

" ولكن سيأتي كلص في الليل يوم الرب في الليل يوم الرب الذي تزول فيه السموات "(٦٦).

والموت في العقيدة المسيحية هو فراق الروح للجسد(٦٧)، وهو نفس ما آمن به المصريون من قبل، فقد قالوا إن الموت هو لحظة فراق للجسد، وهو فراق لا يدوم، لأن الروح تعود لجسدها ليحيا الإنسان ثانية.

وما بين فراق الروح وعودتها تظل الروح حية، أو بمعنى أصح تملك القدرة على الحياة كما أنها أيضاً تملك القدرة على مساعدة من يلوذ بها، كما أنها باستطاعتها إلحاق الأذى بمن تريد.

وهو نفس ما آمن به المسيحيون الكاثوليك فيما بعد، فهم يعتقدون أن لروح المتوفي القدرة على مساعدة من يلجأ إليها. وهم يقيمون احتفالاً سنوياً يسمى "عيد كل الأرواح"، ومازالوا يؤمنون بأن أرواح الموتى تستطيع زيارة الأحياء، بل وتناول الطعام أيضاً، ومازال البعض يضع طعاماً خصيصاً لهذه الأرواح(٦٨).

والموتى.. عند [قدماء] المصريين، وخاصة الأبرار منهم، يستطيعون الحصول على زادهم من ربات السماء، كما ساد لديهم الإعتقاد بوجود "شجرة جميز" في شرق السماء يعيش عليها الأرباب، وهي "شجرة الحياة" التي يتغذى الأبرار من ثمارها(٦٩).

وهو ما نص عليه الإنجيل أيضاً في الآية التالية : " من يغلب فسأعطيه أن يأكل من شجرة الحياة التي في وسط فردوس الله"(٧٠).
وعلى الأرض أيضاً كان لهذه الشجرة أهمية عظيمة، ففي معبد "بتاح" في مدينة (منف) [ميت رهينة الآن]، كانت "شجرة الجميز" هذه تلقى كل آيات الاحترام والتبجيل، إذ كان المصريون يؤمنون أن الربة "حتحور" تسكن هذه الشجرة، كما عرفت "حتحور" نفسها بلقب سيدة الجميز. ومن أعظم المهام التي اضطلعت بها "حتحور" كانت توفير الزاد للموتى(٧١).
وفي صور عديدة نرى الربة "حتحور" وهي تخرج من الشجرة المقدسة ؛ لتقدم الماء والطعام للموتى الذين يركعون أمامها.
يقول (إريك هورنونج) عن هذه الشجرة : " الشجرة تدل على "نوت" أو "حتحور"، تظهر في شكل إنثوي، يبرز من شجرة وهي تقدم للمتوفي وروحه (البا) الماء البارد والطعام ".
ويضيف (هورنونج) أن هذه الشجرة أيضاً : " توفر الظل والرطوبة والطعام، وفيها تجد الروح كل ما تتطلبه، وعلى ذلك فإن الشجرة تقدم جدولاً من الحياة لا ينقطع في العالم الأخر"(٧٢).
وقد كان الإيمان بالبعث بعد الموت من أهم الأسس التي نهض عليها الدين المصري. وكانت عقيدة "أوزيريس"، التي توهجت من خلالها هذه المسألة، من أقدم العقائد المصرية وأكثرها استمراراً، منذ أن نشأت قبل عصر الأسرات، ودامت حتى عصر البطالمة الإغريق.
وقد انطلقت هذه العقيدة [الأوزيرية] من شمال البلاد في الدلتا، وتحديداً من مدينة كانت تسمى (ددو)، وهي تعرف الآن باسم (أبو صير)، وكان الإغريق يسمونها (بوزيريس)، أي بيت "أوزيريس"(٧٣).
ثم انتشرت عقيدة "أوزيريس" في مصر كلها، فامتدت إلى المدينة العظيمة (منف)، حيث اتحد "أوزيريس" مع رب الموتى هناك : "صقر" أو "سقر"، وفي أبيدوس [البلينا – سوهاج]، في جنوب البلاد، احتل "أوزيريس" مكان رب الموتى : "خنتي أمنتيو"، فصار أول أهل الغرب، وصارت (أبيدوس) أهم مراكز عقيدة "أوزيريس"، كما صارت كعبة للحجاج المصريين، ويرجع ذلك إلى أسطورة تقول أن رأس "أوزيريس" قد دفنت في هذا المكان.

ويرجع العلماء احتلال "أوزيريس" لمكان "خنتي أمنتيو" إلى العام (٣٠٠٠) قبل الميلاد[٧٤]. وفي الدولة القديمة يشير نص من نصوص الأهرام إلى موت "أوزيريس" العنيف على يد أخيه "ست"، إذ يقول : " لقد طرحه "ست" أرضاً وهما في نديت"[٧٥].

وكان الملك حتى هذا الحين هو وحده صاحب الحق في أن يكون "أوزيريساً" بعد الموت. فحتى نهاية الأسرة الخامسة كان الملك الميت يتحول إلى "أوزيريس"، وهو ما تغير فيما بعد..

ثورة "أوزيريس"

يروي لنا التاريخ المصري [القديم] أنه في نهاية الدولة القديمة، وتحديداً في نهاية الأسرة السادسة، أن ملكاً يعرف باسم (ببي الثاني)، تولى حكم مصر وهو مازال طفلاً [في الرابعة أو السادسة من عمره]، وسجل هذا الملك أطول مدة حكم عرفها التاريخ الإنساني، إذ توفي وعمره مائة عام.

وفي خلال هذه الفترة الطويلة بدأت الشيخوخة التي عانى منها الملك تدب في أوصال السلطة نفسها، مما شجع أمراء الأقاليم على العمل على زيادة نفوذهم، وفي نهاية الأمر غرقت البلاد في مستنقع الفوضى والإنقسام، وتعرضت لعدة غارات خارجية.

وقد صور الشاعر المصري (أيبوور) حالة البلاد حينذاك فقال :

" انظر، لقد حدثت أشياء لم تحدث منذ زمن طويل، خطف اللصوص الملك. انظر، لقد جاء أناس عديمو الإيمان، ولا يحترمون القانون ؛ لينهبوا أرض مليكهم. انظر، يتمرد الناس ضد الفرعون.. نُهب القصر في مدة ساعة.. أفشيت أسرار ملوك مصر العليا والسفلى.. والرجل الذي لم يكن بوسعه شراء تابوت يملك الآن قبراً.. ومن لم يستطع أن يبني لنفسه كوخاً صار الآن مالك بيت.. لقد تشتتت القضاة وتفرقوا.. انظر، هاهم مالكو صواوين الثياب يلبسون الآن الأسمال، والرجل الذي لم ينسج قط شيئاً لنفسه يملك الآن ثياب التيل الفاخرة. انظر، الرجل الذي لم يستطع بناء طوف لنفسه يملك الآن عدة قوارب،

بينما يتطلع إليه مالكها السابق، فما عادت ملكه. انظر، الرجل الذي لم يستطع أن يعزف على الربابة، يملك الآن قيثارة ".

كان (أيبوور) قد سجل هذه الأحوال المضطربة حوالي عام ٢٢٨٠ قبل الميلاد(٧٦).

وانتهى الأمر إلى تعثر النهضة التي كانت شهدتها الدولة القديمة، وكان الانحطاط قد ساد جميع المجالات، إلا أن الشعب المصري استطاع أن يسجل إنجازاً تاريخياً، وهو انتزاع أفراد الشعب لحق البعث، مثلهم في ذلك مثل الملوك. لقد صار لكل فرد من أفراد الشعب الحق في أن يكون "أوزيريساً"، هكذا تساوى الناس جميعاً– على الأقل – في الأخرة، وهو ما يعتبر إنجازاً مصرياً لم يسجله التاريخ لغيرهم.

وكان أن هبط الملوك من عليائهم، فصاروا بشراً، وتحولت ألقابهم من "الملوك الآلهة" إلى "الملوك الطيبين"، وهكذا توطدت "عقيدة أوزيريس" في البلاد وفي نفس كل مصري، فقد منحهم "أوزيريس" (جميعاً) الأمل والحق في البعث والخلود.

كان "أوزيريس" – الرب الذي مات ليحيا – صورة يراها المصري في أرضه وفي سمائه، فربط بين عودة "أوزيريس" للحياة بعودة الفيضان إلى أرض مصر، لتحيا مرة أخرى بعد موتها.

فقد كان "أوزيريس" هو نفسه هذا الماء العائد من جديد ليخصب الأرض، فتكتسي حقول المصريين بالخضرة، وهكذا كانوا يطلون وجه "أوزيريس" في نقوشهم باللون الأخضر.. لون الحياة، فإذا ما تراجع الماء وانحسر وجفت الأرض وماتت، يكون "أوزيريس" قد مات، ثم يعود للحياة مرة أخرى في العام التالي، وهكذا لا ينفرط عقد الحياة الخالدة، ولا يموت "أوزيريس" إلا ليحيا. مثله في ذلك مثل القمر في السماء، الذي لا يأفل إلا ليعود للسطوع ثانية، هكذا كان "أوزيريس" رباً للقمر أيضاً، بل إنه اعتبر الشمس الغاربة التي تعود ثانية للإشراق(٧٧).

كان البعث بعد الموت، وخلود الروح، فكرة مصرية عريقة، وما نشاهده الآن بطول البلاد وعرضها من آثار ضخمة، ليس سوى انعكاس لهذه الفكرة العظيمة، التي نشأت على أرض مصر.

كانت أصالة فكرة البعث، وتشبث المصريين بها، دافعاً لهم للإقبال على الدين الجديد بعد أفول دينهم القديم، أو كما يقول (والاس بدج) : " حتى عندما اختفت في النهاية ديانته [يقصد ديانة "أوزيريس"]، أمام ديانة المسيح الإنسان، نجد المصريين لم يرحبوا بهذه الديانة إلا لأنهم وجدوا النظام الفكري للعبادتين القديمة والحديثة متماثلاً، وأن بكل منهما وعداً بالبعث والخلود"[٧٨].

وهكذا وبعد عدة آلاف من السنين من نشأة فكرة الخلود والبعث على أرض مصر، يجيء (عيسى) [عليه السلام] ليؤكدها، فكان هو نفسه مثل "أوزيريس"، الذي مات ليحيا.

ومن بعد المسيح جاء القديس (بولس) ليؤكد على مكانة وأهمية هذا المبدأ الإيماني العظيم، فقال : " وإن لم يكن المسيح قد قام فباطلة كرازتنا وباطل أيضاً إيمانكم "[٧٩]. البعث [القيامة] والخلود إذن جزء لا يتجزأ من العقيدة المسيحية، وهو ما قر في قلوب الناس وظل ماثلاً في أذهانهم حتى اليوم.

يقول د. (سيد عويس) : " بدراسة تاريخ الثقافات الغربية نجد أن "فكرة خلود الروح" قد لعبت دوراً أكبر من فكرة "وجود الله"[٨٠]."

وقد لاحظ (ويليام جيمس) ذلك عندما قال : " إن الدين في الواقع عند الأغلبية من الناس يعني خلود الروح ليس إلا، وأن الله مُوجد هذا الخلود "[٨١].

ويقول الكاتب الأسباني (ميجيل دي أنامنوا) : " كنت أتحدث إلى فلاح ذات يوم، وقد اقترحت عليه فرض عدم وجود الروح، وأنه لن يكون بعث ولا نشور بالمعنى التقليدي المعروف. فأجابني الفلاح قائلاً : وما فائدة وجود الله إذن "[٨٢].

وكان (لوثر) يؤكد نفس المعنى حين قال : " إذا لم تعتقد في اليوم الأخر ما ساوى إلهك عندي شيئاً "[٨٣].

تبلورت عقيدة الخلود وتوهجت في الفكر الديني الأوزيري، وكما كان "أوزيريس" هذا الرب الذي مات ليحيا، كان المسيح مثله فيما بعد، وهو ما جاء في نصوص الإنجيل عن المسيح : " هذا يقوله الأول والأخر الذي كان ميتاً فعاش "[٨٤]، وكذلك : " إنك حي وأنت ميت "[٨٥].

أما "أوزيريس" المصري فيقول :

" سواءً عشت أم مت أنا "أوزيريس"

ألج فيك، فأظهر بك من جديد

أفنى فيك، وأخر على جنبي

وبي تحيا الأرباب لأنني أحيا في القمح وأنمو فيه

وعليه يعيش المبجلون

أكسو الأرض

سواءً عشت أم مت، أنا الشعير

لا أبيد

ولجت في النظام

وأركن على النظام

وبت رب النظام

وانبثقت في النظام "[٨٦].

وقد رسخت فكرة البعث في العقيدة المسيحية، وبلورها المسيح في مقولة له ثم صارت تتجسد طقساً كنسياً. يقول السيد المسيح : " من يأكل جسدي ويشرب دمي فله حياة أبدية وأنا أقيمه في اليوم الأخر، لأن جسدي مأكل حق ودمي مشرب حق، من يأكل جسدي ويشرب دمي في وأنا فيه "[٨٧].

وفكرة أكل الإله أو الرب أو أجزاء منهما فكرة تعود إلى أزمان موغلة في القدم، وهي تقوم على امتلاك الإله لقوة لا يمتلكها البشر، فإذا أكله هؤلاء الآلهة، أو جزءاً منه، حلت فيهم هذه القوة الإلهية.

وقد آمن المصريون بمثل هذه الأفكار قبل التاريخ، ووصلت أصداء هذه العقيدة إلى عصر الأسرات، وهو ما يتضح في نصوص خاصة بالملك (يوناس)، أحد

ملـوك الأسـرة الخامسـة [٢٤٠٠ ق. م]، وقـد ورد بهـذه النصـوص أن الملـك (المتوفي) قد أكل كلمات القدرة وابتلع أرواحها، فصـارت لـه قوة الآلهـة فصـار في مقدوره أن يتحرك في السماء[٨٨].

ويعلق (والاس بدج) على ذلك فيقول : " الكلمات المذكورة في نص (يوناس) لم تحدد بشكل قاطع أن الملك أكل أكباد الآلهـة التـي ذُبحت من أجلـه، ولكن هنـاك أدلـة مـن إجمـالي الـنص تشـير إلـى أنهـا مـن المفتـرض أن تشـكل جـزءاً مـن طعامه"[٨٩].

الرمز المقدس

ربط البعض بين رمز الحياة المصرية "عنخ" وبين الصليب، واعتبروا الأول أصـلاً للثـاني[٩٠]. كمـا يحتـوي المتحـف القبطـي بالقـاهرة علـى شـاهد قبـر يحمل الرمزين معاً "عنخ المصرية" وصليب المسيح.

أمـا فيمـا يخـص "أوزيـريس"، فقد كـان لـه رمـزه الخـاص بـه، وهـو عبـارة عـن عامود قمته مقسمة إلى أجزاء، ويعتبر هذا العـامود المعروف بــ "جد" أو "دد" مـن أقـدس الرمـوز المصـرية[٩١]. ويمكـن ترجمتـه مـن اللغـة المصـرية بمعنـى "البقاء" أو "الثبات" أو "الاستقرار".

ولمـا كـان هـذا العمـود رمـزاً أوزيريـاً محضـاً ؛ فيمكن اعتبـاره دلـيلاً علـى بقـاء "أوزيـريس" واسـتمراره فـي الحيـاة رغـم موتـه. وكـان المصـريون يقيمـون فـي (منف) حفلاً يقيمون فيه هذا العمود حتى يستوي منتصباً[٩٢].

وفـي (بـوزيريس) كـان إقامـة العمـود المقـدس "جـد" أحـد الطقـوس الجنائزيـة الهامـة، وهـو هنـا أيضـاً يعبـر عـن البعـث : " أنـه يـوم دفـن "أوزيـريس".. فـي المقبرة الواقعة تحت أشجار اللبخ، ففي هذا اليوم أحضـر جثمـان "أوزيـريس" المقدس، وبعد دفنه يقام الجد المقدس "[٩٣]. فإقامة العمود تعني الحياة أو القيامـة من الموت.

يقول (رندل كلارك) : " كان أعظم ما حققه المصري في ديانته من إنجاز هو تحويل هذا الإله [يعني "أوزيريس"] الذي يرعى الخصوبة بصفة عامة إلى مخلص للموتى، أو بمعنى أدق منقذهم من الموت ".

لقد آمن المصريون بأنهم سيواصلون الحياة في روح "أوزيريس"، لذا كانت قيامته لب الحياة العاطفي، والحقيقة التي ترتكز حولها بنية الكون، وللتعبير عن هذا الكائن الهائل استخدموا رمزاً مستمداً من ماضيهم شبه المنسي، وهو عمود خشبي سموه "جد" أو "عمود الجد"[٩٤].

وقد توحي لنا الإنشودة التالية بهذا المعنى :

" أواه أيها العاجز الناعس

أواه أيها العاجز في هذا الموضع

الذي تجهله رغم علمي به

ها أنا ذا قد وجدتك (راقداً) على جنبك أيها الغافي العظيم

قالت "إيزيس" لـ"نفتيس" : أختاه

هاك أخونا

هلمي نرفع رأسه

(...)

لتحيا يا "أوزيريس"

ولتجعل الناعس العظيم ينهض ".

وفي موقع آخر :

" أنا "إيزيس" التي تلبي نداء (الغوث)

أنا "نفتيس"

قم وانهض

ولتستلق على جنبك، أيها الناعس العظيم

ولتسكب ماءك

ولتحرك دماءك

(...)

لتنهض يا "أوزيريس"

ليقم الناعس العظيم على جنبه "[٩٥].

ويؤمن المسيحيون بأن الناس يبعثون بعد موتهم ليمثلوا بين يدي الله :

" ورأيت الأموات صغاراً وكباراً واقفين أمام الله "[٩٦].

هذا ما جاء في نصوص الإنجيل، وهو ما جاء أيضاً في نصوص العقيدة المصرية القديمة عن "أوزيريس"، وهو أيضاً ما نراه على جدران المقابر ولفائف البردي.

فـ"أوزيريس" هو "ملك يوم الدين المصري" ورئيس محكمة الأخرة، الذي يصدر حكمه بالشقاء أو بالسعادة على جميع الموتى.. وهو ما جاء عن المسيح أيضاً في الإنجيل :

" لأنه كما أن الأب له حياة في ذاته، كذلك أعطي الابن أيضاً أن تكون له حياة في ذاته، وأعطاه سلطاناً أن يدين أيضاً لأنه ابن الإنسان "[٩٧].

وكذلك : " لأن الأب لا يدين أحداً بل أعطى كل الدينونة للابن"[٩٨].

وفي محكمة الآخرة يُنصب الميزان أمام " أوزيريس " ، ليوزن فيه قلب المتوفي، وهو ما جاء أيضاً عن المسيح الذي يفحص القلوب : ".. فستعرف جميع الكنائس أني أنا هو الفاحص الكلى والقلوب وسأعطي كل منكم بحسب أعماله "[٩٩].

بين رؤيا (يوحنا) اللاهوتي

ورؤيا (سي أوزير) المصري

رأينا مما تقدم مدى التماثل بين العقيدتين المصرية والمسيحية في مسألة "الموت والبعث"، وهي الركيزة الأساسية التي ينهض عليها دين المسيح ودين "أوزيريس"، فلولا موت "أوزيريس" وبعثه ما كانت أهميته، وهي نفس الحالة بالنسبة للمسيح. وفي فصل سابق أوردنا فقرات عديدة من أسطورة (سي أوزير) المصرية.

ومن نفس الأسطورة نقتطع المشهد التالي :

" في يوم من الأيام دخل (رمسيس الثاني) بلاط القصر في (منف)، فوقف حوله في البلاط مجلس الأمراء والقواد ورجالات مصر، كل حسب رتبته، وكان أن دخل من يبلغ جلالته : " ثمة خبر جاء به أمير حبشي، عبارة عن رسالة مختومة بالشمع وضعها على جسده ".

فلما أبلغ الفرعون بذلك تم اقتياد (الأمير) إلى البلاط فقدم فروض الطاعة ، وقال : هل يوجد هنا من يستطيع قراءة هذه الرسالة التي حملتها إلى مصر، على ألا يفض الختم، أي يتلو الرسالة دون أن يفتحها، فإذا تبين أنه لا يوجد كاتب جيد أو رجل عالم في مصر يستطيع قراءتها دون فتحها فإنني سوف أفضح مصر في وطني بلاد الزنج ".

وفي الإصحاح الخامس من رؤيا (يوحنا) اللاهوتي نقرأ التالي : "رأيت على يمين الجالس على العرش سفراً مكتوبا من داخل، ومن وراء مختوم بسبعة ختوم، ورأيت ملاكاً قوياً ينادي بصوت عظيم من هو مستحق أن يفتح السفر ويفك ختومه، فلم يستطع أحد في السماء ولا تحت الأرض أن يفتح السفر ولا ينظر إليه "(١٠٠).

وتمضي الأسطورة المصرية فتروي أن ولي العهد حضر هذا المشهد في بلاط أبيه ملك مصر، فمضى إلى داره حزيناً مهموماً، فلم يكن في مصر حينذاك من بوسعه أن يقرأ الرسالة مغلقة ومختومة بالشمع.

فلما رآه ابنه (سي أوزير) على هذه الحال سأله عما به، فلما أخبره أبوه طمأنه الابن بأنه يستطيع قراءة الرسالة.. وهي مختومة.

وهكذا كان الذي يستطيع قراءة الرسالة المختومة بالشمع هو حفيد الملك نفسه، أي واحد من صلبه، وهو ما نصت عليه أيضاً رؤيا (يوحنا) إذ يستطرد فيقول : " فصرت أنا أبكي كثيراً لأنه لم يوجد أحد مستحقاً أن يفتح السفر ويقرأه ولا أن ينظر إليه، فقال لي واحد من الشيوخ لا تبك هو ذا قد غلب الأسد الذي من سبط (يهوذا) أصل (داود) ليفتح السفر ويفك ختومه السبعة"(١٠١).

لم يكن ذلك الحدث هو بداية القصة المصرية، بل نستطيع أن نقول أنه كان بداية الجزء الثاني منها، وعنوان القصة يدل على ذلك " (سي أوزير) يقود أباه إلى العالم الأخر وينتصر على السحرة الأحباش ".

وكان (سي أوزير) طفلاً أعجوبة، ولد بعد معاناة والديه من عدم الإنجاب فترة طويلة، فلما أتم عامه الثاني عشر كان قد ألم بكل العلوم، بل وتفوق على أساتذته فيها.

وذات يوم، إذ كان (سي أوزير) جالساً مع أبيه، فإذا بهما يسمعان نحيباً عالياً، فنظر الأب (سي توم) من نافذة بيته فرأى رجلاً يشيع إلى المدافن في الصحراء، مصحوباً بعويلٍ عالٍ وتكريمٍ كبير ومتعلقات فخمة، وذات مرة حدث

أنه نظر فرأى رجلاً فقيراً محمولاً من (منف) إلى الصحراء، وقد لف جثمانه بحصير فقط ولم تصحبه أية متعلقات ".

فظن الأب أن الأغنياء أوفر حظاً فقال له ابنه : " فليكن حظك في العالم الأخر مثل هذا الفقير، ولا يكن نصيبك مثل نصيب الغني عندما تنتقل في المستقبل إلى عالم الموتى ".

فلما لم يفهم الأب ما ذهب إليه الابن، أجابه الصبي : " إن شئت أريتك.... ".

ثم كان أن أخذ (سي أوزير) أباه من يده واصطحبه إلى مكان لا يعرفه الأخير، وهناك وجد بناءً به سبعة أروقة غاصة بالناس ".

هنا في "الأسطورة المصرية" إذن بناء يتكون من سبعة أروقة، وهناك في "رؤيا (يوحنا) اللاهوتي" سبعة ختوم سوف تفتح فيما بعد، ليقودنا (يوحنا) إلى داخل كل منها ويطلعنا على ما فيها.

وفي العالم الأخر، عالم "أوزيريس"، توجد سبع ساحات لها سبعة أبواب يقوم على كل منها حارس ومناد، كما تؤكد النصوص المصرية [القديمة] على وجود هذه الأبواب السبعة، التي يتحتم على المتوفي اجتيازها حتى يستطيع الدخول إلى عالم "أوزيريس".

ولنذهب إلى نهاية المطاف، فبعد أن تجول (سي أوزير) وأبوه (سي توم) بستة أروقة، دخل الاثنان الرواق السابع : " وفيه رأى (سي توم) (طيف) "أوزيريس"، الإله العظيم، مستوياً على عرشه المصنوع من الذهب الخالص، متحلياً بتاجه الأبيض ".

أما (يوحنا) اللاهوتي فيروي : " ولما التفت رأيت سبع منابر من ذهب، وفي وسط السبع المنابر شبه ابن إنسان "[١٠٢].

إن من رآه (يوحنا) ووصفه بـ "شبه إنسان" لم يكن سوى المسيح نفسه، كما رأى (سي أوزير) ووالده الإله العظيم "أوزيريس".

ووصف (يوحنا) للمسيح بأنه "شبه إنسان" قد يوحي إلينا بمفهوم وعقيدة المسيحيين عموماً عن طبيعة السيد المسيح، والتي اختلف عليها اختلافاً عظيماً، فهل هو إنسان أم إله أم إنسان وإله في وقت واحد ؟.

أما القول بإلوهية المسيح فيرجعه (هـ. ج. ويلز) إلى (بولس)، الذي ذهب إلى أن المسيح هو ابن الله، نزل إلى الأرض ليقدم نفسه قرباناً ويصلب تكفيراً عن خطيئة البشر، ويضيف (ويلز) : " وراح القديس (بولس) يقرب إلى عقول تلاميذه الفكرة الذاهبة إلى أن شأن المسيح كشأن "أوزيريس" : كان رباً مات ليُبعث حياً وليمنح الناس الخلود "[١٠٣].

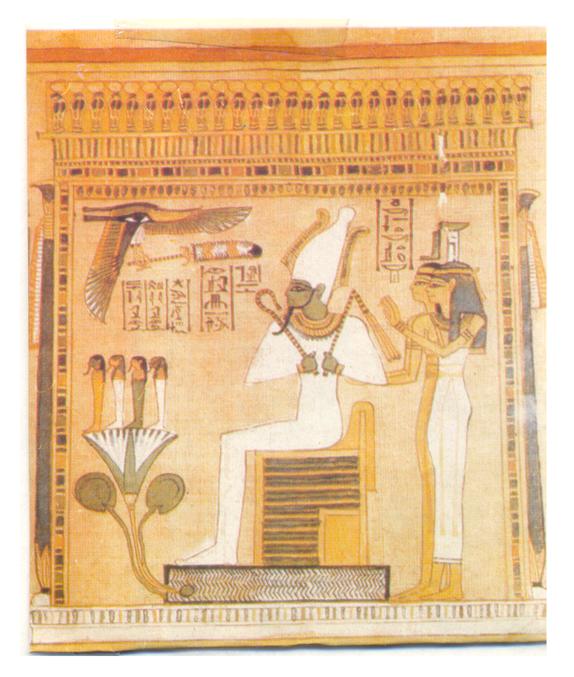
وقد كان من نتيجة فترة الاضطهاد والاضطراب، التي تعرض لها المسيحيون على أيدي اليهود والرومان ؛ أن نشأت خلافات مذهبية بين المسيحيين أنفسهم، وكان أعظم ما اختلفوا عليه هو طبيعة المسيح، وهنا جمع (قسطنطين) إمبراطور الروم البطاركة والأساقفة فيما يسمى بمجمع نيقية سنة ٣٢٥ م. وشجر الخلاف بينم مصريين كان أحدهما رجلاً يدعى (أريوس) نادى بأن : "الأب وحده الله والابن مخلوق مصنوع، وقد كان الأب إذ لم يكن الابن".
أما الطرف الثاني في هذا الصراع الديني فكانت الكنيسة المصرية ذاتها، أي كنيسة (الإسكندرية) التي آمنت بالثالوث، ويبدو أن انضمام كنيسة (روما) إلى كنيسة (الإسكندرية) هو الذي حسم الأمر، الذي انتهى بقتل (أريوس) وبعض مؤيديه، وتقلص عدد أعضاء هذا المجمع الشهير من ٢٠٤٨ إلى ٣١٨ عضواً، هم الذين آمنوا بالثالوث وإلوهية المسيح، وأصدروا قرارهم بذلك، فهل كانت لطبيعة المسيح هذه علاقة بطبيعة "أوزيريس" كما ألمح (ويلز) إلى ذلك ؟.

لقد كان "أوزيريس" الوحيد بين الأرباب المصريين الذي اتخذ هيئة إنسانية فقط. وقد رسمته الأساطير المصرية على شكل رجل طيب، نبيل، جميل، وهو ما التزم به الفنان المصري في تصويره لـ"أوزيريس" على جدران المعابد والمقابر.

ومن ناحية أخرى يقول سير (والاس بدج) : " من مئات النصوص الجنازية نعلم أن "أوزيريس" كان بشكل جزئي إله وجزئياً إنسان، بمعنى أنه كان يمتلك طبيعتين بعكس جميع الآلهة المصرية الأخرى، كذلك كان له جسدان، أحدهما لإله والأخر بشري، وله روحان إحداهما روح إلهية والأخرى بشرية. والجسد البشري طبقاً للتراث المدون بواسطة (بلوتارخ) عاش في يوم ما على الأرض،

ومـات بطريقـة متوحشـة بعـد أن شـوهه أخـوه، ولكـن قرينتـه الأنثـى (يقصـد "إيـزيس") نجحـت فـي أن تستخلص معرفـة كلمـات وطقـوس محـددة مـن الإلـه "تحـوت"، وتعلمـت الطريقـة المثلـى لـتلاوة هـذه الكلمـات وإقامـة الطقـوس، وبواسطتها استطاعت أن توقظ الحياة في الجسد الميت لـ"أوزيريس"[١٠٤]. "
فإذا عدنا إلى "رؤيا (يوحنا)"، وجدناها تصف المسيح – الجالس على العرش، كما جلس "أوزيريس" المصري أيضاً على عرشه- فتقول : " وكان الجالس في المنظر شبه حجر اليشب والعقيق"[١٠٥].
أمـا المصـريون [القـدامى]، فكـانوا يعتقـدون أن الأربـاب مـن معـدن ثمـين : " فلحمها كان من ذهب وعظامها من فضة وشعيراتها الدقيقة من اللازورد"[١٠٦].
وترتبط هذه الفكرة عن مادة الأرباب بإيمان المصريين بالخلود، فهذه المادة الثمينة لا تتلف ولا تبلى، وهو ما ينطبق أيضاً على جسد "أوزيريس".
أما اليشب والعقيق اللذان ذكرهما (يوحنا) فكانا حجرين كريمين، يدخلان ضمن مكونات تمثال يصنع للإله المصري "سقر"، الذي اتحد مع "أوزيريس"[١٠٧].
أما عن المظهر الخارجي فيصف (يوحنا) المسيح بأنه كان : "متسربلاً بثوب إلى الرجلين، ومتمنطقاً عند ثدييه بمنطقة من ذهب. وأما رأسه وشعره فأبيضان كالصوف الأبيض كالثلج"[١٠٨].
أمـا "أوزيـريس" المصـري فإنـه يلـبس تاجـاً أبـيض – كـالثلج – ويتسـربل أيضـاً بثـوب أبـيض إلـى الـرجلين، كمـا تغطـى صـدره منطقـة نعـرف مـن خـلال نـص مصـري (قديم) أنـها كانت أيضـاً من الـذهب، فقد كلف الملك (سنوسرت الثالث) أحد موظفيه المقربين إليه، يدعى (أقر نفرت)، بالإشراف على حفل سنوي كان يقـام لــ"أوزيريس"، وكـان هـذا التكليـف يقـوم أساسـاً علـى تـزيين : "صـورته "أوزيـريس" السـرية الخاصـة بالـذهب الخـالص، الـذي "الإلـه" سـمح لجلالتـي بإحضاره من النوبة بكل شجاعة وانتصار، ولا شك إنك سوف تؤدي ذلك على أكمل وجه من أجل أبي أوزيريس ". وفيمـا يبـدو أن الرجـل نفذ أمـر الملـك وهـو مـا تضـمنته وثيقـة خلفهـا ورائـه يقـول فيهـا : " وزينـت صـدر إلـه (أبيـدوس) باللازورد والفيروز والذهب الخالص "[١٠٩].

ويصرح (يوحنا) بأن من رآه ووصفه لم يكن سوى الله نفسه، الذي هوى (يوحنا) عند قدميه، فطمأنه الله وقال له : " لا تخف أنا هو الأول والأخر والحي وكنت ميتاً وها أنا حي إلى أبد الآبدين، آمين، ولي مفاتيح الهاوية والموت"(١١٠).



(أوزيريس) جالس على العرش وثوبه يلفه حتى قدميه، وعلى صدره المنطقة الذهبية، وبيده مقاليد الحكم، وعلى رأسه التاج الأبيض، وخلفه (إيزيس) و(نفتيس)، بينما يقف أمامه أولاد (حورس) الأربعة.

وإذا رجعنا إلى عقيدة "أوزيريس" ؛ وجدنا نفس الأوصاف تنطبق على هذا الرب المصري.

فهو الميت الذي صار حياً، بل كان هو الرب الوحيد الذي مات ليحيا، كما كان "أوزيريس" أول من مات، أو كما تسميه العقيدة المصرية أيضاً أول أهل الغرب (أي الموتى) وهو ما جاء عن المسيح في نص الإنجيل : " البكر من الأموات "، الذي يصف المسيح أيضاً بأنه " رئيس ملوك الأرض "(١١١).

ولم يكن "أوزيريس" إلا أول ملك على الأرض، وورث ذلك عن أبيه "جب"، أي الأرض، وورّث ذلك لابنه "حورس"، الذي كان كل ملوك مصر على مختلف العصور التاريخية يحملون اسمه. فكان "حورس" – وريث "أوزيريس" – أيضاً رئيساً لكل ملوك الأرض.

و"أوزيريس" المصري هو الذي يمثل البعث والخلود، فهو حي إلى أبد الآبدين، كما يقول نص الإنجيل عن المسيح، ولـ"أوزيريس" أيضاً مقاليد الحكم على العالم الأخر، كما صار للمسيح مفاتيح الهاوية والموت.

ومن ضمن ما يذكر (يوحنا) من صفات المسيح الشهيرة أنه رآه على هيئة خروف : " وفي وسط الشيوخ خروف قائم "[١١٢].

ولعل أشهر هيئة لإله مصري نستطيع رؤيتها لليوم هي كباش "آمون"، التي يراها الداخل إلى معبد الكرنك، فقد تمثل "آمون" في هيئة آدمية، كما أنه اتخذ أيضاً شكل الكبش، وكان يُذبح كبش في عيد "آمون"[١١٣]، ولست أدري علاقة ذلك بعيد التضحية عند المسلمين، وعلاقة هذا بتضحية (إبراهيم) وابنه، وافتداء الله له بذبحٍ عظيم لم يكن سوى كبش، واستمرار هذه السنّة عند الصابئة، الذين خرجوا من مصر – كما سيأتي فيما بعد.

وكانت الأرباب المصرية تتخذ أشكالاً حيوانية لعدة أسباب، فهي تتحول إلى هذه الهيئة درءً للخطر، أو تحاشياً للفضول، ويروي (هرودوت) أن "آمون" قد تخفى في شكل كبش، حتى يخفي طبيعته الحقيقة عن فضول ابنه "خنسو"[١١٤]، كما كان الكبش أيضاً يجسد "قوة الشمس" الخلاقة العظيمة التي تنبثق منها[١١٥]. وارتبط الكبش بـ"أوزيريس" ارتباطاً وثيقاً لأن الكبش كان يعني "البعث" في العقيدة المصرية، ومن هنا نستطيع فهم معنى ذبح الكبش.

ويذكر (يوحنا) في رؤياه أن الخروف قد ذُبح، أو على حد تعبيره "كأنه مذبوح"، ثم يؤكد ذلك بعد قليل : " لأنك ذُبحت واشتريتنا لله بدمك "[١١٦].

أما الكبش في اللغة العربية فتعني الرئاسة والسيادة[١١٧].

وهو ما ذُكر أيضاً في نص الإنجيل : " مستحق هو الخروف المذبوح أن يأخذ القدرة والغنى والحكمة والقوة والكرامة والمجد والبركة "[١١٨].

وفي الإصحاح السادس من رؤيا (يوحنا) تتوالى سمات وصفات تنطبق كلها على الرب المصري "أوزيريس". يقول (يوحنا) : "فنظرت وإذا فرس أبيض والجالس عليه معه قوس، وقد أعطى إكليلاً وخرج غالباً ولكي يغلب ".

هكذا كان "أوزيريس"، أول الملوك، صاحب الإكليل (التاج) ذا اللون الأبيض الذي انتصر على الموت، وكذلك انتصر ابنه ووريثه "حورس" على "ست" قاتل أبيه، الذي يكاد نراه في آية (يوحنا) التالية لذلك مباشرة : " فخرج فرس آخر أحمر وللجالس عليه أعطى أن ينزع السلام من الأرض وأن يقتل بعضهم بعضاً وأعطي سيفاً عظيماً "[١١٩].

إنه "ست" العدواني الشرس، باديء الفتنة في الأرض ومنتزع السلام منها، فكان أول قاتل، لذا كان يتميز في الحضارة المصرية بلونه الأحمر، لون الدم، لون الصحراء الميتة، كما صورته كذلك رؤيا (يوحنا).

وكان لـ"أوزيريس" أيضاً لونان آخران أحدهما أسود، وهو لون الأرض الخصبة، واللون الأخر أخضر لون الحياة.

وفي رؤيا (يوحنا) في نفس الإصحاح نقرأ : " فنظرت وإذا فرس أسود، والجالس عليه معه ميزان في يده "[١٢٠]. وكان "أوزيريس" هو صاحب الميزان، حيث يُنصب أمامه في الأخرة لتوزن أعمال الناس. وفي آية تالية يرى (يوحنا) : " فرساً.. أخضر والجالس عليه اسمه الموت والهاوية تتبعه "[١٢١].

وهو هنا أيضاً "أوزيريس" حاكم مملكة الموتى، سيد الأخرة كما عرفنا سلفاً.

وإذ فرغ (يوحنا) اللاهوتي من رصد صفات الرب الجالس على العرش، نجده يتحول ليذكر من كان في معية هذا الرب، وكان من بين هؤلاء حيوان ذو تركيبة عجيبة، أو على حد قول (يوحنا) كان وحشاً : " شبه نمر وقوائمه كقوائم دب وفمه كفم أسد "[١٢٢].

وقد ضم مشهد محكمة الموتى في الأخرة برئاسة "أوزيريس" مثل هذا الحيوان أو الوحش المكون من عدة حيوانات، فكان له رأس تمساح لها لبدة أسد، أما جذعه الأسفل فكان على هيئة فرس النهر[١٢٣].

وهذا الحيوان الغريب نراه واقفاً على أهبة الاستعداد لإلتهام روح المتوفي إذا تمت إدانته. وكان يُعرف باسم "هم ميت". و"هم" تعني ملتهم، أما "ميت" فتعني لحم، ويعرفه علماء المصريات باسم " الملتهمة "[١٢٤].

وكان لا يتم إدانة المتوفي إلا بعد عرض ذنوبه من خلال سفر أعمال يكون بيد الرب "تحوت"، الجالس على يمين "أوزيريس"، كما جاء في أسطورة (سي أوزير) المصرية : " وعلى يمينه الإله "تحوت" العظيم ".

وفي رؤيا (يوحنا) : " وأخذ السفر من يمين الجالس على العرش"[١٢٥].

وفي مشهد آخر يقدم لنا (يوحنا) أصغر أعضاء عائلة "أوزيريس" المقدسة، وهم أبناء "حورس"، أحفاد "أوزيريس" الأربعة.

يقول (يوحنا) : " وفي وسط العرش وحول العرش أربعة حيوانات مملوءة عيوناً من قدام ومن وراء. والحيوان الأول شبه أسد والحيوان الثاني شبه عجل، والثالث له وجه مثل وجه إنسان، والحيوان الرابع شبه نسر طائر"[١٢٦].

وقد كان لـ"حورس" أربعة أبناء، هم "أمستي" و"حابي" و"دواموت أف" و"قبح سنوف". أما "أمستي" فكان يتخذ شكل الإنسان، و"حابي" فكان يتمثل في هيئة القرد، وكان لـ"دواموتيف" رأس ابن آوي، أما "قبح سنوف" فكان له رأس صقر[١٢٧].

وكان المصريون يعتقدون أن أبناء "حورس" الأربعة قد خرجوا من زهرة اللوتس[١٢٨]، التي تمثل أيضاً فكرة البعث، لذلك نرى (توت عنخ آمون) يخرج من زهرة اللوتس، وهي قطعة فنية محفوظة بالمتحف المصري بالقاهرة.

ولما كان أحفاد "أوزيريس" الأربعة هم الذين قاموا بدفنه والنواح عليه، فقد ارتبطوا بالطقوس الجنازية، ولذا كانوا يوضعون على المومياء[١٢٩].



أولاد (حورس) الأربعة

ونفهم من عبارة (يوحنا) بأن هذه الحيوانات الأربعة " مملوءة عيوناً من قدام ومن وراء "، أن هذه الحيوانات الأربعة كانت تضطلع بمهمة حماية ما، وهو ما يمثل ركناً هاماً من أركان الطقوس الجنازية المصرية. فقد كان أولاد "حورس" الأربعة يتولون حماية أحشاء المتوفي، فيقوم "حابي" بحماية الأمعاء الدقيقة، ويحمي "دواموتيف" القلب والرئتين، و"أمستي" يحمي المعدة والأمعاء والغليظة، بينما يقوم "قبح سنوف" على حماية الكبد والمرارة[١٣٠].

وهم بذلك أيضاً يضمنون استمرار فعالية هذه الأعضاء[١٣١].

ونظراً لارتباط هؤلاء الأربعة بالطقوس الجنازية، فإننا نجد الأدوات المستخدمة أثناء إجراء هذه الطقوس عددها أربعة، وكانت الصلوات كذلك ترتل أربع مرات[١٣٢].

وكان أولاد "حورس" الأربعة يمثلون أيضاً الجهات الأربعة الأصلية.

ومن أحفاد "أوزيريس" الأربعة، أصغر أعضاء هذه العائلة المقدسة، إلى "نوت" أم "أوزيريس"، أكبر أعضاء هذه العائلة، يصحبنا (يوحنا) اللاهوتي إلى هذا المشهد في رؤياه، حيث يروي : " وظهرت آية عظيمة في السماء، امرأة متسربلة بالشمس والقمر تحت رجليها، وعلى رأسها إكليل من إثني عشر كوكباً، وهي حبلى تصرخ متمخضة ومتوجعة لتلد"[١٣٣].

كانت "نوت" أم "أوزيريس" هي السماء نفسها، وقد صورها المصريون على هيئة امرأة تلد الشمس كل يوم في الصباح، ثم تبتلعها في المساء لتلدها في اليوم التالي، وكذلك تفعل بالنجوم.

ومن المعروف كذلك في العقيدة المصرية [القديمة] أنه كان للشمس دورتان، تنقسم كلٌ منهما إلى اثني عشر ساعة، إحداهما نهارية والأخرى دورة ليلية، وفي الدورة الليلية كانت الشمس تمر داخل جسد "نوت"، الذي يشكل قبة السماء ذاتها.

وفي مقابر وادي الملوك بـ(الأقصر)، مثل مقبرتي (رمسيس السادس) و(رمسيس التاسع)، وفي المقبرة الأخيرة نرى "نوت"، التي تلد الشمس، محاطة بإثني عشر قرصاً أحمر [كما جاء في نص الإنجيل]، وهي تصور عادة ورأسها نحو الغرب، أما ساقاها وقدماها فناحية الشرق، حيث تولد الشمس[١٣٤].

ولم تكن رحلة الشمس هذه تمر هكذا بسلام كما نتخيل، بل كانت تتعرض لمصاعب جمة وأخطار هائلة.

يقول (يوحنا) : " وظهرت آية أخرى في السماء. هو تنين عظيم أحمر له سبعة رؤوس وعشرة قرون، وعلى رؤوسه سبعة تيجان، والتنين واقف أمام المرأة العتيدة أن تلد حتى يبتلع وليدها متى ولدت.. "[١٣٥].

فإذا ما اصطحبنا الشمس المصرية في رحلتها الليلة ؛ لوجدناها تتعرض لمثل هذه الأخطار المتمثلة في حيوانات وطيور فظيعة الهيئة، ومنها ما هي ذات رؤوس عديدة مثلما ذكر الإنجيل، وقد ميز المصريون عدو الله "إبليس" بلونه الأحمر، وهو لون التنين أيضاً، هذا العدو المتربص بالمرأة العتيدة على حد قول الإنجيل، الذي يكمل روايته بأن المرأة وضعت وليداً فاختطفه هذا العدو المتربص : " فأعطيت المرأة جناحي النسر العظيم لكي تطير إلى البرية (..) فألقيت الحية من فمها وراء المرأة ماء كنهر لتجعلها تحمل بالنهر، فأعانت الأرض المرأة وفتحت الأرض فمها، وابتلعت النهر "[١٣٦].

وفي الساعة العاشرة من الكتاب المصري [القديم]، "ما هو في العالم الأخر" – الذي سيأتي ذكره فيما بعد – نرى : الماء الأزلي وأربعة أرباب يساعدون "نوت" [السماء]، أثناء ولادتها للشمس، وأمامهم نرى ثمانية أرباب يدافعون عنها ضد الثعبان.

ومن المعروف أنه كان لـ"نوت" المصرية جناحان، وهو ما يتضح من العبارة التالية : " أي "نوت".. ابسطي جناحيك"(١٣٧).

أما "إيزيس"، زوجة "أوزيريس"، وابنة "نوت" أيضاً، فكانت هي كذلك تعتبر ربة للسماء التي تلد الشمس كل يوم(١٣٨).

يقول (إرمان) عن "إيزيس" : " وبما أن ابنها كان يسمى باسم إله الشمس، فهذا يدل على أن "إيزيس" في الأصل وفي وقت ما كانت تعتبر إلهة للسماء، التي تلد الشمس كل يوم ".

وكانت "إيزيس" قد تحولت في الإسطورة إلى حدأة، فكان لها أيضاً جناحان، كما ورد عن المرأة العتيدة في النص الإنجيلي، أما الحية المذكورة في ذات النص فليست سوى الشيطان بعينه، وهو نفسه عدو الإله في العقيدة المصرية، وكان يسمى "عبب"، وهو الثعبان الذي يحاول دائماً عرقلة مسيرة الشمس، أي مولدها، والتنين هو الحية القديمة، وهي نفسها الشيطان في الإنجيل، وجاءت نهايته على مرحلتين في رؤيا (يوحنا)، أما النهاية الأولى فيذكرها (يوحنا) هكذا : " ورأيت ملاكاً نازلاً من السماء، فقبض على التنين الحية القديمة الذي هو إبليس والشيطان وقيده ألف سنة"(١٣٩).

وبعد مرور ألف سنة ؛ أخرج الشيطان ليلقى نهايته الثانية : "وإبليس الذي كان طُرح في بحيرة النار "(١٤٠).

وفي أسطورة (سي أوزير) المصرية نجد أن الأمير الحبشي، الذي هزمه (سي أوزير) في النهاية، قد لاقى أيضاً نهايتين، ففي المرة الأولى عاقبه الملك بمنعه من دخول مصر لمدة ١٥٠٠ عام. فلما لم يردعه هذا العقاب وعاد بعد ١٥٠٠ سنة ليمارس سحره ضد مصر، كان عقابه هو تدميره بإحراقه في النار.

الميلاد العظيم

ولكن ما هو هذا الميلاد العظيم للحياة في مصر [القديمة] ؟.

إنها الحياة التي تنبثق من السماء متمثلة في إشراق الشمس "رع"، إنها دورة الحياة التي لا تنتهي، وحلقتها المغلقة التي ما أن تنتهي حتى تبدأ، مثل قرص الشمس المستدير الذي ليس له نهاية. وهو نفسه الذي تبتلعه السماء "نوت" لتلده ثانية.

وعن فترة حمل السماء "نوت" في الشمس (رع)، والتي تستمر اثني عشر ساعة، قام كهنة الإله "آمون" بتأليف كتاب يصف هذه المدة، أو بمعنى أصح الرحلة الليلية للشمس داخل بطن "نوت".

ويسمى هذا الكتاب باسم "إم دوات"، بمعنى " ما هو موجود في العالم الأخر"، وللاسم دلالة واضحة، إذ أن مضمون هذا الكتاب عبارة عن وصف تفصيلي لرحلة الشمس في عالم الموتى.

إذ اعتقد المصريون [القدامى] أن غروب الشمس يعتبر شروقاً في العالم الأخر، والشمس أثناء هذه الرحلة الغريبة هي شمس ميتة، وكانت تسمى "يوف"، وهو لفظ قريب من لفظ "المتوفي" العربي، إن لم يكن الجذر الأصلي له. والشمس (رع) في رحلتها في عالم الموتى هي "أوزيريس" نفسه، فبالإضافة إلى أن "أوزيريس" هو رمز البعث ؛ فإنه أيضاً الرب المطلق للعالم الأخر، لذا كان لابد لـرع" أن يتحد معه.

وإذ نعرض موجزاً – شديد الاختصار – لهذا الكتاب ؛ فإننا لنوضح بعض الأمثال على وجود تماثل بين ما جاء فيه وبين ما جاء بالإنجيل.

فقد تم تقسيم هذا الكتاب إلى اثني عشرة ساعة، هي اثنا عشر منطقة تقوم الشمس باجتيازها بمركب إلهي، وتنتهي الرحلة في الأفق الشرقي لتغادر الشمس عالم الموتى، وتولد مرة أخرى في عالم الأحياء.

وقد قُسمت كل ساعة إلى ثلاث صفوف من مناظر، تحوي عدداً من الأرباب ذوي الوظائف المختلفة. وبينما يمر موكب الرب (الشمس) في سلام عبر بعض المناطق [الساعات] نجده يتعرض للمخاطر في بعضها الأخر.

ففي الساعة الأولى نرى "أوزيريس" وقد وقفت أمامه الربة "سخمت"، وهي ربة الحرب والأوبئة، وتمثل برأس لبؤة. وأمام "سخمت" يقف رب ذو رأس كبش.
وأمام هؤلاء تنهض أربعة شواهد حجرية، ذات رؤوس آدمية، مجسدة نطق الإله "رع". وأمامهم اثنا عشرة مقصورة تسكنها ربات يقمن بفتح الأرض ؛ لدخول ركب الإله إلى العالم الأخر.
وهناك تسعة من الأرباب يسبحون بحمد الله، كما توجد أيضاً اثنتا عشرة ربة تمثلن الساعات ؛ لتنير الطريق أمام موكب الإله. وتسمى إحدى هؤلاء بـ"التي تقوم بالتبخير".

أما الساعة الثانية فهي منطقة آمنة، يقوم فيها أهلها بحماية "أوزيريس". وعلى مركب الإله نرى هلالاً وأمامه رب يمسك برمز الحق والعدل (ماعت).
كما يوجد أرباب يحملون سلاحاً، وأرباب تستقبل الإله مسبحة بحمده، وهي تحييه بأغصان الشجر. وهناك أيضاً ثلاثة أرباب يحملون سعف النخيل.
وتعتبر الساعة الثالثة مقراً للإله "أوزيريس"، حيث يستقر هناك على ثمانية عروش تحمل ألقابه. ونرى في المركب الأول للإله ثعباناً يدعى "ذو الوجه الناري"، وأعلى المنظر يوجد كبش ذو قرون ومعه مدية.
وفي المنظر الأوسط نرى كبشاً آخر، يمثل الإله "خنوم"، بينما يبدو "أوزيريس" هناك على أربع هيئات، واسم أرباب هذه المنطقة "الأرواح الخفية "، والذي لابد من معرفة أسمائهم للصعود إلى "أوزيريس".
وفي المنظر الأوسط للساعة الرابعة نقابل رباً اسمه "ذو الوجه الأخضر". وهناك مجموعة من الأرباب يحملون مفاتيح الحياة.
ويحتوي المنظر الأعلى ثعباناً له أربعة أرجل، ويقوم على حراسة الباب. وهناك ثعبان آخر، له ثلاثة رؤوس وجناحان وأربع أرجل، وثعبان له رأسان.
ويضم المنظر الأسفل ثعباناً له ثلاثة رؤوس، وعلى ظهره أربعة عشر رأساً آدمية، يعلوها القمر، وتحت كل منها نجم، وهي تمثل الأربعة عشر يوماً من الشهر، حيث يكتمل القمر.

وخلف هؤلاء رب يُعرف باسم "الذي في السماء". وتعتبر هذه الساعة والتالية لها، أي الساعة الخامسة، منطقة تموت فيها الشمس. وفي قاع هذه الساعة [الخامسة] توجد النار، كما يوجد هناك أربعة رؤوس تخرج منها النار. وهذا المنظر الأسفل يمثل المقر السري لرب الموتى المصري "سقر"، الذي يعلوه الإله "رع" ومعه سبعة أرباب وسبع ربات، يتقدمهم أربعة أرباب آخرون.

وفي الساعة السادسة نرى رفاق "أوزيريس"، وعددهم تسعة، يتقدمهم رب القرابين. ويلي هؤلاء "إيزيس" و"حورس" وأسد ومومياء. ثم ثلاث غرف، في الأولى رأس إنسان، والثانية جناح صقر، والثالثة الجذع الخلفي لأسد. وهناك ثعبان على ظهره أربع رؤوس آدمية، تمثل أبناء "حورس"، أي أحفاد "أوزيريس".

وفي الساعة السابعة نجد "إيزيس" تتولى حماية مركب الإله. وفي هذه الساعة نرى أيضاً أربعة كباش تمثل الأرواح الأربع لـ"أوزيريس". وأعلى هذا المشهد يستوي "أوزيريس" على عرشه، وبيده الصولجان وعلامة الحياة. وخلفه حية.

وفي المنظر الأسفل نرى "حورس" وعلى رأسه قرص الشمس، متجهاً نحو اثني عشر رباً، يشرف كل منهم على قيام ساعة من ساعات الليل الإثني عشر. وتجسد هذه الساعات اثني عشر ربة.

وتعرف الساعة الثامنة باسم : "سيدة الظلام"، أما المنطقة نفسها فاسمها "تابوت الأرباب"، ففيها يوجد الأرباب محنطين، وهذه الساعة عبارة عن صوامع ذات أبواب يسكنها الأرباب.

وتحمل الساعة التاسعة اسم "ربة العالم الأخر"، التي تحمي سيدها، واسم المنطقة هو " فياضة الأشكال حية الوجود". ونلاحظ في هذه الساعة وجود اثني عشر بحاراً يقومون برش الماء على الأرواح، ويعتبر ذلك نوعاً من التبرك.

وبينما يحتوي المنظر الأعلى على اثني عشر رباً، واثني عشر ربة، نجد المنظر الأسفل يضم اثني عشرة أفعى تقذف بالنار، وأمامها تسعة أربابٍ يمسكون بالصولجانات وسعف النخل، ويتقدم هؤلاء "حورس" في هيئة مومياء، ويُعرف هنا باسم "رئيس جميع مناطق العالم الأخر ".

ويصل الإله في الساعة العاشرة إلى منطقة تسمى "ذات اللجة العميقة".

وفـي المنظـر الأوسـط نـرى الإلـه ممسكاً بالصـولجان، وأمامـه موكـب طويـل. وهنـاك مركـب علـى هيئـة زهـرة اللـوتس، تحمـل ثعبانـاً يـدعى "حيـاة الأرض"، وهـو روح إلـه أهـل الغـرب. وأمـام الثعبـان اثنـا عشـر ربـاً مسـلحين بـالأقواس والسهام والرماح، وتتخذ رؤوس أربعة منهم شكل قرص الشمس. وفـي المنظـر العلـوي نـرى "الجعل" الـذي يمثـل المولـد الجديـد للشـمس، بينمـا يضـم المنظـر الأسـفل المـاء الأزلـي "نـون" ، وهنـاك أربعـة أربـاب يسـاعدون "نـوت" أثنـاء الـولادة. وأمـامهم ثمانيـة أربـاب يعملـون علـى ردع "أبـوفيس" [عبـب] عـدو الشمس. ومن هذه الأرباب ثعبان ينفث نارا ويدعى "النار في عينيه".

أما الساعة الحاديـة عشـرة فهـي تمثـل "جهنم" ، وهـي عبـارة عـن "هاويـة" بهـا نـار، وهي موجودة بـالمنظر العلـوي، وقـد أعدت من أجل أعداء "أوزيريس". وهناك مراجل النار وقد ألقي فيها المذنبون.
ويدل اسم الساعة الثانية عشرة على نهاية رحلة الشمس في العـالم الأخر، فــهذه الساعة تدعى " تلك التي ترى بها سيدها "، بينمـا تـدعى المنطقـة "نهايـة الظـلام وبزوغ الميلاد".
لقد طافت الشمس بعالم كامل [ليلاً]، وهـي الآن تشـرف علـى الخـروج مـن بطـن هذا العالم، معلنة بداية النهار في عالم الأحياء.
وهنا يخرج الإله من الماء الأزلية، كما حدث في بدء الخليقة، وهو يخـرج أيضـاً من بطن "نوت".. إنه الميلاد العظيم للحياة.
أما هذه الكائنات العجيبة، التي صادفناها في كتاب "إم دوات" المصـري، فكثيـراً ما نقابل مثيلاتها في "رؤيا (يوحنا) اللاهوتي".
ومن المدهش أن صلاة الكنيسة (المسيحية) تسمى صلاة السـاعات، تنتهـي أيضـا بصلاة الساعة الإثني عشر.

وفي كتابه "آلهة المصريين" ؛ يورد (والاس بدج) نصـاً مسيحياً جـاء علـى لسـان السيد المسيح، يرد فيه على سؤال للسيدة العذراء عن الظـلام الخـارجي، فيقـول المسيح : " الظلام الخارجي ثعبان ضخم، ذيله في فمه، وهـو خـارج كـل العـالم، ويحـيط بكـل العـالم، وبـه أمـاكن عديـدة للعقـاب، والتـي تتكـون مـن اثنتـي عشـرة قاعـة، حيـث العـذاب الألـيم، فـي كـل قاعـة حـاكم، ولكـل مـنهم وجـه يختلـف عـن وجوه جيرانه، فحاكم القاعة الأولى له وجه تمساح وذيلـه فـي فمـه، ومنـه تخـرج

كل الثلوج والأتربة، وكل أنواع البرد، وكل أنواع المرض، واسمه الحقيقي الذي ينادونه به في موطنه "إنختونين".
وحاكم القاعة الثانية له كوجه حقيقي وجه قط، ويسمونه في موطنه "خراخار".
وحاكم القاعة الثالثة له كوجه حقيقي وجه كلب، ويسمونه في موطنه "آخروخار".
وحاكم القاعة الرابعة له كوجه حقيقي وجه ثعبان، ويسمونه في موطنه "الحروخار"، وحاكم القاعة الخامسة له كوجه حقيقي وجه ثور أسود، ويسمونه في موطنه "مارخور".
وحاكم القاعة السادسة له كوجه حقيقي وجه ماعز، ويسمونه في موطنه "لا مخامور".
وحاكم القاعه السابعة له كوجه حقيقي وجه دب، ويسمونه في موطنه "لونخار".
وحاكم القاعة الثامنة له كوجه حقيقي وجه نسر، ويسمونه في موطنه "الاراوخ".
وحاكم القاعة التاسعة له كوجه حقيقي وجه باسيلسك [ثعبان خرافي]، ويسمونه في موطنه "أرخياوخ".
أما القاعة العاشرة فلها حكام كثيرون، وبها ثعبان ذو سبع رؤوس، وكل رأس له وجهها الحقيقي، والذي يعلوهم جميعاً يسمونه في موطنه "زار ماروخ".
وفي القاعة الحادية عشرة حكام كثيرون عظام، وهناك هذا الذي بسبع رؤوس، وكل رأس لها وجهها الحقيقي وجه قط، وأكبرهم الذي يعلوهم يسمونه في موطنه "راهوراخار".
وفي القاعة الثانية عشرة حكام كثيرون عظام وهناك الذي بسبع رؤوس، وكل رأس لها وجهها الحقيقي وجه كلب، وأكبرهم الذي يعلوهم يسمونه في موطنه "خري مائور".
هؤلاء الحكام الاثنا عشر موجودون جميعاً داخل ثعبان الظلام الخارجي، وكل منها يغير وجهه طبقاً للساعة التي هو فيه ".

أم الرب : "إيزيس"

هي واحدة من أعضاء الأسرة المقدسة المصرية ، وهي أشهر الربات المصريات على الإطلاق، وواحدة من أشهر الربات على مستوى تاريخ العقائد العالمية.

وقد خرجت عبادة "إيزيس" من الدلتا(١٤٢)، ثم انتشرت في جميع أرجاء مصر. وفي العصرين اليوناني والروماني تخطت حدود البلاد، وصارت تعبد في أنحاء الإمبراطورية الرومانية كربة عامة للكون كله : " أنا أم الطبيعة كلها، وسيدة جميع العناصر، ومنشأ الزمن وأصله، والربة العليا، وملكة الأشباح، وأولى سكان السماء، والنموذج العام لجميع الآلهة والربات. أحكم ذرا السماء ونسمات البحر الخيرة، وسكون الجحيم المقفر، وأسيرهم كيفما أشاء. أنا القوة الوحيدة، يعبدني العالم كله بأشكال مختلفة كثيرة، وبطقوس متنوعة وبعدة أسماء (..) أما شعوب المملكتين الأثيوبية والمصرية ذوو الثقافة العريقة البالغة فيجلونني بعبادتي الحقيقية، ويسمونني باسمي الحقيقي وهو الملكة إيزيس"(١٤٣).

وقد عُرفت "إيزيس" أيضاً بأنها الساحرة العظمى، فقد استطاعت بالحيلة التوصل إلى اسم الله الخفي، الذي منحها قوة الثبات بالخوارق والمعجزات.

كما كانت ـ كأنثى – تعتبر مثالاً للأرض الخصبة، كما كانت إلهة خيرة، حتى أن كل ما هو طيب يتواءم مع الناموس والحق كان نابعاً من "إيزيس"، أو صورة لها(١٤٤).

ومنذ عصور التاريخ المبكرة ؛ صارت "إيزيس" تستوعب إلهات أخرى عديدة حتى أطلق عليها " الجوهر الجميل للآلهة جميعاً"(١٤٥).

وكان المصريون بصفة عامة ومنذ عهد سحيق، كما يقول (أدولف إرمان)، يعتبرون "إيزيس" هي نفسها النجم العظيم المعروف باسم" الشعرى اليمانية"، الذي كان يظهر مع بدء الفيضان(١٤٦).

كما كانوا يعتبرونها أيضاً "عين رع"، وهي هنا "النجم الثاقب"، على حد قول (علي فهمي خشيم)، الذي يفسر اسم "إيزيس" فيقول إن : " كلمة "ست" موجودة في الكنعانية بمعنى إمرأة، وقد لاحظ (جوردون) ذلك، واقترح أن يربط بينها وبين "إيزيس" في المصرية. والشيء نفسه ينطبق على كلمة "سي"، ومعناها الأصلي : إنسان، رجل، فلان. وعلى هذا فإن اسم "إيزيس" ينبغي أن يكون في المصرية "ست"، وهو مكون من : سي (رجل) + علامة التأنيث ت = ست"[١٤٧].

"ست" أو "الست" هو إذن الاسم المصرى لهذه الربة العظيمة، أما "إيزيس" فهو اسمها كما نطقه الإغريق، والذي يفسره البعض بأنه "المقعد" أو "الكرسي" أو "العرش"، وهو نفسه العلامة التي تحملها "إيزيس" على رأسها.

وكنا قد عرفنا "إيزيس" في الأسطورة على أنها هذه الزوجة الوفية، التي فقدت زوجها "أوزيريس" - كما يقال - في ليلة زفافهما، ثم صارت تبحث عنه حتى عثرت عليه، ثم استطاعت أن تحمل من هذا الرب الميت وتنجب ابناً، ثم تعهدت ابنها بالتربية والرعاية والحماية حتى اشتد عوده، فصارت تحثه على الانتقام لأبيه واستعادة عرشه، حتى انتصر "حورس" على عمه، وصار ملكاً على الأرض خلفاً لأبيه الطيب "أوزوريس".

فكانت "إيزيس" بذلك هي تلك الحلقة التي وصلت بين الرب الميت والملك السابق وبين الرب الحي والملك الحالي، وكانت بذلك هي التي مكنت الحق في الأرض، وثبتت الشرعية فيها. فصار ابنها "حورس" ملكاً أبدياً على العالم، وصار كل الملوك يحكمون باسم "حورس" وممثلين له.

وهكذا كان لها الحق أن يعرف ابنها باسمها "حورس ابن إيزيس"، أو "حرسا إيزيس"، كما عُرف المسيح أيضاً باسم (عيسى) ابن (مريم). وقد تشابهت الظروف التي مرت بالسيدتين، فنحن نستطيع أيضاً أن نعتبر "إيزيس" عذراء، وبعد ذلك يأتي الحمل غير المألوف لكلٍ منهما، ثم تلد كلٌ منهما مولوداً له شأن ليس لسواه، فـ"حورس" ابن "إيزيس" كان رباً وملكاً، وكذلك (عيسى) ابن (مريم) كما يؤمن المسيحيون.

وكما هربت (مريم) بوليدها إلى مصر خوفاً عليه من البطش، أخذت "إيزيس" ابنها "حورس"، وهربت إلى أحراش الدلتا. ولم يكن حمل "إيزيس" وإنجابها "حورس" بهذا النحو الأسطوري شيئاً نادراً في تاريخ الحضارة المصرية، بل إن مثل هذا الحدث الخارق تكرر أكثر من مرة على أرض الواقع. وهو ما ترويه وثائق تاريخ حقيقي لملوك من البشر، كانو بحاجة إلى مثل هذا التأييد السماوي.

ومن هؤلاء امرأة ذكية، كانت تخطط لإحكام قبضتها على كل أمور الدولة المصرية، دون منازع أو شريك، فزعمت أن الإله "آمون" قد اتصل بأمها الملكة، وزارها في هيئة زوجها الملك (تحتمس الأول).. ولكن الإله : " جعلها تراه في هيئته الإلهية، بعد أن ظهر أمامها، فهللت لرؤية كماله، ودب حبه في أوصالها، وفاض عبير الإله على القصر... ". وبعدئذ خاطبت الملكة (أحموسي) الإله : " مولاي، عظم مجدك، ما أروع رؤية محياك، قد أحطت جلالتي بضيائك، وحل عبيرك بكل أوصالي".

واختار الإله بنفسه اسم المولود : " ليكن (حتشبسوت) هو اسم جنينك، الذي وضعته في أحشائك، حسبما تفوه فمك "[١٤٨].

وهكذا استطاعت (حتشبسوت)، كامرأة تواجه أطماع الرجال، أن تدعم موقفها السياسي وتؤكد شرعية جلوسها على عرش مصر، في أزهى عصورها. وقامت (حتشبسوت) بنقش النص السابق – كاملاً - على جدار معبدها بالبر الغربي بمدينة (الأقصر).

وقد اشتهرت صورة السيدة العذراء وهي تحمل ابنها (عيسى)، وهي نفس صورة "إيزيس" مع ابنها "حورس" في المعابد المصرية.

وفي هذا يقول (إرمان) : " ولم يكن أحب إلى المصري من تلك الصورة التي تمثل الإلهة الأم وعلى حجرها رضيعها "[١٤٩].

وهي نفس الصورة التي احتلت مكانتها العظيمة في الكنائس المسيحية.

ويؤكد (ياروسلاف تشرني) على نفس المعنى فيقول : ".. لأن تقديس (مريم) العذراء، وصورتها مع ابنها المسيح الطفل بين ذراعيها، تدين بالتأكيد تقريباً إلى قدر من تأثير صورة الإلهة "إيزيس" مع "حورس" الطفل على حجرها "(١٥٠).

ويقول المؤرخ (و. و. تارن) : " اكتسحت "إيزيس" حوض البحر المتوسط، حتى إذا انتهى الأمر بنصر المسيحية، وخلع "زيوس" و"أبوللون" و"سيرابيس" والآلهة النجوم عن عروشهم، كانت "إيزيس" وحدها هي التي نجحت- بصورة ما- من غائلة ذلك السقوط الشامل، وقد انتقل القانتون من عبادة "إيزيس" إلى عبادة أم أخرى هي "أم المسيح"، ويمكن الاستدلال على مبلغ ذلك الهدوء كما قيل من تماثيل عديدة معروف أنها لها [أي لـ"إيزيس"] فيما بعد لتمثل السيدة (مريم) العذراء"(١٥١).

"حورس" : الرب- حاكم العالم

كما أخبرتنا الأسطورة كان "حورس" نتاجَ لقاءٍ غير مألوف بين "إيزيس" و"أوزيريس".

كان ذلك اللقاء خارقاً للطبيعة، أدهش الجميع بما فيهم الأرباب، مما اضطر "إيزيس" للدفاع عن نفسها فقالت : " إنني "إيزيس" أكثر الآلهة مهارة وطهراً "[١٥٢].

وكانت "إيزيس" قد حملت في "حورس" لمدة عشرة أشهر، فـ"حورس" لم يكن مخلوقاً عادياً، كما ظلت أمه ترضعه طيلة ثلاث سنوات، وقد تم ختانه- طبقا للعادة المصرية- وهو مازال صبياً صغيراً[١٥٣].

وكان كل هم هذه الأرملة الوفية هو حماية ابنها الصغير من بطش عمه الشرير "ست" ، فتروي الأسطورة أنه بعد ميلاد "حورس" في مدينة (خميس) بالدلتا[١٥٤] ؛ قام "ست" بحبسها هي ووليدها، ولكنها استطاعت الفرار بمساعدة "تحوت"، ومضت بابنها إلى أحراش الدلتا، وكان يرافقها في رحلة الهروب سبع عقارب[١٥٥]، كانت تعمل على حماية "إيزيس" وطفلها، ودلتها هذه العقارب على مدينة تعرف باسم (برسوي) [١٥٦]، ثم قادتها إلى مدينة أخرى تكثر فيها المستنقعات.

وذات يوم غادرت "إيزيس" منزلها، ولما عادت وجدت أن إحدى هذه العقارب لسعت الصغير "حورس"، فمات من أثر لسعة العقرب. فصرخت "إيزيس" حتى سمع الله صياحها، وبعث إليها برسوله "تحوت"، فأعاد الحياة مرة أخرى إلى "حورس".

وهكذا استطاعت "إيزيس" - مرة ثانية - بعث الروح في الوراثة الشرعية للحكم الحق.

ولم يكن "حرسا إيزيس"، أي "حورس ابن إيزيس"، هو "حورس" الوحيد الذي عرفته الميثولوجيا المصرية، فهناك أرباب آخرون حملوا نفس

الاسم، فهناك "حورس الكبير" ، الذي يقابله "حورس الصغير"، أو "حورس الطفل" : "حر بوقراط"، الذي تحيق به الأخطار، وينقذ منها، وهو الذي كان يصنع له تماثيل من البرونز على هيئة طفل يمص إصبعه[١٥٧].

وهناك "حورس" الذي يعرف بإسم "حر سافيس"، وكان يتخذ هيئة الكبش.

أما "حورس" الأفق فهو يمثل رب الشمس نهاراً، واشتهر بهيئة الصقر، فكان يمثل بجسد إنسان ورأس صقر[١٥٨].

وقد اختلطت طقوس عبادات وأساطير هؤلاء الأرباب بعضها بالبعض[١٥٩].

وقد كان "حورس"، الصقر المصري، رباً للسماء وللفضاء، وكانت إحدى عينيه القمر، بينما كانت الأخرى الشمس[١٦٠].

وكانت هاتان من حجر اللازورد الأزرق الغامق[١٦١]. وقد اكتسبتا أهمية كبيرة، حتى أنهما كانتا يذكران أكثر من صاحبهما نفسه[١٦٢].

وكانت عينا "حورس" تقدان لهباً يحرق به أعداءه[١٦٣]، وكان "حورس" – مثل والديه - يسكن الدلتا، وبالرغم من أن مصر كانت قد قسمت بين الربين الخصمين "حورس" و"ست"، إذ صار للأول شمال البلاد، بينما كان "ست" حاكماً لجنوبها، إلا أن المصريين اعتبروا "حورس" ملكاً وحاكماً عاماً على الوجهين البحري والقبلي.

ويعتبر معبده، الذي كان بمدينة (دمنهور)، أقدم معبد لهذا الرب، واكتسبت المدينة اسمها من "حورس". وكانت تدعى آنذاك باسم (بحدت) [١٦٤]، ولكن الرب "حورس" اتخذ لنفسه أيضاً مكاناً قدسياً آخر في جنوب البلاد، وأطلق علي المدينة هناك اسم (بحدت) أيضاً، وهي المعروفه اليوم باسم (إدفو).

وفي (إدفو) صُور "حورس" على هيئة شمس ذات جناحين، وصارت هذه الشمس المجنحة تظل مداخل المعابد المصرية، وتزين مقاصير الأرباب، من أجل حمايتها ومنع تسرب الأعداء إلى داخلها.

وكان لـ"حورس" قصر في السماء عُرف باسم دار "حورس"، وكان عبارة عن مقر حكم الملك الإله، الذي تصدر منه الأوامر إلى الأرباب

الأخرى[١٦٥]، ولم يكن وصول "حورس" إلى هذه المنزلة العليا بالأمر الهين، فقد كان عليه أن يحارب عمه "ست" ليسترد منه عرش أبيه "أوزيريس"، وتروي النصوص المصرية أنه كان هناك "حورس" الملك القديم، وتجعل هذه النصوص من "ست" أخاً لـ"حورس"، وفي المرحلة الأولى من الصراع يستطيع "ست" قتل "حورس"، الذي يتحول إلى "أوزيريس"، ثم يولد "حورس" جديد هو ابن "إيزيس"، وما أن يشتد عوده حتى تجهزه أمه للمعركه مع "ست".

وتنتهي هذه المعركة أخيراً بانتصار "حورس"، أما "ست" فقد حُكم عليه بالطرد خارج البلاد[١٦٦]، وهكذا عادت الشرعية وعاد الحق إلى أهله، وصار "حورس" ملكاً للبلاد، كما صار ملوك مصر خلفاء له، وحمل كل منهم اسم "حورس".

وكان "حورس" القديم هو قائد جيش أرباب السماء، وقد عاونه في حربه ضد "ست" مجموعة من المساعدين، كما استعان "ست" أيضاً بمثل هؤلاء[١٦٧].

وعن حرب شبيهة، دارت بين ممثلي الخير والشر، يحدثنا الإنجيل : " وحدثت حرب في السماء. ميخائيل وملائكتة حاربوا التنين وحارب التنين وملائكته. ولم يقووا فلم يوجد مكانهم بعد ذلك في السماء "[١٦٨].

وتحتفظ جدران معبد (إدفو) بسجل لصراع آخر دار أيضاً بين "حورس" و"ست". فعلى الجدران العتيقة نرى مشهداً متكرراً ؛ يحاول خلاله "حورس" القضاء على "ست".

وقد مثل "ست" هنا على هيئة فرس النهر، الذي يقابل التنين في الإنجيل. وقد اعتبر البعض هذا المنظر أصلاً لصورة القديس "مارجرجس" وهو يقتل التنين بحربته.

وقد تميز "حورس" أيضاً بعينين خارقتين، وفي أحد النصوص المصرية نقرأ : " أنا عين "حورس" التي لا يخفى عنها شيء، التي يثير مرآها الفزع، ربة القتال الجبارة المفزعة ". ويعلق (رندل كلارك) على توهج العين المصرية، فيقول : " لما كانت مصر بلداً شبه استوائي، جعل قيظ حرارة الشمس

المصريين يرون سلطان العين مظهراً يدعو للفزع، بدلاً من أن يستثير الإجلال. ومن ثم باتت العين رمزاً للقوة المدمرة، وللضوء المغشي للإبصار، وللنار، وللعواطف التي يمكن أن توصف بتلك الصفات، أي الحنق والغضب الجامع"[١٦٩].

وعن عين ابن الإله الحارقة يقول النص الإنجيلي : "هذا يقوله ابن الله الذي له عينان كلهيب نار.. "[١٧٠].

الثالوث المصري المقدس

قام الفكر الديني المصري بإيجاد صيغة توفيقية لبعض الآلهة. فضم بعضها إلى بعض. وقد اتخذت هذه الصيغة في بعض الأحوال شكلاً أسرياً، فتكون من "أوزيريس" و"زوجته" "إيزيس" و"ابنهما" "حورس" ثالوثاً إلهياً.

وبالرغم من وجود مثل هذا الثالوث وانتشاره، إلا أن اللغة المصرية لم تعرف مصطلحاً لذلك[١٧١]، إلا أن بعض الباحثين والمفكرين اعتبروا الثالوث المصري أساساً للثالوث المسيحي.

فعن الأقانيم المكونة للـ"ثالوث المقدس" في العقيدة المسيحية، يقول د. (محمد البهي) : " تسمية هذه الأمور بالأقانيم، أو الأصول، يرجع على أثر الفلسفة الإغريقية في تفلسف المسيحية.

وتحديدها بثلاثة يرجع إلى المصدر نفسه أيضاً، لأن ما نراه في المسيحية على هذا الوجه يذكرنا "بمثل" (أفلاطون)، فقد جعلها أصول هذا الوجود المشاهد، واعتبره ظلالها وشبيهاً بها فقط، كما يذكرنا بثالوث (أفلوطين) المصري الذي يتمثل في الواحد والعقل ونفس العالم، ولو فتشنا على هذه الألفاظ الدالة على هذه المعاني الثلاثة في المصدر النصي المسيحي وجدنا : الله، كلمة الله، الروح القدس "[١٧٢].

هكذا إذن قال (أفلوطين) المصري بالثالوث المقدس، كما قال به أيضاً أفلاطون، الذي تأثر تأثراً عظيماً بالفكر المصري، كما سنوضح فيما بعد.

ويقول د. (صابر جبرة) : " إن فكرة التثليث عند قدماء المصريين كانت نبوءة فطرية للتثليث في المسيحية "(١٧٣).

ويقول (رؤوف حبيب) : " وكذلك اتفقت قصة المسيح من ناحية نظام الثالوث الأقدس مع التثليث في الفكر المصري "(١٧٤).

أما الدكتور (سامي جبرة) فيقول : " إن كثيراً من المفكرين يتجهون إلى أن الثالوث يرجع إلى خمسة عشر قرناً على الأقل قبل مولد المسيح. فقد وجد في مصر في ذلك التاريخ وتأثر الفكر المسيحي بالفكر المصري "(١٧٥).

وقد عرفت مناطق عديدة في ربوع مصر هذا الثالوث، ففي (طيبة) [الأقصر] مثلاً نشأ ثالوث يجمع بين "آمون" وزوجته "موت" وابنهما "خنسو".

يقول (أدولف إرمان) : " وفي الواقع لا يجب أن نتمثل "آمون" تحت صورة واحدة، بل تحت صورة ثالوث إلهي "(١٧٦).

ومن الأرباب المصريين، الذين نجد صدى لعقائدهم في الإنجيل، الأرباب المصريون العظام "رع" و"بتاح"(*) و"آمون".

ويعتبر "رع" أهم الأرباب المصرية وأشهرها وأكبرها. وقد تنازع مع "حورس" رب السماء أيضاً حول حق أقدمية الإلوهية، وهما الاثنان يعتبران بحق أقدم الآلهة المصرية. وكذلك تنازع "رع" مع "أوزيريس"، إلا أن "أوزيريس" استحوذ في النهاية على مملكة الموتى، وقد اتحد "أوزيريس" مع "رع" أيضاً، كما اتحد معه "آمون" وصار "آمون رع".

وقد استقر "رع" رباً للأرباب معبوداً في جميع أنحاء المملكة المصرية منذ الأسرة الخامسة. يقول "رع" : "ها أنا "رع" القائم في السموات، ها أنا أدخل في ظلمات الغسق وأفتح باب السماء في منطقة الغرب، فلتستقبلوني وقد (امتدت) أذرعتكم نحوي، انظروا، إنني أعرف أسماءكم وكهوفكم وأسراركم"(١٧٧).

(*) سيأتي الحديث عن "بتاح" في فصل لاحق.

ولعلنا نلمح صدى عقيدة "رع" في العقيدة المسيحية عندما نسمع "رع" يقول : "أنا أمير ابن أمير، أنا الجوهر المقدس، الذي انبثق من الله، أنا الواحد العظيم وأبي دبر اسمي، أنا من له أسماء عديدة وأشكال عديدة، ولي في كل إله وجود. أنا من بشر بي المبشران "تمو" و"حورس"، وأبي وأمي نطقا باسمي، ولكنه كان مستوراً داخلي بواسطته هذا الذي ولدني ذلك (الاسم) الذي لا يمكن لكلمات قدرة أي عراف أن تجعله يسيطر علي "[١٧٨].

وفي رحلته الأبدية يشق "رع" بسفينته المقدسة غياهب عالم الموتى، ليشع فيه الحياة، متخذاً هيئة الكبش. تلك الهيئة التي كان عليها "أوزيريس" أيضاً، وكذلك "آمون".

وكما كان "آمون" يشارك كل عام في عيد رأس السنة (أوبت)، فإنه كان لـ"رع" أيضاً عيد باسمه يطلق عليه "مسورع"، يقول عنه (ياروسلاف تشرني) : " إن اختيار يوم ٢٥ ديسمبر يوم مولد المسيح، واحتفالات أعياد الكريسماس، قد حفظا العيد الشمسي القديم "مولد رع"، الذي كان يطلق عليه في اللغة المصرية "مسورع". "[١٧٩]

أما "آمون"، هذا الإله المصري العظيم، فقد نال شهرة قلما تمتع بها غيره. ويعتبر "آمون" واحداً من الآلهة المصرية التي عبدت في عصور بالغة القدم، فقد ورد ذكره على سبيل المثال في متون الأهرام[١٨٠].

ويعتبر البعض أن "آمون" كان واحداً من تلك الأرباب الثمانية التي شكلت الثامون المقدس، ومثلت العناصر الأولى للخلق، كما سيأتي فيما بعد.

ويرى (أدولف إرمان) أن "آمون" قد انتقل بعد ذلك إلى (طيبة)، وهناك : " تلألأ وعلا شأنه في (طيبة) "[١٨١].

ويرجح البعض أن عقيدة "آمون" ذات علاقة وثيقة بمدارس عقائدية أخرى في مصر، مثل (عين شمس) و(منف) [١٨٢]. وفي (طيبة) اتحد "آمون"، رب الهواء، بإله آخر كان يعبد هناك قبله، هو الإله "مين" رب الإخصاب. وبعد أن قامت الأسرة الحاكمة في (طيبة) بطرد الهكسوس، صارت (طيبة)

عاصمة للبلاد، فارتفع شأن إلاهها "آمون"، واتحد مع "رع"، وصار إلهاً لمصر كلها.

وفي الواقع أننا ننطق اسم "آمون" خطأ، فحرف الواو - الحرف الحلقي - هو حرف زائد، دخل على الاسم المنقوش في مئات المواقع الأثرية بثلاثة حروف فقط، هي : أ م ن. فهو "أمن"، كما كتبه المصريون [القدامى]. فإذا ما أخذنا اللفظ كما هو عليه في اللغة المصرية، "أمن"، وجدناه قريب الشبه للغاية بالجذر العربي للأمن والإيمان، إن لم يكن هو نفسه.

أما معنى "أمن" في اللغة المصرية فيعني الاستتار أو الخفاء. فالإله "أمن" [آمون] هو الإله الخفي، الذي لا تدركه الأبصار.

ويعلق (فهمي خشيم) على ذلك فيقول : " وهنا نجد الجذر العربي "أمن" يوحى بمختلف اشتقاقاته بمعنى الباطن أو الخفي أو الشيء المستور (..)، بما في ذلك الإيمان وملحقاته، والإئتمان هو عدم إظهار الشيء وكتمانه"[١٨٣].

وعلى ذلك يمكن أن يكون أمن هو نفسه "أمين"، الذي ورد مرات عديدة في الإنجيل، فقد جاء ذكره على سبيل المثال كخاتمة للصلاة التي أمر المسيح أتباعه بآدائها، حين قال : " فصلوا أنتم هكذا. أبانا الذي في السموات ليتقدس اسمك. ليأت ملكوتك. لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض خبزنا كفافنا أعطنا اليوم. واغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضاً للمذنبين إلينا ولا تدخلنا في تجربة. لكن نجنا من الشرير لأن لك الملك والقوة والمجد إلى الأبد أمين "[١٨٤].

وقد ورد لفظ "أمين" أيضاً في خاتمة سورة الفاتحة، التي يستهل بها كل مسلم صلاته. وقد حاول المفسرون واللغويون تفسير معنى أمين، فقال (أبو هريرة) : " أمين خاتم رب العالمين على عباده المؤمنين "، وقال أيضاً : " أمين درجة في الجنة أي يكتسب بها قائلها درجة في الجنة ".

وقد ذهب بعضهم إلى أن معناها : "اللهم أستجب"، ولكن (مجاهد) يقول " أمين..اسم من أسماء الله ". كما روى عن (الحسن) أيضاً أنه قال : " أمين اسم من أسماء الله عز وجل"[١٨٥].

الهـوامـش

١ – قصص الأنبياء ابن كثير
٢ – سورة آل عمران آية (٣٥) و(٣٦)
٣ – قصص الأنبياء ابن كثير
٤ – المرجع السابق
٥ – سورة مريم آية (١٩) و(٢٠)
٦ – إنجيل لوقا الإصحاح (١) آية (٢٤) و(٢٦)
٧ – سورة مريم آية (٢٧) و(٢٨)
٨ – سورة مريم آية (٢٦)
٩ – إنجيل متى الإصحاح (٢) آية (٢٠)
١٠ – المرجع السابق الإصحاح (٢) آية (١٣)
١١ – المرجع السابق الإصحاح (٢) آية (٢٢) و(٢٣)
١٢ – قصص الأنبياء ابن كثير
١٣ – إنجيل متى الإصحاح (٤) آية (٢٣) و(٢٤)
١٤ – إنجيل متى الإصحاح (٥) آيات (٣ : ٩)
١٥ – المرجع السابق الإصحاح (٥) آية (١٧) و(١٨)
١٦ – المرجع السابق الإصحاح (٦) آيات (٩ : ١٤)
١٧ – المرجع السابق الإصحاح (٧) آية (٢٨)
١٨ – المرجع السابق الإصحاح (٨) آية (١)
١٩ – المرجع السابق الإصحاح (١٠) آية (٥) و(٦)
٢٠ – المرجع السابق الإصحاح (١٦) آية (١٦)
٢١ – المرجع السابق الإصحاح (١٦) آية (٢١)
٢٢ – المرجع السابق الإصحاح (١٦) آيات (٢٤ : ٢٧)
٢٣ – المرجع السابق الإصحاح (١٧) آية (١) و(٢)
٢٤ – المرجع السابق الإصحاح (١٧) آية (٥)
٢٥ – المرجع السابق الإصحاح (١٧) آية (٩)
٢٦ – المرجع السابق الإصحاح (٢٠) آية (١٨)
٢٧ – المرجع السابق الإصحاح (٢١) آية (١٠)
٢٨ – المرجع السابق الإصحاح (٢١) آية (١٢) و(١٣)
٢٩ – المرجع السابق الإصحاح (٢٦) آية (٣)

٣٠ – المرجع السابق الإصحاح (٢٦) آية (١٥)
٣١ – المرجع السابق الإصحاح (٢٦) آية (٣٦)
٣٢ – المرجع السابق الإصحاح (٢٦) آية (٤٨)
٣٣ – المرجع السابق الإصحاح (٢٧) آية (٣٧)
٣٤ – مقارنة الأديان د.أحمد شلبي
٣٥ – أسرار الكنيسة السبعة حبيب جرجس
٣٦ – مقارنة الأديان د.أحمد شلبي
٣٧ – المرجع السابق
٣٨ – الفصل في الملل والأهواء والنحل الشهرستاني
٣٩ – المرجع السابق
٤٠ – مقارنة الأديان د.أحمد شلبي
٤١ – الإسكندرية تاريخ ودليل إ. م. فورستر
٤٢ – مقارنة الأديان د.أحمد شلبي
٤٣ – الفصل في الملل والأهواء والنحل ابن حزم
٤٤- الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة موريس بوكاي
٤٥ – الفصل في الملل والأهواء والنحل ابن حزم
٤٦- الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة موريس بوكاي
٤٧ – المرجع السابق
٤٨ – المرجع السابق
٤٩ – مقارنة الأديان د.أحمد شلبي
٥٠ – المرجع السابق
٥١ – الفصل في الملل والأهواء والنحل الشهرستاني
٥٢ – إنجيل متى الإصحاح (٢٣) آية (١٣) و(١٤)
٥٣ – الفكر المصري في العصر المسيحي د.رأفت عبد الحميد
٥٤ - الحياة اليومية للآلهة الفرعونية ديمتري ميكس وكريستين فافارميكس
٥٥ – الديانة المصرية القديمة أدولف إرمان
٥٦ – المرجع السابق
٥٧ – المرجع السابق
٥٨ – المرجع السابق
٥٩ – معجم الحضارة المصرية القديمة مجموعة من الباحثين

٦٠ – الحياة اليومية للآلهة الفرعونية   ديمتري ميكس وكريستين فافارميكس

٦١ - السحر عند الفراعنة   محمد أبو رحمة

٦٢ – المرجع السابق

٦٣ – المرجع السابق

٦٤ – المرجع السابق

٦٥ – المرجع السابق

٦٦ – رسالة بطرس الثانية الإصحاح (٣) آية (١٠)

٦٧ – الخلود في التراث الثقافي   د.سيد عويس

٦٨ – المرجع السابق

٦٩ – الديانة المصرية القديمة   أدولف إرمان

٧٠ - رؤيا يوحنا الإصحاح (٢) آية (٩)

٧١ – الديانة المصرية القديمة   أدولف إرمان

٧٢ – وادي الملوك   إريك هورنونج

٧٣ - الحياة اليومية للآلهة الفرعونية   ديمتري ميكس وكريستين فافارميكس

٧٤ – الديانة المصرية القديمة   أدولف إرمان

٧٥ - الحياة اليومية للآلهة الفرعونية   ديمتري ميكس وكريستين فافارميكس

٧٦ – معجم الحضارة المصرية القديمة   مجموعة من الباحثين

٧٧ – الديانة المصرية القديمة   أدولف إرمان

٧٨ - آلهة المصريين   والاس بدج

٧٩ – الخلود في التراث الثقافي   د.سيد عويس

٨٠ – المرجع السابق

٨١ – المرجع السابق

٨٢ – المرجع السابق

٨٣ – المرجع السابق

٨٤ – رؤيا يوحنا الإصحاح (٩) آية (٢)

٨٥ – ريا يوحنا الإصحاح (٣) آية (٢)

٨٦ – الرمز والأسطورة   رندل كلارك

٨٧ – رؤيا يوحنا الإصحاح (٦) آيات (٥٤ : ٥٦)

٨٨ - آلهة المصريين   والاس بدج

٨٩ – المرجع السابق

٩٠ – مقارنة الأديان   د.أحمد شلبي

٩١ – الديانة المصرية القديمة   أدولف إرمان

٩٢ – المرجع السابق

٩٣ ـ الحياة اليومية للآلهة الفرعونية ديمتري ميكس وكريستين فافارميكس
٩٤ – الرمز والأسطورة رندل كلارك
٩٥ – المرجع السابق
٩٦ – رؤيا يوحنا الإصحاح (٢٠) آية (١٢)
٩٧ – إنجيل يوحنا الإصحاح (٥) آيات (٢٦ ـ ٢٧)
٩٨ – المرجع السابق الإصحاح (٥) الآية (٢٢)
٩٩ – رؤيا يوحنا الإصحاح (٢) آية (٢٣)
١٠٠ – رؤيا يوحنا الإصحاح (٥) آيات (١ : ٣)
١٠١ – المصدر السابق الإصحاح (١) آية (٤ : ٥)
١٠٢ – المصدر السابق الإصحاح (١) آية (١٢ : ١٣)
١٠٣ – مقارنة الأديان د.أحمد شلبي
١٠٤ ـ آلهة المصريين والاس بدج
١٠٥ – رؤيا يوحنا الإصحاح (٤) آية (١٣ : ١٤)
١٠٦ ـ الحياة اليومية للآلهة الفرعونية ديمتري ميكس وكريستين فافارميكس
١٠٧ – المرجع السابق
١٠٨ – رؤيا يوحنا الإصحاح (١) آية (١٣ : ١٤)
١٠٩ ـ الحياة اليومية للآلهة الفرعونية ديمتري ميكس وكريستين فافارميكس
١١٠ – رؤيا يوحنا الإصحاح (١) آية (١٧ : ١٨)
١١١ – المرجع السابق الإصحاح (١) آية (٥)
١١٢ – المرجع السابق الإصحاح (٥) آية (٦)
١١٣ – الديانة المصرية القديمة أدولف إرمان
١١٤ ـ الحياة اليومية للآلهة الفرعونية ديمتري ميكس وكريستين فافارميكس
١١٥ ـ آلهة المصريين والاس بدج
١١٦ – رؤيا يوحنا
١١٧ ـ آلهة مصر العربية علي فهمي خشيم
١١٨ – رؤيا يوحنا الإصحاح (٥) آية (٩)
١١٩ – المرجع السابق الإصحاح (٦) آية (٣)
١٢٠ ـ المرجع السابق الإصحاح (٦) آية (٥)
١٢١ ـ المرجع السابق الإصحاح (٦) آية (٨)
١٢٢ ـ المرجع السابق الإصحاح (١٣) آية (٢)

١٢٣ ـ الحياة اليومية للآلهة الفرعونية ديمتري ميكس وكريستين فافارميكس

١٢٤ – الديانة المصرية القديمة أدولف إرمان
١٢٥ – رؤيا يوحنا الإصحاح (٥) آية (٧)
١٢٦ – المرجع السابق الإصحاح (٤) آية (٦ :٧)
١٢٧ – الديانة المصرية القديمة أدولف إرمان
١٢٨ – المرجع السابق
١٢٩ – المرجع السابق
١٣٠ – معجم الحضارة المصرية القديمة مجموعة من الباحثين
١٣١ – كتاب الموتى
١٣٢ – الديانة المصرية القديمة أدولف إرمان
١٣٣ – رؤيا يوحنا الإصحاح (١٣) آية (١ : ٢)
١٣٤ - الحياة اليومية للآلهة الفرعونية ديمتري ميكس وكريستين فافارميكس
١٣٥ – رؤيا يوحنا الإصحاح (١٢) آية (١٤)
١٣٦ – المرجع السابق
١٣٧ – الرمز والأسطورة رندل كلارك
١٣٨ – الديانة المصرية القديمة أدولف إرمان
١٣٩ – رؤيا يوحنا الإصحاح (٢٠) آية (٣)
١٤٠ – المرجع السابق الإصحاح (٢٠) آية (١٠)
١٤١ – Die unter weltsbucher der agypter إريك هورنونج
١٤٢ – معجم الحضارة المصرية القديمة مجموعة من الباحثين
١٤٣ – المرجع السابق
١٤٤ – آلديانة المصرية القديمة أدولف إرمان
١٤٥ – المرجع السابق
١٤٦ – المرجع السابق
١٤٧ - آلهة مصر العربية علي فهمي خشيم
١٤٨ – Libe und sexualitaet im Altaegypten ليزا مانيكه
١٤٩ – الديانة المصرية القديمة أدولف إرمان
١٥٠ – الديانة المصرية القديمة ياروسلاف تشرني
١٥١ – الفكر المصري في العصر المسيحي د.رأفت عبد الحميد
١٥٢ - الحياة اليومية للآلهة الفرعونية ديمتري ميكس وكريستين فافارميكس
١٥٣ – المرجع السابق
١٥٤ – الديانة المصرية القديمة أدولف إرمان
١٥٥ - الحياة اليومية للآلهة الفرعونية ديمتري ميكس وكريستين فافارميكس

١٥٦ ـ آلهة المصريين والاس بدج
١٥٧ – معجم الحضارة المصرية القديمة مجموعة من الباحثين
١٥٨ – وادي الملوك إريك هورنونج
١٥٩ – معجم الحضارة المصرية القديمة مجموعة من الباحثين
١٦٠ – المرجع السابق
١٦١ ـ الحياة اليومية للآلهة الفرعونية ديمتري ميكس وكريستين فافارميكس
١٦٢ – المرجع السابق
١٦٣ – المرجع السابق
١٦٤ – المرجع السابق
١٦٥ – الديانة المصرية القديمة أدولف إرمان
١٦٦ ـ الحياة اليومية للآلهة الفرعونية ديمتري ميكس وكريستين فافارميكس
١٦٧ – المرجع السابق
١٦٨ – رؤيا يوحنا الإصحاح (١٢) آية (٧) و(٨)
١٦٩ – الرمز والأسطورة رندل كلارك
١٧٠ – رؤيا يوحنا الإصحاح (٢) آية (١٨)
١٧١ – معجم الحضارة المصرية القديمة مجموعة من الباحثين
١٧٢ – هامش كتاب بين الإسلام والمسيحية تأليف أبي عبيدة الخزرجي د. محمد البهي
١٧٣ – مقارنة الأديان د.أحمد شلبي
١٧٤ – المرجع السابق
١٧٥ – المرجع السابق
١٧٦ – الديانة المصرية القديمة أدولف إرمان
١٧٧ ـ الحياة اليومية للآلهة الفرعونية ديمتري ميكس وكريستين فافارميكس
١٧٨ ـ آلهة المصريين والاس بدج
١٧٩ – الديانة المصرية القديمة ياروسلاف تشرني
١٨٠ ـ الحياة اليومية للآلهة الفرعونية ديمتري ميكس وكريستين فافارميكس
١٨١ – الديانة المصرية القديمة أدولف إرمان
١٨٢ – المرجع السابق
١٨٣ ـ آلهة مصر العربية علي فهمي خشيم
١٨٤ – إنجيل متى الإصحاح (٦) آيات (٩ – ١٤)
١٨٥ ـ آلهة مصر العربية علي فهمي خشيم

جسر الحضارة

" لقد امتلكنا نحن الإغريق مصر، مملكة الأدب

والنبل العظيمة، أصل كل تراثنا وشرائعنا "

(جيوردانو برونو)
من كتاب "أثينا السوداء"

بعد انتقال (عيسى بن مريم) وجد معتنقو الديانة الجديدة أنفسهم أمام خيارين، أولهما أن يبقوا جماعة دينية داخل إطار العقيدة اليهودية، وثانيهما أن ينفصلوا عن الدين القديم ذي الإطار الضيق، آملين الانطلاق إلى رحاب العالم الواسع، فيصير هناك خطاب مسيحي للناس جميعاً، غير مقتصر على بني إسرائيل فحسب.

فكان أن نشأ صراع بين إتجاهين، أو جماعتين، أولهما كانت مجموعة الحواريين الملتزمة بتعاليم الديانة اليهودية وطقوسها، وكانت هذه الجماعة تمثل أغلبية الكنيسة حتى عام ٧٠ م، على حد قول (موريس بوكاي) [١]، أما المجموعة الأخرى فكانت تحت قيادة (بولس)، الذي كان عقد العزم على الانسلاخ تماماً عن عقيدة اليهود فلعب أبرز دور في تاريخ تطور الديانة المسيحية، واحتدم الصراع حتى وصل إلى حد الصدام، مما دعا إلى عقد "مجمع الرسل" في القدس عام ٥٠م. [٢]، وخلاله تم حسم النزاع لصالح (بولس) وجماعته.

وأصبح على هذه الجماعة طرح فكرها أمام العالم، فلم تجد سوى باب الفلسفة، حلاً وحيداً يسمح بجواز أفكار العقيدة الجديدة.

وصار على المسيحية أن تمزج أفكارها الدينية بالفكر الفلسفي، ولم يكن سوى (الإسكندرية)، معملاً عالمياً تتم فيه عملية المزج هذه، وهناك كانت تسود الفلسفة الأفلاطونية التي صار لها – فيما بعد – أعظم الأثر على الفكر اللاهوتي المسيحي.

وكانت (الإسكندرية)، منذ تأسيسها، قد ارتبطت بالعلوم وخاصة الفلسفة، تلك التي يعود تاريخ نشأتها إلى عصر الفيلسوف الإغريقي (طاليس) [٦٢٤ ـ ٥٤٦ ق. م] رائد هذه الحركة الفكرية التي عرفت فيما بعد بالفلسفة.

كان أهم ما قال (طاليس) هو : " أن الماء الأصل، وأنه هو المبدأ الأول ". وهي فكرة الخلق التي آمن بها المصريون، وانتشرت في عدة مراكز دينية مصرية.

ولم يكن غريباً أن يتأثر(طاليس) بالأفكار المصرية، وهو الذي زار مصر، حيث درس هناك علم المساحة. وقد بلغت الفلسفة (اليونانية) أوج تألقها الفكري على يد فلاسفة عظام مثل (سقراط) و(أفلاطون) ثم (أرسطو)، هذا الفيلسوف الذي استدعاه الملك المقدوني (فيليب) إلى بلاطه ليقوم على تربية ابنه (الإسكندر)، مما كان له أكبر الأثر على توجه الأمير الصغير ودفعه إلى الإهتمام بالعلم والأدب[٣].

وقد كانت (مقدونيا) دولة مستقلة، تقع شمال غرب اليونان، وكان (الإسكندر الأول) أول ملوكها [٤٩٦ ق. م]، ثم حكم البلاد ملك يدعى (مونثاث الثاني)، خلفه على عرش مقدونيا ثلاثة من أبنائه، هم (الإسكندر الثاني) و(برديقاس) و(فيليب). وقد استطاع الأخير اغتصاب العرش لنفسه.

وكان (فيليب) قد وضع نصب عينيه هدفين، أولهما وضع بلاد اليونان – كلها – تحت قيادته، وثانيهما كان القضاء على عدوه اللدود المتمثل في الفرس.

واستطاع (فيليب) تحقيق جزءٍ من طموحاته، إلا أن القدر لم يمهله لبلوغ جميع أهدافه، إذ تم قتله، فخلفه ابنه (الإسكندر الثالث) – الذي عُرف فيما بعد بـ(الإسكندر الأكبر) – في حكم بلاد اليونان عام ٣٣٦ ق. م، وسرعان ما خرج الملك الجديد على رأس جيش أبيه لمحاربة الفرس، فقهرهم، ثم مضى خلفهم إلى سوريا، ثم زحف إلى مصر، ودخلها عام ٣٣٢ ق. م، حيث استقبله أهلها مرحبين ؛ لما رأوا فيه مخلِّصا من استعمار الفرس البغيض لبلادهم.

ومنح المصريون (الإسكندر) الألقاب الرسمية التي كان يحملها الفرعون المصري ؛ "حورس" و "ملك الأرضين" و"ابن رع"[٤].

أما هو نفسه فكان يحمل كل الإجلال للديانة المصرية، وهو ما نستطيع رؤيته حتى اليوم على جدران قدس أقداس معبد (الأقصر)– على سبيل المثال – إذ يقف (الإسكندر) كفرعون مصري في خشوع أمام الآلهة المصرية، وهو الذي قد بادر بالذهاب إلى معبد "آمون" بواحة (سيوة)، ليباركه الإله المصري، ويحصل منه على شرعية حكمه، وكان كهنة مصر قد رأوا أن يكرموا الملك

العظيم، فجعلوه – على طريقتهم – ابناً للحضارة المصرية، إذ رووا أن الإله "آمون" قد حل في صورة آخر فراعنة مصر، الملك (نقطنبو الثاني)، الذي انهزم أمام الفرس، فمضى إلى (مقدونيا) وهناك التقى (أولمبيا) – أم (الإسكندر) – وأنجب منها هذا الابن البار. وهكذا حمل (الإسكندر) لقب "ابن آمون"، ونودي به في البلاد المصرية ملكاً عليها(٥).

وكان (الإسكندر) – قبل زيارته لمعبد "آمون" بـ(سيوة) – قد حرص على رؤية جزيرة (فاروس) وبحيرة (مريوط)، اللتين تغنى بهما الشاعر الإغريقي (هوميروس) (٦)، وأثناء ذلك لفت نظر الرجل العظيم قرية صيادين صغيرة تدعى (راقودة)، فعقد عزمه على إنشاء عاصمة له في موقع هذه القرية، فكلف مهندسه (دينوقراطيس) ببناء هذه المدينة، التي عُرفت فيما بعد باسم (الإسكندرية).

ومات (الإسكندر الأكبر) قبل أن يرى مدينته العظيمة وقد صارت كعبة العلم، ومركز إشعاع ثقافي وحضاري غمر نوره العالم أجمع.

وصار خلفاء (الإسكندر)، الذين عُرفوا بالبطالمة [٣٢٢ – ٣٠ ق. م]، يبذلون جهدهم ومالهم لتأكيد دور (الإسكندرية)، التي احتضنت العلماء والفلاسفة، فقد أنشأ (بطليموس الأول) [٣٠٥ – ٢٨٥ ق.م]، أول حكام الإغريق لمصر، ما يسمي بالمتحف (Musion)، وكان يدرس فيه العلوم الطبيعية والفلك والرياضيات. وقد تمتعت هذه المؤسسة الثقافية بدعم الملوك البطالمة، حتى أن رئيسها كان يُعين من قبل الملك شخصياً.

أما مكتبتها فقد نالت شهرة عظيمة، لم تحظ بها أية مكتبة أخرى في تاريخ الإنسانية، وكانت هذه المكتبة تحتوي على حوالي ٥٠٠٠٠٠ كتاب.

ومن المعروف أنه قد تم ترجمة التوراة من العبرية إلى اليونانية لأول مرة في مكتبة (الإسكندرية) (٧).

ومما يروى عن الاهتمام بالحصول على الكتب العلمية في هذا العصر، أن جميع السفن التي كانت تمر بالبلاد كان يتم تفتيشها، فإذا عُثر في إحداها على

كتاب جديد ؛ كان يتم نسخه وإعطاء النسخة إلى صاحب الكتاب، بينما يضم الكتاب إلى مجموعة الكتب بمكتبة (الإسكندرية).

ولكن للأسف فقد تعرضت هذه المكتبة لحريق مدمر عام ٢٧٢ م، على يد الإمبراطور الروماني (أورليان)، وكذلك دُمرت المكتبة الصغرى إبان العصر المسيحي في القرن الرابع الميلادي[٨].

وقد ظلت (الإسكندرية)، بعد احتلال الرومان لها عام ٣٠ ق. م، تتمتع بمكانتها الرائدة في الإمبراطورية الرومانية. وقد تميزت (الإسكندرية) باحتضانها للمدارس الفلسفية المختلفة.

فقد " كانت (الإسكندرية) في هذا الميدان صاحبة الكعب العالي"، كما يقول د. (رأفت عبد الحميد)، الذي يضيف أيضاً ".. على حد قول (مانجو) ؛ كانت (الإسكندرية) أكبر مركز جامعي في الإمبراطورية اليونانية، يفد إليها طلاب العلم والدارسون الوثنيون والمسيحيون على السواء "[٩].

قُدِّر إذن للـ(إسكندرية) أن تكون نقطة التقاء بين الفلسفة اليونانية وبين المسيحية، الدين الوليد، الذي أخذ يتحسس خطاه على طريق جديد اختار أن يشقه لنفسه، وكان من الطبيعي والمنطقي أن يتأثر المسيحيون حينذاك بـ(فيلون)، ذلك الفيلسوف السكندري اليهودي، الذي كان قد تأثر بدوره بالثقافة الشرقية والثقافة الغربية الوافدة، وعمل على مزجها بعضها ببعض، وبالرغم من استيعابه لتلك الثقافات ؛ إلا أن (فيلون) ظل على إيمانه العميق بدينه، كما ظل يقدم الدين على العقل، بل إنه كان يفسر الدين تفسيراً فلسفياً، واتبع منهج يهود (الإسكندرية)، الذين كانوا يفسرون التوراة تفسيراً رمزياً[١٠].

وكان (فيلون) قد تأثر كثيراً بالفيلسوف اليوناني الكبير (أفلاطون)، ويظهر أثر ذلك بجلاء في فكر هذا الفيلسوف السكندري اليهودي، حين يقول بوجود عالمين أحدهما "عالم معقول" والأخر "عالم محسوس"[١١]. أما العالم المعقول فقد خلقه الله من عدم، أو دون مادة سابقة، بمعنى أنه ولده كمل يلد العقل أفكاره. أما العالم المحسوس فقد نشأ عن مادة سابقة وبفعل واسطة بين الله والمادة[١٢].

وعن هذه الواسطة يقول د. (رأفت عبد الحميد) : " قوة سائدة في جميع الموجودات، من شأنها أن تربط بين الأجزاء المختلفة للوجود، وهذه القوة هي "الكلمة" أو "اللوجوس"، ومن هنا يصل (فيلون) إلى الإيمان بأن الكلمة تحتفظ بدرجة وسطى بين الله أو الإلوهية وبين المخلوق "(١٣). وعن طريق (فيلون) انتقلت هذه النظرية الفلسفية إلى المسيحية، إذ نقرأ في بداية إنجيل (يوحنا) : " في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمه الله. هذا كان في البدء عند الله. كل شيء به وبغيره لم يكن شيء مما كان"(١٤).

ويعلق (ديورانت) على ذلك فيقول : " إن ثمرة فلاح (فيلون) كانت الإصحاح الأول من إنجيل (يوحنا) "(١٥).

ولم يكن (فيلون) – الذي توفي في أواسط القرن الميلادي الأول – هو وحده القائل بفكرة "الكلمة"، فقد قال بها أيضاً الرواقيون، أصحاب المدرسة الفلسفية، التي كانت أكثر المذاهب الفلسفية تأثراً بالثقافة الشرقية(١٦)، والتي كانت أيضاً تعتبر مدرسة مجددة لفكر الفيلسوف اليوناني (هرإقليطس) [٥٤٠ – ٤٧٥ ق.م] أول فلاسفة الإغريق من قال بـ"اللوجوس"(١٧).

وقد ذهب الرواقيون إلى أن "الكلمة" هي التي تحفظ الموجودات جميعاً، أو العلة المشتركة المقومة لجميع الأشياء، بمعنى آخر هي "الإله الأكبر وهي في جميع المخلوقات ولا مخلوقة" ـ على حد قول (لويس مينار)، الذي يضيف إلى ذلك: " ويسند هذا الدور أحياناً للشمس، التي تنشيء الكائنات الحية، كالأب ينشيء الجواهر المثالية "(١٨).

وعلى مسلة مصرية، توجد الآن في (برلين)، نقش المصريون [القدامى] عبارة تدعو الشمس "بالمولود ابن الله الكلمة"(١٩).

وهناك نص آخر على باب معبد مدينة (هابو) يقول : " إنه هو الشمس الذي صنع كل ماهو موجود، ما من شيء ُصنع بدونه أبداً"(٢٠).

أما (فيلون) فيسمي الله بشمس الشمس، الشمس المعقولة للشمس المحسوسة.

وعلى لسان شمس مصر، الإله "رع"، جاءت العبارة : " أنا أمير ابن أمير، أنا الجوهر المقدس، الذي انبثق من الله"[٢١].

وقد استخدم رب الأرباب المصري "الكلمة" في عملية الخلق. كما أنه خلق أرض العالم عندما نطق بسبع كلمات، كونت الأرض[٢٢].

وفي عصر الأهرامات، أى قبل ٤٥٠٠ سنة، على أقل تقدير، كان الإله "بتاح" المصري قد تبوأ مكانه كخالق بقوة الكلمة. ففي هذا العصر المبكر من تاريخ مصر [والعالم أيضاً] كان المصريون يؤمنون بأن الله خلق العالم بواسطة الكلمة. كان "بتاح" قد تصور العالم في قلبه [أي عقله]، ثم نطق به لسانه، فصوره خلقاً [مخلوقاً]. وكان "بتاح" معبوداً في مدينة (منف)، عاصمة مصر المتحدة، وأعظم مدنها قاطبة على مر عصور التاريخ، وكان "بتاح" يُعرف بأنه " الإله بالغ العظمة"، وهو "رب الحق ملك الأرضين"، و"الذي رسخ الحق في الأرضين"، وهو "بتاح والد البداية" و"أبو الآباء"[٢٣].

وقد أُعتبر "بتاح" أيضاً رباً شمسياً، أي مجسداً للشمس، فكان هو : " بتاح قرص الشمس، منير الأرض بنار عينيه "[٢٤].

وفي (منف) أُعتبر أيضاً "بتاح" حامياً للصناع والفنانين، ونُسب إليه إختراع الفنون[٢٥].

أما الرب المصري " تحوت" – كما سيأتي فيما بعد تفصيلاً – فقد كان رباً للكتابة، تلك الكتابة لم تكن سوى كلمات مقدسة، كما أسماها الإغريق فيما بعد عن حق بالهيروغليفية، أي الخط المقدس، فهي صور وعلامات لكلمات الله، فالكلمة المكتوبة هي صورة الكلمة المنطوقة، أو كما يقول (ديمتري ميكس) و(كرستين فافرميكس) إن : " نفس علامات الكتابة تعد "بصمات" لكل ما يتضمنه الخلق، فكل كائن من الكائنات، وكل شيء من الأشياء قد أُستخدم كعلامات للكتابة. وتعتبر الكلمات الإلهية – مهما تنوعت – بمثابة انبعاثات من رع ".

ويضـيف الباحثـان : " وربمـا وضـع " تحـوت" بيانـاً بهـذه البصـمات، وكـان يستطيع أن يحصيها، وهو هنا أيضاً بمثابة الوسيط الذي يعرف القراءة، أي الذي يمكنه أن يحول الكتابة إلى كلمات، وبالتالي يرجعها إلى أصلها، إلى قوتها الأولى"[٢٦].

مثل هذه الأعمال والمهام كانت من اختصاص هذا الرب "تحوت"، الذي لم يكن رباً للكتابة فقط، بل كان يعتبر هو ذاته "الكلمة"، وكان "تحوت" أحياناً يوصف بأنه لسان أو قلب "رع"[٢٧]. وهو ما يؤكده العالم الكبير (والاس بدج) حين يقول : "في المقام الأول كان "تحوت" يمثل كلاً من قلب ولسان "رع"، بمعنى أنه يمثل القدرتين الذهنية والسببية للإله، كذلك الوسائل التي يترجم إرادتها لكلمات ".

ويشرح (بدج) دور" تحوت"، فيقول بأنه هو : " الذي يقول الكلمات التي ينتج عنها تحقيق إرادة "رع"، وهو ما يدل على أن ما كان ينطقه كان يتم بشكل أو بآخر. فـ" تحوت" هو الذي نطق بالكلمات التي نتج عنها خلق السموات والأرض"[٢٨].

وهكذا صار "تحوت" فيما بعد ممثلاً للفلسفة الأفلوطنية، كما يقول د. (بروجيش) [٢٩].

إنه هو (أفلاطون) الذي لم يكن مؤثراً في فلسفة (فيلون) وغيره فحسب، بل كانت أفكاره تمثل التيار الغالب على الحركة الفكرية في (الإسكندرية).

فإذا عدنا إلى (أفلاطون) نفسه ؛ نجده يقول عن "تحوت" أنه هو "الذي اخترع الأعداد والحساب والهندسة، وأهم من ذلك كله، أنواع الأدب ". وفي موضع آخر يضيف (أفلاطون) أن "تحوت" هو مبدع اللغة وكل العلوم[٣٠].

وكان (أفلاطون) قد وُلد في أثينا عام ٤٢٧ ق. م، ثم انتقل إلى مصر، وغادرها وعاد إليها مرة أخرى، وفي مدينة (عين شمس)، هذا المركز الديني والعلمي العظيم، تلقى (أفلاطون) دروساً في علم الفلك على يد الكهنة المصريين، ولم

يكن ليفوت (أفلاطون) الإستفادة من الدين المصري، وكذلك من أخلاق مصر ونظمها وتقاليدها، وهو ما برز في مؤلفاته فيما بعد.

وعن شواهد أثر الفكر المصري في أعمال (أفلاطون)، وفي مقدمتها "الجمهورية"، يقول (مارتن برنال) : " وفي وجود هذه الشواهد التي تؤيد اشتقاق أفكار الجمهورية من أصول مصرية، ربط العلماء المعاصرون هم الأخرون بين (أفلاطون) ومصر، وكما ذكر (ماركس) فإن جمهورية (أفلاطون)، فيما يتعلق باتخاذ تقسيم العمل أساسا تكوينياً للدولة، هي مجرد معالجة مثالية لنظام التقسيم الطبقي في مصر "[٣١].

هذا ما قاله (كارل ماركس) أحد فلاسفة العصر الحديث، أما معاصرو (أفلاطون) فكانوا لا يرون فيه مبدعاً لأفكاره في مؤلفه "الجمهورية"، بل كان مجرد ناقل له عن النظم المصرية[٣٢].

أما (أفلاطون) نفسه فقد كان مؤمناً بأن المفكرين العظام، مثل (فيثاغورس) و (سولون) و(ليكوجوس)، كانوا قد جلبوا العلوم من مصر [٣٣].

وكان (أفلاطون) أستاذاً لـ(أرسطو)، أعظم فلاسفة اليونان وأشهرهم. وكان (أرسطو) قد ولد عام ٣٨٤ ق. م، فلما بلغ سن الثامنة عشر ؛ جاء أثينا ليدرس في الأكاديمية التي أنشأها (أفلاطون)، وكما درس (أرسطو) على يد (أفلاطون)، الذي زار مصر أكثر من مرة، وأقام بها لتلقي العلم، تتلمذ أيضاً على يد (يودكسوس)، الذي أقام في مصر أيضاً، ويُروى عنه أنه كان حريصاً على حلق رأسه بانتظام، حتى يتمكن من حضور دروس كهنة "آمون"[٣٤].

وقد أُعجب (أرسطو) بمصر وحضارتها إعجاباً يفوق الوصف، ويظهر مبلغ إعجاب (أرسطو) بالعقلية المصرية في اقتناعه بأن المصريين لم يطوروا الهندسة بناءً على عملية تجريبية، أي إعادة قياس الأرض بعد غمرها بماء الفيضان، بل أنهم وضعوا هذه القواعد وضعاً تنظيرياً بحتاً[٣٥].

وكان (أرسطو) يؤمن بأن مصر هي مهد الرياضيات، وأن كهنة مصر هم الذين اخترعوا تخصصات الرياضيات، أو الفنون الرياضية التي كانت تضم الهندسة والحساب والفلك[٣٦].

ظل (أرسطو) يدرس بأكاديمية (أفلاطون) حتي توفي الأخير، فذهب (أرسطو) بعد ذلك إلى أثينا. وهناك أنشأ مدرسة ومكتبة، وكان الملك (فيليب) – كما ذكرنا سابقاً – قد استقدم هذا الفيلسوف العظيم ليدرس لابنه (الإسكندر)، الذي لم يكن تجاوز الثالثة عشر من عمره، وظل (أرسطو) يقوم على أداء هذه المهمة لأربع سنوات، وهكذا لم يكن غريباً أن ينبهر (الإسكندر) الأكبر بمصر وحضارتها، ولم يكن غريباً أن ينشأ مدينة (الإسكندرية)، التي كان من منطق الأمور أن تصير درة الحضارة الإنسانية الثقافية.

الصابئة

جاء بالقرآن الكريم عن هذه الطائفة : (إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين و النصارى والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة..) [٣٧].

وجاء به أيضاً عنهم : (إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الأخر وعمل صالحاً فلا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون)[٣٨].

وكذلك : (إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الأخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون) [٣٩].

وعن معنى لفظ "الصابئة" يقول (الشهرستاني) : ".. في اللغة صبأ الرجل إذا مال وزاغ، فبحكم ميل هؤلاء عن سنن الحق وزيغهم عن نهج الأنبياء قيل لهم صابئة "[٤٠].

والصابيء في اللغة العربية تعنى خروج المرء من دين إلى دين آخر. أما أهل هذه الطائفة أنفسهم فيقولون أن كلمة "صبأ" أرامية، وتعنى التعميد [بالماء]. ولما كان التعميد [الاغتسال بالماء] علماً على ديانتهم، وركناً أساسياً في عقيدتهم، فقد أطلق عليهم بعض الباحثين اسم : "المغتسلة"، والذي يكون مرادفاً لكلمة : "صابئة"[٤١].

وفي كتابه "الصابئة حكمهم الشرعي وحقيقتهم الدينية"، يقول آية الله العظمى، الإمام السيد (علي الخامنئي) : " ذكر بعض من تعرض للتعريف اللغوي أو التاريخي للصابئين ؛ أن اسمهم هذا مشتق من " صبأ"، بمعنى خرج، ويقال لهم الصابئي، لخروجهم من دين إلى دين. ويذكرون في وجه ذلك أموراً [راجع : التفسير للـ(رازي) وغيره، وغير واحد من كتب اللغة].

فربما يتبادر إلى الذهن أن هذا لا يتلاءم مع الانتساب إلى أصل إلهي ونبي وكتاب سماوي. وأقول :

أولاً : في مقابل هذا الوجه في تسميتهم وجه آخر، ذكره بعض الفضلاء والمحققين في رسالة كتبها في التعريف بالصابئة، وهو أن هذه الكلمة [الصابيء]، من أصل أرامي بمعنى المغتسل، وقد سموا بها لاهتمامهم بالغسل بالماء، بحيث إنه كان أحد أركان أحكامهم الشرعية، ولذا يسمون في عرف أهل الملل بالصابئة المغتسلة.

وثانياً : أمثال هذه الاعتبارات، المبنية على الحدس الظني، مما لا وزن لها في استنباط الحكم الشرعي، حتى ولو لم يذكر في وجه تسميتهم ما ذكرناه عن ذاك البعض، فإن هذه الوجوه الظنية لا تغني من الحق شيئاً "[٤٢].

ويسكن الصابئة الآن في العراق وإيران وبعض إمارات الخليج العربي، وغيرها.

ويعرف أصحاب هذه الديانة أيضاً باسم " الصابئة المندائيون"[٤٣].

والمندائي تعني من له معرفه بالعلوم الإلهية. فلفظ "مندا" يعني العلم والمعرفة، والمندائي هو العالم أو العارف [بالعلوم الإلهية][٤٤].

وقد اختلفت الأقوال في مذهب الصابئة وعقيدتهم، فمن قائل أنهم من عبدة الكواكب، ومن قال أنهم من عبدة الأصنام، ومن ذهب إلى أنهم من أهل الكتاب، ومن نفي عنهم ذلك، ومن رأى أنهم موحدون.. وإلى ما غير ذلك.

ويرد الأستاذ (جابر أحمد) على التباين في الآراء إلى سببين، فيقول : " إن اختلاف الآراء وتباينها، الذي رافق كتابات بعض المؤرخين والباحثين، يرجع إلى أن هؤلاء الباحثين لم يكونوا على دراية ومعرفة باللغة المندائية، وهي أحد فروع اللغة الأرامية ".

أما السبب الثاني فيرجعه إلى التباس وقع عند من خلطوا بين جماعتين تحملان نفس الاسم، فيقول : " وبما أن الصابئة وبعد نزوحهم من (فلسطين) قد استقروا – وقبل نزوحهم إلى العراق – في مدينة (حران)، التي كان أهلها آنذاك من الوثنيين عبدة الكواكب، من هنا حصل الالتباس بين ديانة ومعتقد الذين هاجروا إلى هذه المدينة واستقروا فيها واندمجوا في ثقافتها، مع حفاظهم علي دينهم، وفي هذا المجال يؤكد المستشرق الألماني (هـ. ويتر) في رسالة كتبها إلى السيد

(عبد الرازق الحسني) مؤلف كتاب "الصابئون في حاضرهم وماضيهم"، قائلاً : " فالمشهور عندنا لا مناسبة أصلاً بين صابئة العراق وصابئة (حران)، علي رغم اشتراك الطائفتين بالاسم "[٤٥].

ومن ضمن هؤلاء الذين التبس عليهم هذا الأمر ؛ كان (سيد قطب)، الذي يقول عن الصابئة : " إنهم على الأرجح تلك الطائفة من مشركي العرب، قبل البعثة، الذين ساورهم الشك فيما كان عليه قومهم من عبادة الأصنام، فبحثوا لأنفسهم عن عقيدة يرتضونها، فاهتدوا إلى التوحيد، وقالوا أنهم يعبدون على الحنيفية الأولي ملة (إبراهيم) ".

ثم يعود (سيد قطب) ليقول بأن : " بعض التقارير تؤكد على أنهم من عبدة النجوم ". وهو نفس ما ذهب إليه أيضاً الباحث (عبد الرازق الحسني)، إذ قال بأن الصابئة من عبدة الكواكب، ولكنه تراجع عن ذلك، فقال بأن الصابئة : " يؤمنون بالخالق جل شأنه أنه أزلي أبدي، لا أول لوجوده ولا نهاية له، منزه عن المادة والطبيعة، ولا تناله الحواس ولا يفضي إليه مخلوق، وأنه لم يلد ولم يولد، وهو علة وجود الأشياء ومكونها، ولا يختلف اعتقادهم عن اعتقاد المؤمنين"[٤٦].

وعن عقيدة الصابئة يقول الإمام (الخامنئي) : " فمن جملة عقائدهم التي يدعونها ويصرون عليها التوحيد، فقد عقد في الكتيبة الصغيرة، التي نشروها باسم " درفش"، فصل مخصوص بالتوحيد باسم " بوثة التوحيد" [والظاهر أن "بوثة" في كتابهم تعادل القسم والفصل، كالسورة أو الآية]، ومما جاء فيها ما ترجمته بالعربية هكذا : " إلهي منك كل شيء، يا عظيم يا سبحان. يا حكيم يا عظيم، يا الله المتعال الكريم، علت قدرتك على كل شيء، يا من ليس له شبيه ولا نظير، يا راحم المؤمنين، يا منجى المؤمنين، يا عزيز يا حكيم، يا من ليس له شريك في قدرتك، أسبح باسمك.. "[٤٧].

أما (ابن النديم فيقول) : " أنه كان لهم كتاب يشتمل على مقالاتهم بالتوحيد ". وينقل عن (الكندى) " أنه وصف هذا الكتاب بأنه على غاية من التقانة في التوحيد "[٤٨].

عرفنا مما تقدم، أن الصابئة نزحوا من (فلسطين) فهل كانت (فلسطين) موطنهم الأول؟.

يقول الأستاذ (سليم برنجى) : " يعد الصابئة من الأقوام الأرامية، وكان موطنهم الأصلي مصر و (فلسطين) القديمة "[٤٩].

أما الأستاذ (سالم الحجيلي) فيقول : " إن تاريخ الصابئة قبل (فلسطين) لم يؤرخ بما فيه الكفاية، وإن توضيح هذا التاريخ يحتاج إلى مزيد من البحث والتحقيق والدراسة، إلا أن تاريخهم في (فلسطين) وما جاورها مبين وواضح إلى حد ما، فقد انتقل الصابئة على مراحل من أرض مصر و كنعان إلى أرض (فلسطين) "[٥٠].

ويقول (محمد محيط طباطبائي) بأن الصابئة (المندائيين) أنفسهم يرون : " أن نسبهم يصل إلى مصر، وقد اقترنت هجرتهم من مصر مع هجرة اليهود منها إلى أرض كنعان (..) واليوم فإن تلك الأقوام يُعرفون ويعرفون أنفسهم على أنهم من الأقوام السامية الكنعانية، في حين الحكايات المندائية والعبرية ترى أنهم مصريون "[٥١].

هكذا إذن – مما تقدم - نستطيع أن نرجح أن للصابئة جذوراً مصرية، أما تسميتهم بالصابئة فهي تسمية مصرية خالصة، لأن كلمة "صبا" لفظ مصري أصيل، ونستشهد في هذا الصدد بما جاء في بحث (علي فهمي خشيم)، حيث يقول : " والأصل في هذا كلمة "صبأ"، بمعنى : نجم (المصرية س ب ء)، فالصابئون هم الصبأيون، أي النجميون، عباد النجوم. غير أن تطور الدلالات، بل تبدلها، ما لبث أن لحق بالجذر صبأ فصار يعني المروق، الخروج من دين لآخر، كما تصبأ النجوم، أي تخرج من مطالعها. ولا ريب في أنه ليس من محض الصدفة أن نجد نفس الدلالات – بتطورها – في المصرية كما في العربية، فنقرأ : سبا = نجم، وسبا = يعلم، وسابيت = تعليم، وسب = تلميذ، وسبا = يثور – يتمرد (يصبأ) "[٥٢].

أما رسائل "إخوان الصفا" فتدلنا علي المصدر الذي استقى منه الصابئة علومهم، فتقول : " وقد أخذوا أصول علومهم من السريانيين وعن المصريين، وقد كان رؤساء أوائلهم (عاذيمون) و(هرمس) [٥٣].

وهكذا نستطيع أيضاً أن نقول أن هؤلاء أخذوا علومهم عن المصريين والسريانيين، وإن من "رؤسائهم الأوائل" كان (هرمس)، كما جاء في رسائل إخوان الصفا.

وقد أشار (القفطى) إلى (هرمس) في كتابه " تاريخ الحكماء"، فقال بأنه خرج من مصر وجاب الأرض كلها، ثم عاد إليها ورفعه الله بها (...) وأنه دعا إلى دين الله، والقول بالتوحيد وعبادة الخالق، وتخليص النفوس من العذاب في الأخرة بالعمل الصالح "[٥٤].

وقد تم العثور على كتب لـ(هرمس) عام ١٩٣٠ في أرض مصر[٥٥]. وعن هذه الكتب الهرمسية ؛ يقول (لويس مينار) بأنها الآثار الوحيدة المعروفة التي يمكن تسميتها بالفلسفة المصرية"[٥٦].

أما (مرسيا إلياد) فيقول : " إن الأدب الهرمسي بممثليه وديكوره وأساطيره ؛ يبدو مصرياً خاصة بالنسبة للنصوص القديمة "[٥٧].

وقد نُسب إلى (هرمس) عدد كبير من الكتب والرسائل، يبدو أنها مؤلفات اشترك العديد من الكهنة في كتابتها باسم (هرمس)، أو كما يقول (جامبليك) : " (هرمس) الذي يدبر الكلام، هو حسب التقليد القديم مشترك في كل الكهنة، وهو الذي يقود إلى العلم الحقيقي، وأنه واحد في الكل، ولهذا أسندوا إليه كل الاكتشافات، ووضعوا أعمالهم تحت الاسم (هرمس) "[٥٨].

ويؤيد (غاليان) أيضاً وجهة النظر هذه، ويضيف أن الكهنة كانوا يكتبون على الأعمدة نصوصاً يغفلون اسم مؤلفها. " وكانت أعمدة (هرمس) تلك المسلات النصب التي كانت الكتب الأولى قبل اختراع البردي "[٥٩].

ويقول الأستاذ (عبد الهادي عباس) : " والمعروف الآن هو أن (هرمس) المثلث العظمة هو المؤلف الوهمي للكتب التي تعرف بالكتب الهرمسية، وعلي الأخص

للمجموعة الأولى التي وصلتنا، والتي تعرف باسم الأول منها " بوامندريس"، ويزعم أن الإله المصري " تحوت"، المعروف بـ " تحوت الأكبر"، هو مؤلف تلك الكشوف الفلسفية. وهو يظهر في بعض الكتب بصفته واحداً من المتحاورين "[٦٠].

هكذا نُسبت هذه المؤلفات الفلسفية إلى ابن مصر العظيم " تحوت"، الذي كان رباً للمعرفة، فلا غرو إذن أن يكون من "أوائل رؤساء" الصابئة، الذين جعلوا " المعرفة" علماً علي عقيدتهم.

وقد روى (أحمد بن الطيب السرخسي) أنه نظر في كتاب يقربه هؤلاء [يقصد الصابئة الحرانية] وهو مقالات لـ(هرمس) الحكيم في التوحيد، كتبها لابنه على غاية التقانة، ولا يجد الفيلسوف إذا أتعب نفسه مندوحة عنها والقول بها، وهذا الكتاب هو وصايا (هرمس) الحكيم الذهبية، ترجمها (ثابت ابن القرة) إلى العربية"[٦١].

و(ثابت بن قرة) كان واحداً من أعظم فلاسفة الصابئة، الذي امتد أثره إلى جميع فلاسفة المسلمين[٦٢]. وقد ذكر (ابن العبري) مؤلفات الفيلسوف الصابئي[٦٣]. نستطيع أن نعقد بينها وبين إنجازات "تحوت" المقارنات التالية :

إنجازات "تحوت" المصري	**مؤلفات ثابت بن قرة**
كان "تحوت" هو الذي اخترع : الأرقام والرياضيات والجبر والمساحة الطب	الرياضيات والمنطق والطب
ابتكر الأشكال والحروف الأبجدية وفن القراءة والكتابة والخطابة بكل فروعها	السريانية
كان "تحوت" أول من وضع نظاماً كهنوتياً وأنشأ عبادة الإله وهو الذي ألف التسابيح	الرسوم والفروض والسنن أوقات العبادات وترتيب القراءة في الصلاة

والصلوات وحدد طقوسها	تقديم القرابين وما يصلح منها من
وصيغة القرابين والضحايا	الحيوان للضحايا وما لا يصلح

أما عن مؤلفات "تحوت" فيقول (كليمنت السكندري) أن كتب "تحوت" تعدت الاثنين والأربعين كتاباً، وأنها قسمت على ستة أقسام :

- فالكتب من الأول للعاشر : تتناول القوانين والآلهة وتعليم الكهنة.
- والكتب من الحادي عشر حتى العشرين : تناقش عبادات الآلهة، بمعنى القرابين والضحايا وأشكال العبادة.... إلخ.
- والكتب من الحادي والعشرين إلى الثلاثين : تختص بتاريخ العالم والجغرافيا والهيروغليفية.
- أما الكتب من الواحد والثلاثين إلى الرابع والثلاثين فهي مؤلفاته عن التنجيم، والكتابان الخامس والسادس والثلاثون يحتويان على تجميع للمؤلفات الدينية، والكتب من السابع والثلاثين وحتي الثاني والأربعين فقد خصصت للطب[٦٤].

وكان " تحوت" يتمتع في الحضارة المصرية بمكانة سامية ونادرة، وكان رباً للحكمة والمعرفة، وكذلك رباً للقمر. وتقول إحدى الأساطير أن " تحوت" انبثق من رأس "ست"، مما يمكن فهمه على أن النور – متمثلاً في رب القمر "تحوت" – قد خرج من الظلام، الذي يجسده الرب "ست".

وكان لاختفاء القمر التدريجي وعودته على نفس الصورة يمثل أهمية كبيرة لدى المصريين، الذين أوجدوا علاقة بينه وبين "تحوت"، فجعلوا الأخير "سيد الزمان"، و"حاسب السنين"، ولذلك - ولمقدرة "تحوت" في الحساب- كان هو الذي قام بعملية قياس السموات، وإحصاء ما فيها من نجوم وأجرام، فحدد أزمنتها وفصولها، وفعل نفس الشيء بالنسبة للأرض، فهو الذي أوكلت إليه مهمة رعاية قوانين " ماعت" - الحق والعدل – ذلك الناموس الذي يعد أساسا للكون وحافظاً له. [٦٥]

وكما كان "تحوت" رباً للزمان كان أيضاً سيداً للكلمة، وكان بذلك راعياً للكتبة، وقد صُور في الدولة الحديثة على هيئة كاتب جالس. وكان أيضاً مختصاً بكتابة رسائل الآلهة[٦٦].

وكان لـ"تحوت" منزلة غريبة في الفكر الديني المصري، إذ كان يعتبر قلب "رع" ولسانه، والقلب [العقل] كان هو الفكر، أما اللسان فكان يمثل المقدرة على الخلق. أو كما يقول (والاس بدج) : " كان "تحوت" يمثل كلاً من قلب ولسان "رع"، بمعنى أنه يمثل القدرتين الذهنية والسببية للإله، كذلك الوسائل التي يترجم بها إرادته لكلمات – من هذا المنظور كان يعتبر هو نفسه "الكلمة"."[٦٧]

وفي أزمنة لاحقة أصبح "تحوت" يمثل "الأفلاطونية"، كما يقول د. (بروجيش)[٦٨]. ولكل هذه الصفات والمقدرة الفذة صار لـ"تحوت" دور عظيم في العالم الأخر، فهو القائم علي ميزان "أوزريس"، فـ"تحوت" هو صاحب " ماعت"، التي اقترن بها واقترنت به.

وكان مركز عبادة "تحوت" هو مدينة (الأشمونين)، أو (خمن) بالمصرية، التي أسماها اليونانيون (هرموبوليس)، أي "مدينة (هرمس)".

ومن هذه المدينة جاءت نظرية "خروج الحياة من الماء"، وعن هذه النظرية نقتطف الفقرة التالية، من كتاب "الحياة اليومية للآلهة الفرعونية" :

".. عند منشأ العالم، قام المحيط الأولي " نون"، الملقب بـ"أبي الآلهة"، بخلق جلالته، أي الشمس الأعظم، وهو لا يحكم، وإن كان انفصام رب الأرباب عن مياهه قد خلق في داخل كيانه مفهوم التنظيم، أي مفهوم الملك. وكان "أتوم" هو أول من مارس هذه المهام التي تسمي بـ"وظيفة أتوم"، وخلال فترة حكمه برد الهواء وجفت الأرض، وبالفعل فإن بعض الروايات تقول أن الأراضي قد خُلقت عن طريق التسخين.. وبإطلاقها لنيرانها كونت الشمس عين رب الأرباب الخالق، إحدى أشكال "أتوم"، وهي من العناصر التي كونت التربة الأولى.."[٦٩].

وعن نفس المسألة تقول الصابئة : " إن الأرض في البداية كانت في حالة سائلة وتبدو ككرة نارية، ولا يوجد عليها أثر للحياة، وظهر على سطحها ماء متعفن يسمى "مياسياوي"، حيث ظهر من هذا الماء العفن كائنات صغيرة تولد منها آلاف الأنواع "[٧٠].

وكان الماء [الجارى] يمثل ركناً أساسياً من أركان العقيدة الصابئة، فقد ارتبطت هذه العقيدة بالماء ارتباطاً وثيقاً أبدياً، " بحيث لا يمكن لنا تصور وجود ديانة للصابئة دون وجود الماء الجاري، لأن جميع أركان عبادات الديانة تتم في الماء "(٧١).

ويقول الصابئي : " لا أمارس طقوسي بالنار، ولست يهودياً ولا مسيحياً، ولكني أمارسها بالماء الجاري الذي وهبه من أجل نظافة البشر ومنحهم الحياة "(٧٢).

ومن المناظر الشائعة في معابد مصر ؛ صور لـ"تحوت" وهو يقوم بصب الماء على الملك، قبل دخوله إلى المعبد، وكان التطهر بالماء شرطاً من شروط دخول المعبد(٧٣). كما كان المعبد المصري يحتوى على بحيرة ماء مقدسة.

ويذكر (هيرودوت) أن الكهنة المصريين كانوا يتطهرون بالماء أربعة مرات كل يوم، كما كانت الطقوس التي تجري في المعبد تبدأ بغسل الكاهن ليديه(٧٤).

ويبدو أن طقس التطهر بالماء موغل في القدم، فلوحة (نارمر) الشهيرة، بالمتحف المصري، والتي يعود تاريخها إلى ٣٢٠٠ قبل الميلاد، تظهر الملك وقد مضى خلفه رجل يحمل نعل الملك بيد وفي يده الأخرى يتدلى إبريق ماء.

وهو ما تنص عليه أيضاً متون الأهرام : " تقديم المياه إلى الموتى، المياه لكلي تغسل يديك، أغسل يديك يا أوزير"(٧٥)..

وكان المصريون القدامى يعتبرون الحرمان من الاغتسال بالماء حرماناً من بركة الله.

والأحناف هم أيضاً الصابئة، كما جاء في رسائل إخوان الصفا : " وهؤلاء لهم عند الناس أسماء مختلفة، فمنها الصابئون والحرانيون والحنوفون"(٧٦).

والحنوفون هم الأحناف، فهم أيضاً صابئون، فقد ولد لفظ "حنف" في النصوص العربية الجنوبية بمعنى صبا(٧٧).

ويذكر الأستاذ (محمد عبد الحميد) أنه قد جاء من كتاب الصابئة المندائية أن هؤلاء : " جاءوا إلى بطائح البصرة من مدينة (حران) وما حولها من جبال ماداي، حيث الينابيع الساخنة في الشتاء والباردة في الصيف. وهذا الوصف

ينطبق على منابع نهر البلخ، التي يسميها العرب بعين الذهابانية، والتي ندعوها اليوم عين عروس، حيث مقام (إبراهيم) الخليل "[٧٨].

هكذا سعي الأحناف (الصابئون) إلى نبع الماء، وإلى مقام (إبراهيم) الخليل أيضاً، فإذا كان الماء هاماً لطقوس عبادتهم فقد كان (إبراهيم) الخليل نبيهم.

يقول د. (عماد صباغ) : " إن في جميع المصادر التاريخية التي أتت على ذكر "حنفاء الجاهلية" ؛ ورد ذكر هؤلاء من حيث أنهم على دين (إبراهيم)، كما أن الحنفاء أنفسهم أمدوا هذه النقطة من خلال أدبهم الشعري والخطابي "[٧٩].

ومن كل ما تقدم نستطيع أن نخلص إلى أن "الصابئين" ليسوا "يهوداً ولا مسيحيين"، بل ينتمون إلى الحضارة المصرية – أصلاً وفكراً -، وهم أحناف موحدون، تقوم عبادتهم على التطهر. ونضيف إلى ذلك أن كلمة "حنف" كلمة مصرية [قديمة] تعني : الموحد المتط

ملة إبراهيم

تمتع (إبراهيم) الخليل في الإسلام بمكانة رفيعة، فيقول الله عز وجل في سورة النحل : (إن إبراهيم كان أمةً قانتاً لله حنيفاً ولم يكُ من المشركين) [٨٠].

وكان (محمد) نبي الإسلام (ص) على ملة (إبراهيم) عليه السلام : (قل إنني هداني ربي إلى صراطٍ مستقيم ديناً قيماً ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين) [٨١].

والإسلام هو ملة (إبراهيم) : (وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا قل بل ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين) [٨٢].

وبطبيعة الحال لم يكن (إبراهيم) الخليل يهودياً أو مسيحياً، وهو ما يحتج به القرآن : (يا أهل الكتاب لم تحاجون في (إبراهيم) وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده أفلا تعقلون. ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علمٌ فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وأنتم لا تعلمون. ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين) [٨٣].

وكان (تارح) عجوزاً في الخامسة والسبعين ؛ عندما رزق بولده (إبراهيم)، ويمتد نسب (تارح) وكذلك زوجته [أم (إبراهيم)] (أميلة) أو (بونا) إلى (نوح)[٨٤].

وتزوج (إبراهيم) من (سارة)، التي كانت عاقراً. وارتحل (إبراهيم) مع أهله : " فخرجوا معاً من (أور) الكلدانيين ليذهبوا إلى أرض كنعان فأتوا (حاران) وأقاموا هناك"[٨٥].

وتحدد التوراة عمر (إبراهيم) عندما خرج من (حاران) مهاجراً إلى أرض كنعان ؛ بخمس وسبعين سنة.

ثم كان أن حدثت مجاعة فهاجر (إبراهيم) إلى مصر : " وحدث جوع في الأرض فانحدر (إبرام) [إبراهيم] إلى مصر"[٨٦].

ويبدو أن (سارة) كانت تتمتع بجمال فائق، لأنه حدث : "لما دخل (إبرام) إلى مصر أن المصريين رأوا المرأة أنها حسنة جداً. ورآها رؤساء فرعون ومدحوها لدي فرعون. فأُخذت المرأة إلى بيت فرعون "[٨٧]. " فصُنع إلى (إبرام) خيراً بسببها. وصار له غنم وبقر وحمير وعبيد وإماء وأتن وجمال "[٨٨].

وبعدئذ عاد (إبراهيم) وأهله إلى أرض كنعان : " فصعد (إبرام) من مصر هو وامرأته وكل ما كان له و(لوط) معه إلى الجنوب"[٨٩].

وكان أن تزوج (إبراهيم) (هاجر) المصرية، التي أنجبت له ولداً : " وتدعين اسمه (إسماعيل) لأن الرب قد سمع لمذلتك"[٩٠]. وكان لـ(إبراهيم) ست وثمانون سنة عندما رزق بابنه البكر (إسماعيل)، فلما بلغ التاسعة والتسعين ظهر له الرب ليعقد معه عهداً : " وقال الله لـ(إبراهيم) وأما أنت فتحفظ عهدي"[٩١]. وحرص الرب أن يكون لهذا العهد علامة، صارت فيما بعد سنّة للمؤمنين بملة (إبراهيم)، ولم تكن هذه العلامة سوى : "الختان" : "يختن كل منكم كل ذكر. فتختنون في لحم غرلتكم. فيكون علامة عهد بيني وبينكم "[٩٢]. فاختتن (إبراهيم)، كما حرص على ختان ابنه البكر (إسماعيل) من (هاجر)، وكان في الثالثة عشر من عمره.

يقول (ابن كثير) : " وعند أهل التوراة أن (إبراهيم) أمره الله بأن يختن (إسماعيل)، وكل من عنده من العبيد وغيرهم، فختنهم، وذلك بعد تسع وتسعين سنة من عمره، فيكون عمر (إسماعيل) يومئذ ثلاث عشرة سنة "[٩٣].

ويبارك الرب (إسماعيل) : " ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيراً جداً. اثني عشر رئيساً يلد وأجعله أمة كبيرة "[٩٤].

ثم كان أن رُزق (إبراهيم) ولداً ثانياً، أنجبته هذه المرة زوجته (سارة)، ودعي "إسحق".

وقصة (إسماعيل) معروفة، وإن كانت تميزها أحداث هامة، منها مسألة ختانه، وهى سنّة أجداده لأمه المصرية، والتي فرضها "الرب" على (إبراهيم) ونسله

بعد زيارته لمصر، وصارت علامة العهد الإلهي : " فيكون عهدي في لحمكم عهداً أبدياً. وأما الذكر الأغلف الذي لا يختن في لحم غرلته فتقطع تلك النفس من شعبها. أنه قد نكث عهدي"[٩٥].

ولم ينكث (إسماعيل) العهد، بل صار" الختان" سنّة مفروضة في نسله من بعده وإلى الآن.

وثاني الأحداث الهامة في قصة (إسماعيل) هو طرده وأمه المصرية، فقد : ".. رأت (سارة) ابن (هاجر) المصرية الذي ولدته لـ(إبراهيم) يمزح. فقالت لـ(إبراهيم) أطرد هذه الجارية وابنها "[٩٦].

فلما لم يلق كلام (سارة) هوى في نفس (إبراهيم) ؛ تدخل الرب فقال له : " في كل ما تقول لك (سارة) اسمع لقولها"[٩٧]. " فبكر (إبراهيم) صباحاً وأخذ خبزاً وقربة ماء وأعطاهما لـ(هاجر) واضعاً إياهما على كتفه والولد وصرفها "[٩٨].

ومضت (هاجر) وولدها في الصحراء حتى نفذ الماء، وأشرف ابنها على الهلاك. فبكت الأم.. فناداها ملاك : "لا تخافي لأن الله قد سمع لصوت الغلام حيث هو.. قومي احملي الغلام وشدي يدك به، لأني سأجعله أمة عظيمة. وفتح الله عينيها فأبصرت بئر ماء"[٩٩].

وسكن الولد وأمة هناك.. في الصحراء.

ويبدو أن " (هاجر)" – رغم ما مرت به من مآس – كانت حريصة على التشبث بوطنها وحضارتها.. حتى أنها زوجت (إسماعيل) من فتاة مصرية، وهو ما نصت عليه التوراة : " وأخذت له أمه زوجة من أرض مصر"[١٠٠].

وهكذا كان "(إسماعيل) جد العرب" ابناً لمصرية، ثم تزوج مصرية. وأنجب (إسماعيل) وكثر نسله واتصل، حتى امتد إلى (محمد) بن (عبد الله) (ص) نبي الأمة الإسلامية.

وهناك حدث ثالث وقع لـ(إسماعيل) مع أبيه، وإن كانت التوراة تنسبه إلى إسحق، وهو اعتزام (إبراهيم) [عليه السلام] ذبح ابنه، تنفيذاً لمشيئة الله : (وقال إني ذاهبٌ إلى ربي سيهدين. رب هب لي من الصالحين. فبشرناه بغلامٍ حليم. فلما بلغ معه السعي قال يا

الهـوامـش

١ - الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة — موريس بوكاي
٢ - المرجع السابق
٣ - الحضارة المصرية القديمة — الأستاذ سليم حسن
٤ - مصر في عصر البطالمة — د. إبراهيم نصحي
٥- المرجع السابق
٦ - الحضارة المصرية القديمة — الأستاذ سليم حسن
٧ – صابئة حران — محمد عبد الحميد الحمد
٨ - الصابئة المندائيون — سليم برنجي
٩ - الفكر المصري في العصر المسيحي — د. رأفت عبد الحميد
١٠ – تاريخ الفلسفة اليونانية — يوسف كرم
١١- المرجع السابق
١٢- المرجع السابق
١٣ - الفكر المصري في العصر المسيحي — د. رأفت عبد الحميد
١٤- إنجيل يوحنا الإصحاح (١) آيات (١ : ٢ : ٣)
١٥ - الفكر المصري في العصر المسيحي — د. رأفت عبد الحميد
١٦ – تاريخ الفلسفة اليونانية — يوسف كرم
١٧ – المرجع السابق.
١٨ - هرمس — لويس مينار
١٩ - المرجع السابق
٢٠ - المرجع السابق
٢١ - آلهة المصريين — والاس بدج
٢٢ - الحياة اليومية للآلهة الفرعونية — ديمتري ميكس وكريستين فافارميكس
٢٣ - آلهة المصريين — والاس بدج
٢٤ - المرجع السابق
٢٥ - معجم المعبودات والرموز — مانفرد لوركر
٢٦ - الحياة اليومية للآلهة الفرعونية — ديمتري ميكس وكريستين فافارميكس
٢٧ - آلهة مصر العربية — علي فهمي خشيم
٢٨ - آلهة المصريين — والاس بدج
٢٩ - المرجع السابق
٣٠ – تاريخ الفلسفة اليونانية — يوسف كرم
٣١ - أثينا السوداء — مارتن برنال

٣٢ - المرجع السابق
٣٣ - المرجع السابق
٣٤ - المرجع السابق
٣٥ - المرجع السابق
٣٦ - المرجع السابق
٣٧ - سورة الحج آية (١٧)
٣٨ - سورة المائدة آية (٦٩)
٣٩ - سورة البقرة آية (٦٢)
٤٠ - الفصل في الأهواء والملل والنحل الشهرستاني
٤١ - الصابئة المندائيون سليم برنجي
٤٢ - الصابئة وحكمهم الشرعي وحقيقتهم الدينية آية الله العظمى الإمام السيد علي الخامئني
٤٣ - الصابئة المندائيون سليم برنجي
٤٤ - المرجع السابق
٤٥ - المرجع السابق
٤٦ - المرجع السابق
٤٧ - الصابئة وحكمهم الشرعي وحقيقتهم الدينية آية الله العظمى الإمام السيد علي الخامئني
٤٨ – صابئة حران محمد عبد الحميد الحمد
٤٩ - الصابئة المندائيون سليم برنجي
٥٠ - المرجع السابق
٥١ - المرجع السابق
٥٢ - آلهة مصر العربية علي فهمي خشيم
٥٣ – صابئة حران محمد عبد الحميد الحمد
٥٤ - هرمس لويس مينار
٥٥ - المرجع السابق
٥٦ - المرجع السابق
٥٧ - المرجع السابق
٥٨ - المرجع السابق
٥٩ - المرجع السابق
٦٠ - المرجع السابق
٦١ – صابئة حران محمد عبد الحميد الحمد
٦٢ - المرجع السابق
٦٣ - المرجع السابق

٦٤ ـ آلهة المصريين والاس بدج
٦٥ ـ المرجع السابق
٦٦ ـ المرجع السابق
٦٧ ـ المرجع السابق
٦٨ ـ المرجع السابق
٦٩ ـ الحياة اليومية للآلهة الفرعونية ديمتري ميكس وكريستين فافارميكس
٧٠ – الصابئة المندائيون سليم برنجي
٧١ ـ المرجع السابق
٧٢ ـ المرجع السابق
٧٣ ـ هرودوت
٧٤ ـ المرجع السابق
٧٥ ـ آلهة المصريين والاس بدج
٧٦ – صابئة حران محمد عبد الحميد الحمد
٧٧ ـ المرجع السابق
٧٨ ـ المرجع السابق
٧٩ ـ الأحناف عماد صباغ
٨٠ ـ سورة النحل آية (١٢٠)
٨١ ـ سورة الأنعام آية (١٦١)
٨٢ ـ سورة البقرة آية (١٣٥)
٨٣ ـ سورة آل عمران آيات (٦٥ – ٦٧)
٨٤ ـ قصص الأنبياء ابن كثير
٨٥ ـ سفر التكوين الإصحاح (١١) آية (٣١)
٨٦ ـ المصدر السابق الإصحاح (١٢) آية (١٠)
٨٧ ـ المصدر السابق الإصحاح (١٢) آية (١٤) و(١٥)
٨٨ ـ المصدر السابق الإصحاح (١٢) آية (١٦)
٨٩ ـ المصدر السابق الإصحاح (١٣) آية (١)
٩٠ ـ المصدر السابق الإصحاح (١٦) آية (١١)
٩١ ـ المصدر السابق الإصحاح (١٧) آية (٩)
٩٢ ـ المصدر السابق الإصحاح(١٧) آية (١٠) و(١١)
٩٣ ـ قصص الأنبياء ابن كثير
٩٤ ـ سفر التكوين إصحاح (١٧) آية (٢٠)
٩٥ ـ المصدر السابق إصحاح (١٧) آية (١٣) و(١٤)
٩٦ ـ المصدر السابق إصحاح (٢١) آية (١٠)
٩٧ ـ المصدر السابق إصحاح (٢١) آية (١٢)
٩٨ ـ المصدر السابق إصحاح (٢١) آية (١٤)

٩٩ ـ المصدر السابق إصحاح (٢١) آية (١٨) و (١٩)
١٠٠ ـ المصدر السابق إصحاح (٢١) آية (٢١)
١٠١ ـ سورة الصافات آيات (٩٩ – ١٠٢)
١٠٢ ـ سورة الصافات آية (١٠٢)
١٠٣ ـ سورة الصافات آية (١٠٤) و(١٠٥)
١٠٤ ـ الكامل في التاريخ ابن الأثير
١٠٥ ـ قصص الأنبياء ابن كثير
١٠٦ ـ الكامل في التاريخ ابن الأثير
١٠٧ ـ المصدر السابق

الإسلام

"لا يعُلم بلدٌ في أقطار الأرض أثنى الله تعالى عليه في القرآن العظيم بالمقام الكريم غير مصر"

الكندي

" ولاية مصر جامعة تعدل الخلافة"

عمرو بن العاص

" البركة عشر بركات : ففي مصر تسع، وفي الأمصار بركة واحدة، ولا تزال بمصر بركة مادام في شتى من الأرضين بركة "

عبد الله بن عمرو

هل كان المصريون (القدامى) مؤمنين ؟

أم كانوا بعيدين كل البعد عن جوهر الدين الحنيف ؟

هل كان المصريون مسلمين ؟

أم كانوا على نقيضٍ تام وعناد جاهل وجفاء دائم مع أسس وتعاليم ومفاهيم الإسلام ؟

.. هل كان المصريون كافرين ؟

أم أن هناك ثمة صلة ما بين ما آمن به المصري (القديم) وبين ما نحن عليه اليوم ؟.. وهل هناك وثائق تشير إلى هذه الصلة ؟

إنني – في هذا الفصل من الكتاب – لا أزعم امتلاك يقين ما للرد على هذه التساؤلات رداً شافياً، وإن كنت أقر برغبة جامحة تمتلكني بطرح هذه التساؤلات، والسباحة معها فوق ظهر موج لا أدري إن كان سيصل بي يوماً ما إلى برٍ ما. وبالرغم من ذلك، فإن الأمل يحدوني أن تصنع تساؤلاتنا هذه ثغرة في جدار عازل، ليتسلل منه شعاع نور يضيء بعض جوانب دين حضارتنا المصرية، ليكشف شيئاً من جذورها الضاربة في أعماق أرضنا ونفوسنا، ومازلت لا أفهم سر هذه النشوة التي تغمرني حين أقرأ وأسمع آيات القرآن الكريم تذكر مصر بالخير، فترتفع ببلادنا إلى مكانة فريدة.

لقد أعطت اللغة العربية بلدنا اسم "مصر"، أو أنها أخذته علماً ومفهوماً لمعنى "البلد"، أي الحضارة والمدنية.

أما القرآن الكريم فيجعل من مصر الأرض نفسها. وفي سورة القصص : " ونريد أن نمن علي الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين، ونمكن لهم في الأرض".

وكذلك في سورة الأعراف : " عسي ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض".

ولم تكن مصر هي الأرض فقط، بل هي الأرض التي باركها الله : (وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها) [سورة الأعراف].

ومصر، الأرض، المباركة.. فيها : " جنات وعيون وكنوزٍ ومقامٍ كريم" [سورة الشعراء]، وهي كذلك أيضاً : " جنات وعيون و زروعٍ ومقامٍ كريم ونعمةٍ كانوا فيها فاكهين" [سورة الدخان].

فإذا كان ذلك حال مصر في القرآن ؛ فهل ندهش بعد ذلك أن نقرأ في التراث الإسلامي قول (سعيد بن أبي هلال) : " اسم مصر في الكتب السالفة "أم البلاد". "

أو قول (أبو بصرةالغفاري) : " مصر خزائن الأرض كلها "، وقوله كذلك : " مصر سلطان الأرض كلها".

أما (عبد الله بن عمرو) فيروي : " لما خلق الله عز وجل (آدم) عليه السلام مثل له الدنيا شرقها وغربها، وسهلها وجبالها، وأنهارها وبحارها، وبناءها وخرابها، ومن يسكنها من الأمم، ومن يملكها من الملوك. فلما رأى مصر رآها أرضاً سهلة، ذات نهرٍ جارٍ، مادته من الجنة، تنحدر فيه البركة، وتمزجه الرحمة، ورأى جبلاً من جبالها مكسواً نوراً، لا يخلو من نظر الرب إليه بالرحمة، في سفحه أشجار مثمرة، فروعها في الجنة، تسقى بماء الرحمة، فدعا (آدم) في النيل بالبركة، ودعا في أرض مصر بالرحمة والبر والتقوى، وبارك على نيلها وجبلها سبع مرات، وقال : يا أيها الجبل المرحوم، سفحك جنة، وتربتك مسك، يدفن فيها غراس الجنة، أرض حافظة مطيعة، لا خلتك يا مصر بركة ولا زال بك حفظ، ولا زال منك ملك وعز، يا أرض مصر فيك الخبايا والكنوز، ولك البر والثروة، سال نهرك عسلاً، وزكى نباتك، وعظمت بركتك وخصبت.. ".

ويورد (ابن زولاق) كذلك حديثاً لـ(ابن عباس)، يروي فيه أن (نوحاً) عليه السلام قد دعا لمصر.

أما أحاديث نبي الإسلام (محمد) [صلى الله عليه وسلم] عن مصر وأهلها فعديدة وشهيرة.

ويستمر ذكر مصر وفضلها على مر عصور التاريخ الإسلامي.

فمن القرن الثامن الهجري [الرابع عشر الميلادي]، وصلنا ما قاله (ابن خلدون) في وصف عاصمة مصر : " فرأيت حاضرة الدنيا، وبستان العالم، و محشر الأمم، ومدرج الذر من البشر، وإيوان الإسلام، وكرسي الملك، تلوح القصور والأواوين في جوه، وتزهو الخوانق والمدارس والكواكب بإفاقه، وتضيء البدور والكواكب من علمائه..".

أما (ابن بطوطة) فيصف " مصر المحروسة"، فيقول : " هي أم البلاد وقرارة فرعون ذي الأوتاد، ذات الأقاليم العريضة، البلاد الأريضة، المتناهية في كثرة العمارة، المتباهية بالحسن والنضارة، مجمع الوارد والصادر، ومحط رحل الضعيف والقادر، وبها ما شئت من عالم وجاهل، وجادٍ وهازل، وحليم وسفيه، ووضيع ونبيه، وشريف و مشروف، ومنكر ومعروف، تموج موج البحر بسكانها، وتكاد تضيق بهم على سعة مكانها وإمكانها، شبابها يجد على طول العهد، وكوكب تعديلها لا يبرح عن منزل السعد، قهرت قاهرتها الأمم، وتمكنت ملوكها نواص العرب والعجم ".

قصة الخلق

أجملت التوراة بداية عملية الخلق فذكرت في عبارة واحدة في أول سفر التكوين أنه " في البدء خلق السموات والأرض "[١].

وعن نفس المسألة يقول القرآن : (قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أنداداً ذلك رب العالمين. وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيامٍ سواءً للسائلين. ثم استوى إلى السماء وهي دخانٌ فقال لها وللأرض أئتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين. فقضاهن سبع سمواتٍ في يومين وأوحى في كل سماءٍ أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظاً ذلك تقدير العزيز العليم) [٢].

فإذا عدنا للتوراة.. لتتبع تفاصيل عملية الخلق، نوجدناها تلحق العبارة المذكورة سابقاً بالعبارة التالية : " وكانت الأرض خربة وخالية وروح الله يرف على وجه المياه"[٣].

وكان الماء هو أصل الحياة، كما يقول الله عز وجل : (.. وجعلنا من الماء كل شيءٍ حيٍ أفلا يؤمنون) [٤].

وفي حديث أورده (الترمذي) عن رواية لـ(أبي هريرة) قال : يا رسول الله (ص) مم خلق الخلق ؟ قال : " من الماء".

أما الدين المصري ؛ فقد شمل على عدة روايات لخلق الكون قدمت كل منها رؤية خاصة لنشأة الكون. وقد ظلت هذه الرؤى مقبولة لدى المصريين، رغم

تباينها، وقد وقفت خلف هذه الرؤى مدارس دينية عظيمة في (منف) و(عين شمس) و(الأشمونين) وغيرها.

يقول سير (والاس بدج) : " والمصريون – في الزمن الأول على الأقل – اعتقدوا في وجود تجمع مائي عميق، بدون حدود، انبثقت منه السماء والأرض وكل ما هو حي، وأن البذور الأساسية لكل شكل أو نوع من أنواع الحياة قد وجدت منذ البدء في هذا التجمع"[٥].

وطبقاً لنظرية خلق الكون في مدينة (الأشمونين) ؛ نجد أن المصريين قد آمنوا بأن الماء الأولي "المياه الأزلية" هي " المبدأ الأولي" أو " الأصل الأول"[٦].

ويؤكد (هرودوت) علي فكرة الخلق المصرية فيقول : " فكرة رسخت في أذهانهم [أي المصريين] وهي أن الأرض وما عليها من الكائنات الحية قد خرجت من جوف الماء"[٧].

وقد اشتملت هذه الماء الأزلية على بذور أو عناصر كانت أساساً للحياة، وكانت هذه العناصر عبارة عن أربعة أزواج، كل زوج منها ذكر وأنثى. وإلى هذا الثامون، "عناصر الحياة الثمانية"، ترجع تسمية مدينة (الأشمونين) "خمون"، أي ثامون، والتي كان معبودها الرب " تحوت".

وقد أطلق المصريون على هذه "المياه الأولى" اسم "نون"، فهل هناك علاقة بين " نون" المصرية و "نون" المذكورة في القرآن ؟ أي في تلك الآية الكريمة : (ن والقلم وما يسطرون) [٨] .

روى (ابن عباس) أنه قال : " أول ما خلق الله القلم فقال له اكتب فقال : أي وربي ما أكتب ؟ قال : القدر، قال : فكتب ما هو كائن إلى قيام الساعة، ثم خلق النون. ثم بسط الأرض عليها، فاضطربت النون، فمادت الأرض. فخلق الجبال فأثبتها بها. ثم قرأ ابن عباس : (ن والقلم وما يسطرون)[٩].

كانت " نون" إذن أول ما خلق الله بعد القلم، حسب ما ذهب إليه (ابن عباس)، وكانت النون علماً على الماء الأولي في العقيدة المصرية، فهل في هذه العقيدة أيضاً علاقة بين القلم والماء، الذي خُلق منه كل شيء حي.

الإجابة على هذا السؤال نجدها عند " تحوت" رب الكتابة المصري، الذي صورته الحضارة المصرية ممسكاً بالقلم، وهو رب مدينة (الأشمونين)، حيث ظهرت نظرية الخلق من الماء الأزلية نون.

وقد آمن كهنة مدينة (أون) أيضاً بأن "نون" هي الأصل أو المبدأ الأول، وقالوا بأن الماء انحسر عن تل "هرم" تجلى فوقه الإله، الذي خلق كل شيء. وكان هذا هو "رع" أقدم الآلهة المصرية(١٠)، وقد رُمز إليه بقرص الشمس، وتحديداً شمس الظهيرة، وكانت (أون) - التي أسماها الإغريق (هليوبوليس) - أعظم المراكز الدينية المصرية، ومكانها الآن حي (المطرية) بمدينة (القاهرة).

وقد ظهرت عقيدة "رع" في زمن موغل من القدم، وازدهرت عبادته في عصر الأسرات(١١). وفي نفس المنطقة كان هناك أيضاً معبود قديم عُرف باسم "أتم"، اعتبره البعض أصلاً للجنس البشري، لما لاسمه من تشابه مع اسم (آدم) عليه السلام. وكان أن قام كهنة (أون) بدمج هذا الإله "أتم" مع "رع"، و"أتم" يعني في اللغة المصرية القديمة المطلق أو الكامل، أي التام، فقد ظهر للوجود تاماً أو كاملاً، وهو لم يولد من شيء، بل كان خالقاً لنفسه بنفسه، وهو أيضاً الأزلي والأوحد(١٢).

يقول (بدج) : " وتم "أتم" في الحقيقة يمثل بداية مرحلة من الفكر الديني لدي المصريين، ونهاية أخري، فهو أول إعلان عن الإله الذي له هيئة بشرية، وتصوره يمثل علامة واضحة على انتهاء الزمن الذي كانوا يتصورون فيه آلهتهم علي هيئة حيوانية، وبداية العصر الذي طوروا فيه فكرة الإله العظيم العصي على الفهم، غير المعروف، صانع وخالق الوجود "(١٣).

وقد خلق الإله المصري الكون من ذاته، فبدأ بـ "شو"، الذي يمكن أن يكون بالعربية "جو"، وهو الهواء، نَفَس الحياة لكل كائن، وهو أيضاً النور الذي أضاء الكون. وخلق الله "تفنت" أختاً له وزوجة، فجاء من هذين : السماء "نوت"، والأرض "جب"، وأنجب الأخيران "أوزيريس" و"إيزيس" و"ست" و"نفتيس"، وهؤلاء الأربعة كانوا الأرباب البشرية.

هكذا اكتملت عناصر الكون، وتم خلقها وفق نظام منهجي، تولد فيها كل عنصر من الأخر بشكل منطقي معقول[١٤]. وهي أيضاً عناصر ثمانية، أو أربعة أزواج، من ذكر وأنثى، وضع على رأسها الإله الخالق "رع" – "أتم"، فعرفت نظرية الخلق هذه باسم التاسوع.

خلق السموات والأرض

ولنمضي مع التوراة خطوة أخرى في تفاصيل خلق الكون، فبعد ما ذكرت التوراة أن الأرض كانت خربة وروح الله يرف على وجه الماء، تستطرد فتقول : "وقال الله ليكن نور فكان نور، ورأي الله النور أنه حسن. وفصل بين النور والظلمة. ودعا الله النور نهاراً والظلمة ليلاً، وكان مساء وكان صباح يوماً واحداً. وقال الله ليكن جلد وسط المياه وليكن فاصلاً بين مياه ومياه. فعمل الله الجلد وفصل بين المياه التي تحت الجلد والمياه التي فوق الجلد. وكان كذلك. وكان مساء وكان صباح يوماً ثانياً. وقال الله لتجتمع المياه تحت السماء إلى مكان واحد ولتظهر اليابسة. وكان كذلك. ودعا الله اليابسة أرضاً. ومجتمع المياه دعاه بحاراً. ورأى الله ذلك أنه حسن. وقال الله لتنبت الأرض عشباً وبقلاً يبرز برزاً وشجراً ذا ثمر يعمل ثمراً كجنسه. ورأى الله ذلك أنه حسن. وكان مساء وكان صباح يوماً ثالثاً"[١٥].

وفي سياق خلق السموات والأرض أيضاً يقول الله عز وجل في كتابه الكريم : (أأنتم أشد خلقاً أم السماء بناها. رفع سمكها فسواها. وأغطش ليلها وأخرج ضحاها. والأرض بعد ذلك دحاها. أخرج منها ماءها ومرعاها. والجبال أرساها. متاعاً لكم ولأنعامكم)[١٦].

أما النص المصري [القديم] فيقول : " أنت رب السماء ورب الأرض، خالق كائنات السماء والكائنات علي الأرض، أنت الإله الأوحد الذي خلق لأول مرة، الذي أنشأ البلاد، الذي أوجد "نون" وخلق النيل، الذي أوجد الماء وأحيا كل ما يعيش بها، الذي شيد الجبال وخلق البشر والأنعام "[١٧].

هكذا إذن فصل الله – في التوراة – بين المياه ليخلق سماءً، ويخبرنا القرآن بأن الأرض والسماء كانتا ملتحمتين ففصل الله بينهما، فقد جاء في سورة الأنبياء : (أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما..)[١٨].

وهو ما جاء أيضاً في أسطورة الخلق المصرية، إذ أن الله قام بفصل السماء "نوت" عن الأرض "جب" بأن جعل بينهما الجو "شو"[١٩].

وتحتفظ المراجع المصرية بصور رب الجو "شو"، وهو يرفع السماء ماسكاً إياها بيديه. أما القرآن فيقول : (والسماء رفعها..)[٢٠]. ويقول أيضاً : (.. ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه..) [٢١].

أما نصوص الأهرام فتذكر أن عمود "أوزيريس"، المعروف بـ"جد" هو الذي يحمل السماء[٢٢].

وبالإضافة إلى ذلك ؛ افترض المصريون أن السماء تقوم علي أربعة جبال، أو أن هناك أربعة أعمدة تحملها. وقد تصور المصري [القديم] وجود تجمع مائي تحت قبة السماء، أو بحر يجري تحت بطن الرب "نوت". ويبدو أن المصري قد تأثر في هذا بطبيعة بلاده، فظن أيضاً أن الأجرام السماوية تسبح في هذا البحر السماوي مستخدمة الفلك، أي السفن، كما كان هو نفسه يفعل في تنقله عبر نهر النيل.

أما عن خلق الأرض فقد قال المصريون بأن الله قد أخرج الأرض من الماء الأزلية "نون"[٢٣]. وتذكر أسطورة مصرية أخرى أن الأرض انبعثت من زهرة اللوتس، التي خرجت من الماء الأولي[٢٤]. كما تخيل المصري رب الأرض "جب" على شكل رجل راقد، بينما النبات يخرج من ظهره[٢٥].

وعن صورة الأرض المصرية، يقول (أدولف إرمان) : "أما الأرض فقد صورها المصريون وقد أحاط بها محيط كبير "الدائرة الكبرى"، وقد انقسمت الأرض إلى قسمين : أحدهما جدب "الأرض الحمراء"، حيث يسكن البرابرة المتوحشون، الذين يعيشون على الأمطار، أما القسم الثاني فهو الأرض

السوداء. وفي الواقع لم يتخيل المصري أن هناك أرضاً سوداء غير أرضه، حيث تسكن الآلهة، التي وهبها الله نيلها الفياض الذي يجلب الخير للناس "[٢٦].

النجوم

كانت السماء "نوت" بمثابة الأم للأجرام السماوية، فهي التي تلدها كل يوم، ثم تعود لتبتلعها، لتلدها في اليوم التالي مرة أخرى. وقد تخيل المصري وجود بحر تحت قبة السماء لتسبح فيه الأجرام.
وكان المصريون "القدامى" قد قسموا النجوم إلى مجموعتين مختلفتين، فقد رأوا في صفحة السماء مجموعة "النجم القطبي" ظاهرة على نحو دائم، لا تعرف أفولاً، فوضعوها تحت اسم النجوم "التي لا تغرب"، ثم وضعوا المجموعة الأخرى تحت اسم النجوم "التي لا تعيا أو التي لا تكل أبداً".
وفي سورة التكوير يقول الله عز وجل : (فلا أقسم بالخنس. الجوار الكنس)[٢٧]. وبصدد تفسيره للآية السابقة ؛ استعرض (الطبري) أقوالاً مختلفة، ولكنه في النهاية يخلص إلى النتيجة التالية : " وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال أن الله تعالى ذكره أقسم بأشياء تخنس أحياناً، أي تغيب، وتجري أحياناً، وتكنس أخرى، وكنوسها أن تأوي في مكانها، والمكانس عند العرب هي المواضع التي تأوي إليها بقر الوحشي والظباء (...) وغير منكر أن يستعار ذلك من المواضع التي تكون بها النجوم من السماء "[٢٨].
كما اعتقد المصري أن الأجرام السماوية "المضيئة ليلاً" ؛ ليست سوي كائنات أو أرواح تمسك بمصابيح، وهو ما يقترب من المعنى القرآني : (.. وزينا السماء الدنيا بمصابيح..) [٢٩].
فإذا انتقلنا إلى سورة الواقعة ؛ وجدنا القسم العظيم يتجدد، على النحو التالي : (فلا أقسم بمواقع النجوم. وإنه لقسمٌ لو تعلمون عظيم) [٣٠]. وحتى نعلم عظم هذا القسم لابد أن نقرأ ما جاء في سورة يونس : (هو الذي جعل الشمس ضياءً

والقمر نوراً وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق يفصل الآيات لقومٍ يعلمون) [٣١].

فهل كان المصريون القدماء قوما يعلمون بتفاصيل هذه الآيات ؟ نقول :

- لقد برع المصريون القدماء في تحديد مواقع النجوم.
- واستخدموا "مواقع النجوم" في وضع علم "حساب السنين".
- ثم وضعوا كل ذلك في إطار إيمانهم وعقيدتهم ومنظومتهم الدينية.

وفي معجم "الحضارة المصرية القديمة" أن المصريين قد توصلوا لسر النظام الكوني، وتشهد تقاويمهم بالجهود التي كرسوها لدراسة حركات الأجرام السماوية. وبعد كثير من التجارب وصلوا إلى معرفة السنة الحقيقية بدقة عجيبة"[٣٢].

والمقصود بالسنة الحقيقية هي السنة الشمسية، أو التقويم الشمسي الذي عمل به العالم كله بعد ذلك. وكان المصريون قد وضعوا "بدقة عجيبة" أيضاً هذا التقويم الدقيق للغاية، حتى أن خبراء التقاويم قالوا عنه : " لاشك في أن ذلك التقويم الذي عمل بذكاء في التاريخ البشري كله "[٣٣].

وبناء على توصل المصريين – من خلال رصد مواقع النجوم - إلى هذا النظام الكوني "الذي وضعه الله بالحق"، استطاعوا تحديد وضبط الحركة الزمنية سنوياً ويومياً، ليلاً ونهاراً[٣٤].

فقسموا السنة إلى ٣٦٠ يوماً، جعلوها اثني عشر شهراً، كل شهر ثلاثين يوماً، ثم أضافوا خمسة أيام أخرى على هذه، السنة اعتبروها أعياداً. كما قسم المصريون اليوم إلى أربع وعشرين ساعة. ولتعيين الوقت نهاراً استخدموا المزاول والساعات الرملية. ولما كانوا قد رصدوا "مواقع النجوم" وحددوها "بدقة عجيبة"، فإنهم اهتدوا بها ليلاً، ووضعوا خرائط تحدد مجموعات النجوم، إلى معرفة وتحديد الوقت ليلاً[٣٥].

توصل المصريون إذن إلى سر النظام الكوني، فوضعوا من خلاله حساب السنين. وليس غريباً أن ينسب الفضل في ذلك إلى الرب "تحوت"، رب الزمان. ويُعتقد أن هذا التقويم قد تم وضعه في عام ٤٢٤١ قبل الميلاد[٣٦].

وكان النيل، الذي بث الحياة في أرض مصر، هو أيضاً الذي حث أهلها إلى التوصل إلى هذا العلم. فكانوا يترقبون موعد الفيضان، ناظرين إلى السماء، راصدين ما يدور فيها، فتوصلوا إلى ارتباط فيضان النيل بنجم ذي شأن عظيم، هو نجم الشعرى اليمانية، وهو الذي يعتبر أشد النجوم بريقاً ولمعاناً، بل إن الضوء الصادر عنه يفوق ضوء الشمس ستة وعشرين مرة. أما حجمه فهو أكبر من حجم الشمس بحوالي مائتي مرة(٣٧). كان ظهور هذا النجم إيذاناً بتدفق الفيضان. فحسب المصريون الفترة التي تفصل بين ظهور هذا النجم مرتين، فكانت هي السنة الشمسية التي نعرفها إلى اليوم. وكان ظهور هذا النجم يعنى إذن عودة الحياة على الأرض مصر، فماء الفيضان كان – ومازال – هو الحياة.

وكان نجم الشعرى اليمانية يختفي من السماء لمدة سبعين يوماً(٣٨). وكانت المدة التي تستغرقها عملية التحنيط سبعين يوماً.

كما أن هناك نصاً مصرياً يشير إلى هذه المدة ؛ فبعد موت الملك (أبيس) قال (بسماتيك الثالث)، الذي كان مرشحاً لخلافة الملك المتوفي، والذي يشير إليه في النص بأنه الرب العظيم. يقول (بسماتيك الثالث) : " لقد التزمت بالحداد عند موته، وحرمت نفسي من الماء والخبز حتى انتهاء الأيام الأربعة، كنت عارياً وأرتعش فوق مقعدي، ولم أتناول أي غذاء سوى الخبز والماء والخضروات، حتى انتهاء السبعين يوماً، أي عندما خرج الرب العظيم من قاعة التحنيط، واستقر في مقبرته الكبرى بالجبانة، الواقعة في الصحراء الغربية لـ(منف) "(٣٩).

هكذا ارتبطت المدة الزمنية لعملية التحنيط بنفس الفترة التي يختفي فيها نجم الشعرى اليمانية، ليعاود الظهور بعد ذلك، فكان المصريون يتمنون عودة المتوفى إلى الحياة بعد هذه الفترة، كما عاد هذا النجم إلى الظهور ثانية بعد إفول.

هكذا آمن المصريون بالبعث بعد الموت، مستشهدين في ذلك بظاهرة رصدوا تكرارها في السماء، وجسدها نجم الشعرى. وقد جاء بالقرآن الكريم : (وأنه هو

رب الشعرى)، وهي الآية التاسعة والأربعون من سورة النجم، وفي الآية السابعة والأربعين من نفس السورة يقول الله عز وجل : (وأن عليه النشأة الأخرى)[٤٠].

والنشأة الأخرى في تفسير (الطبري) هي العودة للحياة بعد الموت. وأما "الشعرى" فهي نجم الشعرى، أو علي حد قول (الطبري) : " يعني بالشعرى النجم الذي يسمى بهذا الاسم "[٤١].

القمر : رب النور

جاء في القرآن الكريم : (ألم تروا كيف خلق الله سبع سمواتٍ طباقاً. وجعل القمر فيهن نوراً..) [٤٢].

وقد اعتبر المصريون "القدماء" القمر بمثابة الشمس التي تنير الليل، واعتبروا غياب القمر وظهوره رمزاً لموت "أوزيريس" وعودته مرة أخرى.

وفي (طيبة) [الأقصر] عُرف "رب القمر" باسم "خنسو"، وهو أيضاً نفس اللفظ العربي "خنس"، كما جاء في القرآن الكريم " فلا أقسم بالخنس ".

كما عرف المصريون أيضاً رباً آخر للقمر، حاز شهرة عظيمة، هو الرب " تحوت". وفي معرض بحثه عن تفسير لغوي عربي لاسم " تحوت" ؛ يقول (علي فهمي خشيم) : " ونحن نعلم، من متابعة الروايات المتعددة عن وضع هذا المعبود في الديانة المصرية القديمة، أنه كان "رب القمر" ووزيراً للمعبود "رع"، ويلقب "أتون الفضي" = الشمس الفضية، وهو "رب النور"، انبثق من رأس "ست" إله الظلام، كما ينبثق الفجر من الليل، وشعاره الهلال والقمر بدراً ".

ويرى (خشيم) أن الباحثين الغربيين لم يوفقوا في نقل الحرف الأول من اسم "تحوت"، وهو الذي يقابل حرف الطاء، أو حرف الضاد في اللغة العربية. فذهب على أن اسم "تحوت" الصحيح لابد أن يكون ضحوت، ثم يرد هذا الاسم إلى الضحوة أو الضحى[٤٣].

و"تحوت"، "رب النور"، ورب القمر، كان هو الذي قام بعمل حسابات إنشاء السموات والأرض والنجوم. وكان من ألقابه "سيد الزمان" و"حاسب السنين"، فهو الذي يحسب كل شيء، ويحصيه في السماء وعلى الأرض.
وكما تحمل مآذن المساجد الهلال، كان " تحوت"، وكذلك "خنسو"، يحمل على رأسه الهلال والقمر.
كانت هذه هي علاقة "تحوت" رب القمر بالحساب والزمان.
وعلاقة القمر بالزمن والحساب تتجلى في الآية الكريمة التالية : (هو الذي جعل الشمس ضياءً والقمر نوراً وقدّره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق يفصل الآيات لقومٍ يعلمون).

خلق الإنسان

تقول إحدى الأساطير المصرية [القديمة] أن الإنسان جاء إلى الوجود من دموع الرب "رع"، ومن هنا جاء اشتقاق لفظ "الإنسان" "رم" من لفظة "رمت" أي دموع. وجمع إنسان في اللغة المصرية : "رمو"، فهم الناس أو البشر[٤٤].
ولم يكن الإنسان فقط هو الذي جاء من إفرازات إلهية، فقد جاء نبات الكتان مثلاً، والذي كان المصريون يستعملونه في صناعة ثيابهم، من سقوط عرق الرب على الأرض فأنبت هذا النبات[٤٥].
وكان موت "أوزيريس" بمثابة صدمة عنيفة جعلت الدماء تنزف من أنف أبيه "جب"، رب الأرض، فلما وقعت دماء "جب" على الأرض أنبتت شجر الصنوبر[٤٦]. وقد بكى الرب "رع" أيضاً، فخُلق النحل من دموعه هذه[٤٧]، وخُلقت أشجار البخور من دموع "حورس"[٤٨].
ويفسر (ديمتري ميكس) و(كريستين فافارميكس) ظاهرة خلق الكائنات من إفرزات الأرباب، فيقولان بأن : " لهذه السوائل والانبعاثات قوى خاصة، وبصفة عامة، يعتبر كل ما ينبثق من الجسد الإلهي ويلامس الأرض شيئاً فعالاً". ويضيف الباحثان : " وخروج الكلمة، بل والكائنات أيضاً، بمثابة

نخامـات وانبعاثـات إلهيـة، وهـي مـن هـذا المنطـق مفعمـة هـي أيضـاً بقـوى خلاقة"[٤٩].

ولما كان الإنسان ناتجاً من عنصر إلهي، فقد ذهب الكاتب المصري إلي تحريم إيذاءه بأي شكل من الأشكال، فيقول الحكيم (بتاح حتب) [٢٤٠٠ ق.م] : " لا تستخدم العنف ضد أي إنسان، في الريف أو في المدينة، لأنه مولود من العينين، وآتٍ منها"[٥٠].

وقد كرم الله الإنسان أيما تكريم، فخلق كل شيء من أجله، كما جاء في النص التالي : " البشر قطيع الله، لقد صنع السماء والأرض طبقاً لرغبتهم. أنه يروي الظمآن بالماء، وخلق الهواء حتى تحيا أنوفهم. إنهم صور له انبعثت من أعضائه، وخلق النبات والماشية والطيور والسمك غذاء لهم. وخلق النور وفق مرادهم، وإذا بكوا فإنه يسمع بكاءهم، ومنذ البدء جعل من الملوك حماة لظهور الضعفاء منهم "[٥١].

ولكن بالإضافة إلى ما تقدم هناك عملية خلق الإنسان الشهيرة، والتي يقوم بها الرب "خنوم". ولـ"خنوم" خالق البشر معبد رئيسي على جزيرة الفنتين في (أسوان)، حيث الشلال الأول، وحيث اعتقد المصريون بوجود منابع النيل هناك. ولذا كان "خنوم" رباً لهذه المنطقة الهامة. ويقوم "خنوم" بخلق الإنسان على عجلة الفخار، وقد صورته نقوش عديدة في معابد مختلفة وهو يقوم بهذه المهمة. وهكذا كان "خنوم" هو هذا "الفخراني" المنوط به صنع الإنسان. أما المادة التي صُنع منها هذا الإنسان، فكانت : الطين والقش، أو مثل ما قال الحكيم (أمنموبي) : " صُنع الإنسان من طين وقش وصانعه هو الله "[٥٢].

وعن خلق الإنسان من طين، جاء في سورة السجدة : (الذي أحسن كل شيءٍ خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين) [٥٣].

وجاء في سورة المؤمنون : (وقد خلقنا الإنسان من سلالةٍ من طين)[٥٤].

وفي سورة الأنعام : (هو الذي خلقكم من طينٍ..) [٥٥].

وفي سورة الرحمن نقرأ أن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان من صلصالٍ كالفخار : (خلق الإنسان من صلصالٍ كالفخار) [٥٦]. وفي تفسير هذه الآية يقول (الطبري) : "خلق الله الإنسان، وهو (آدم)، من صلصال وهو الطين اليابس الذي لم يُطبخ، فإن من يبسه له صلصلة إذ حُرك ونقر كالفخار، يعني أنه من يبسه، وإن لم يكن مطبوخاً كالذي طُبخ بالنار، فهو يصلصل كما يصلصل الفخار، والفخار هو الذي قد طُبخ من الطين بالنار "[٥٧].

فإذا عدنا إلى سورة الرحمن لنستكمل الآية الكريمة التي تقول : (خلق الإنسان من صلصالٍ كالفخار وخلق الجان من مارجٍ من نار)، وعن خلق الجان من نار يقول (ابن عباس) : " من أوسطها وأحسنها "، ويقول أيضاً : " خلقه من لهيب النار من أحسن النار "[٥٨].

أما الملائكة ؛ فقد جاء ذكرها في سورة فاطر : (الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعلِ الملائكة رسلاً أولي أجنحةٍ مثنى وثلاث ورباع..)[٥٩].

أما عن الملائكة عند اليهود ؛ فيقول (والاس بدج) : "والملائكة لدى العبرانيين مصنفة إلى عشر طبقات (..) وتتوزع بينهما المهام في السموات الأرض التي يأمرها بها الرب تبعاً لمكانتها ". ويضيف (بدج) : " وآلهة المصريين الدنيا، تلك التي نبع بعضها من النار، والبعض الأخر من الماء أو الريح، والذين جسدوا قوى الطبيعة، وعبدوها، ستجد أنها كانت تعاني من عديدٍ من نقائص الكائنات الفانية، وكانوا يعتقدون أنها تشيخ وتموت ".

ويخلص (بدج) إلى النتيجة التالية : ".. ومن ملامح أخرى يمكننا الاستشهاد بها، نجد أن الملائكة في الدين الإسلامي تملك في العموم نفس صفات الآلهة المصرية الدنيا "[٦٠].

اليوم الأخر

كما خلق الله الكون والإنسان ؛ فإنه وضع لهما نهاية محتومة. أما الكون فسوف يدك دكاً تماماً، وهو ما حفلت به نصوص قرآنية عديدة، ففي سورة الزمر نقرأ الآية رقم ٦٧ : (وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطوياتٌ بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون)

وفي سورة الأنبياء ؛ تقول الآية رقم ١٠٤ : (يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب كما بدأنا أول خلقٍ نعيده وعداً علينا حقاً إنا كنا فاعلين).

وهذا هو نفس مصير الكون في الفكر الديني المصري :

"سوف يتنبأ طائر البجع أن الدمار سوف يحدث، وسوف يهب "العظيم" قائماً، وينطلق التاسوع هائجاً، وسوف يحجز الوادي، وسوف يضم الطرفين على بعضهما بعضاً، وتلتقي الضفتان معاً، وتصير وعرة أمام المرتحلين، وتحطم المنحدرات أمام من يودون الهرب"[٦١].

وهكذا سوف يحل الدمار بالكون، ليعود كما كان قبل الخليقة. أما الموت فهو نهاية الإنسان التي لا مفر منها، فيشير الله تعالى إلى أن الموت هو نهاية كل إنسان، فيقول : (كل نفسٍ ذائقة الموت)[٦٢]، وكذلك : (كل من عليها فان)[٦٣].

والموت في القرآن نهاية حتمية لابد منها : (قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم..) [٦٤]. والموت – مثل الحياة– بيد الله وحده : (قل الله يحييكم ثم يميتكم..) [٦٥].

وهذا هو ما ذهب إليه المصري [القديم]، وما آمن به، فالموت والحياة عنده رهنٌ بإرادة الله. واعتبر المصري الموت أمراً مفاجئاً غير متوقع : " الموت أمر بغيض يجلب الدموع والأحزان، يخطف الرجل من بيته"[٦٦]. وهو نهاية كل إنسان : " لا تقل إني ما زلت شاباً، فأنت لا تدري متى يدنو أجلك، فالموت يجيء و يأخذ الطفل من حجر أمه، كما يأخذ الرجل العجوز"[٦٧].

وجاء في أنشودة شهيرة تعرف باسم "عازف القيثار" : لا تزال بعض الأجيال تسير، ودخل غيرها إلى عالم الخلود منذ أزمنة موغلة في القدم، لا أحد يعود من وراء القبر فيخبرنا بما يحتاجون إليه هناك، أو ليريح قلوبنا حتى نذهب إلي هناك أيضاً، إلي حيث ذهبوا ".

وجاء في نفس القصيدة أيضاً : " لا حياة يمكن إطالتها في مصر، لا يوجد من لا يذهب إلى العالم الأخر، وليست فترة البقاء في الدنيا إلا بقدر فترة الحلم"[٦٨].

وكان المصريون يعتبرون الموت هو لحظة فراق الروح للجسد، أو كما يقول (أدولف إرمان) : " وكان موتهم يفسر بأن قوة خاصة كانت تلازمهم في حياتهم، وتسمي الـ "كا"، قد هجرتهم"[٦٩].

و"كا" هذه هي قوة إلهية، لازمة لاستمرار الحياة، فإذا ما هجرت الـ"كا" الإنسان.. مات. وما زالت بعض جدران معابد مصر تحمل نقوشاً تمثل الرب "خنوم" وهو يقوم بخلق طفل، و" كا" خاصة به في ذات الوقت. وتكون الـ"كا" شبيهة بهذا الإنسان تماماً، وتظل ملازمة إياه طيلة حياته، فإذا افترقا كان ذلك بمثابة إعلان بالموت.

وقد جاء في نصوص متأخرة : " إنك تعيش سعيداً فالـ"كا" بجوارك، ولن تهجرك أبداً[٧٠]. وكان المصريون يسمون القبر بدار "الكا".

ولكن "الكا" لا تفارق الإنسان فراقاً أبدياً، فبالرغم من انفصالها عنه ؛ إلا أنها تقدم له العون من حين لآخر[٧١].

ومنذ عصور ما قبل التاريخ ؛ كان المصري [القديم] يؤمن بأن الميت يحيا حياة جديدة في قبره، وهي حياة لها نفس الاحتياج الدنيوي. ولذا نجده حريصاً على تزويد المقبرة بما يحتاجه الميت، "الحي في قبره"، من طعام وشراب. وقد استمر هذا التقليد في العصور التاريخية، وما زالت جدران المقابر المصرية تحمل نقوش وصور ما لذ وطاب من طعامٍ وشراب.

وكانت الكا – القوة الحيوية – ترسم على هيئة ذراعين تمتدان إلى أعلى.

وبالإضافة إلى "الكا"، كان هناك أيضاً ما يعرف بالـ"با" أو"الروح"، على شكل طائر له رأس آدمية، وكذلك آياد بشرية بدلاً من مخالب الطير.

وقد ورد عدة مرات في تفاسير أئمة المسلمين بأن الأرواح لها علاقة بالطير. فقد سئل (عبد الله بن مسعود) عن الآية : (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياءٌ عند ربهم يرزقون) [آل عمران ١٦٩]، فقال : " أرواحهم في جوف طير خضر، لها قناديل معلقة في العرش "[٧٢].

ويقول (شمس الدين القرطبي) أن (كعب) بن (مالك) روى أن رسول الله قال : (نسمة المؤمن طائر يعلق).. أما نسمة المؤمن فهي روح المؤمن الشهيد، على حد قول (القرطبي) [٧٣].



كما رُوي عن النبي أنه قال : " أرواح الشهداء طير خضر تعلق في شجر الجنة "[٧٤]. وروي عن (ابن عباس) أنه قال : " إن أرواح الشهداء تجول في طير خضر"[٧٥].

وقال (عبد الله بن عمرو بن العاص) : " أرواح المؤمنين في طير كالزرازير ليتعارفون، ويرزقون في الجنة"[٧٦].

وقال (عبد الله) أيضاً بأن أرواح المسلمين عبارة عن "صور طير بيض".

عالم الموتى

ولكن إلى أين يذهب الناس بعد موتهم ؟.

لقد اعتقد المصري [القديم] أن نشأة الحياة وامتدادها هو حيث تشرق الشمس، فكان "الغرب" هو مأوى الموتى، هناك يحتشدون، حيث تغرب الشمس، ليلحقوا ثانية بركبها، لينضموا إلى موكب النور الأبدي.

وكانوا يطلقون على هذا العالم "الغربي" اسم "أمنتي"، أي المنطقة الخفية. وكانت الربة "أمنتيت"، ربة الغرب، تمثل عادة وهي ترحب بالموتى(٧٧).

وقد جاء في أحد النصوص المصرية القديمة : " ما من أحد استطاع أن يبقى في مصر، ما من أحد لم يمض إليه، فحياة الإنسان على الأرض لا تعدو سوى طيف خيال، فإذا ما جاء إلى الغرب قيل له : مرحباً ".

ويصف النص هذا العالم، عالم الموتى، أي الغرب : "بماذا يهرفون عندما يمدحون الحياة الدنيا، ويحطون من قدر عالم الموتى، ماذا يفيدهم عملهم هذا ضد الأبدية، إنها دار الحق التي لا خوف فيها، حيث لا شقاق ولا خصومة ولا عداء ولا أعداء، هنا يرقد أهلنا جميعاً منذ السنين الأولى، وإلى هنا سيأتي الجميع بعد ملايين السنين "(٧٨).

وقد ذهب علماء المسلمين – بما يشبه الإجماع – إلى وجود حياة في القبر، فالروح تعود إلى صاحبها بعد الموت، لتمارس حياة جديدة ولكنها مختلفة. وقد ذُكر "الغروب" في الحديث الشريف، أو تحديداً الشمس الغاربة "في القبر"، فيروي (أبو هريرة) عن الرسول [صلى الله عليه وسلم] أنه قال : " إن الميت إذا وضع في قبره أنه يسمع خفق نعالهم حين يولون عنه. فإن كان مؤمناً كانت الصلاة عند رأسه، والصيام عن يمينه، والزكاة عن شماله، وكان فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والإحسان عند رجليه. فيؤتى من قبل رأسه، فتقول الصلاة : ما قبلي مدخل، ثم يؤتى عن يمينه، فيقول الصيام : ما قبلي مدخل. ثم يؤتى من قبل رجليه، فيقول فعل الخيرات من الصدقة والصلة

والمعروف والإحسان : ما قبلي مدخل، فيقال له : اجلس، فيجلس قد مثلت له الشمس وقد أخذت في الغروب "[٧٩].

وكما جاء "الترحيب" بالموتى في عالمهم الجديد في النص المصري [القديم]، جاء أيضاً "الترحيب" بالميت المؤمن أو"النفس الطيبة" في الحديث الشريف : "... ثم تلا رسول الله [صلى الله عليه وسلم] (قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم إلى ربكم ترجعون) فيتلقاها بأكفان بيض ثم يحتضنها إليه، فهو أشد لزوماً لها من المرأة إذا ولدتها، ثم ينفح منها ريح أطيب من المسك، فيستنشقون ريحها ويتباشرون بها، ويقولون مرحباً بالروح الطيبة والروح الطيب، اللهم صلي عليه روحاً وعلى جسد خرجت منه. قال : فيصعدون بها، ولله عز وجل خلق في الهواء لا يعلم عدتهم إلا هو، فيفوح منها ريح أطيب من المسك فيصلون عليها ويتباشرون، وتفتح لهم أبواب السماء، فيصلي عليها كل ملك في كل سماء تمر بهم، حتى ينتهي بها بين يدي الملك الجبار، فيقول الجبار جل جلاله : مرحباً بالنفس الطيبة، وبجسدٍ خرجت منه، وإذا قال الرب عز وجل للشيء مرحباً، رحب به كل شيء.. "[٨٠].

مشاهد من عالم الموتى

ذكرنا سلفاً تلك الأسطورة المصرية المعروفة باسم (سي أوزير). ومن بين أحداث هذه الأسطورة ؛ أن الصبي (سي أوزير) كان يجلس مع أبيه (سي توم) ذات يوم، فسمعا نحيباً عالياً، فنظر الأب (سي توم) : ".. من نافذة بيته فرأى رجلاً يشيع إلى المدافن في الصحراء، مصحوباً بعويل عال وتكريم كبير، ومتعلقات فخمة، وذات مرة أخرى حدث أنه نظر، فرأى رجلاً فقيراً محمولاً من (منف) [أي المدينة] إلى الصحراء [أي المدافن]، وقد لف جثمانه في حصير فقط، ولم تصحبه أية متعلقات ".

فظن الأب أن الأغنياء أوفر حظاً، فقال له ابنه : " فليكن حظك في العالم الأخر مثل حظ الفقير، ولا يكن نصيبك مثل نصيب الغني، عندما تنتقل في المستقبل إلى عالم الموتي "..

فلما لم يفهم الأب ما ذهب إليه ابنه (سي أوزير) ؛ أجابه الصبي : " إن شئت أريتك ". ثم أخذ (سي أوزير) أباه من يده، وصحبه إلى مكان ما " في الصحراء غرب (منف)" لا يعرفه الأخير، وهناك وجد بناء به سبعة أروقة، مكتظاً بالناس.. فدخلا الرواق الأول ونظرا، ودخلا الرواق الثاني ونظرا، ودخلا الثالث ونظرا، فلما دخلا الرواق الرابع رأى (سي توم) أناساً يبرمون حبالاً بينما الحمير خلفهم تأكلها، وكان هناك آخرون قد علق زادهم من ماء وخبز فوق رؤوسهم، وبينما كانوا يقفزون ليلتقطوه كان هناك آخرون يحفرون تحت أقدامهم ليحولوا بينهم وبين الإمساك به.

ثم دخلا الرواق الخامس فرأى فيه (سي توم) أصحاب الوجوه السمحاء والمنزلة العالية صفوفاً، أما المذنبون أصحاب الآثام فكانوا واقفين على الباب طالبين الرحمة. وكان هناك رجل يستغيث ويصرخ مولولاً، وقد دخل في عينيه طرف باب الرواق الخامس ".

عند هذا الحدث من الأسطورة المصرية نتوقف لنجد عدة نقاط أساسية، تم بناء هذا الجزء من الأسطورة عليها :

١ - اصطحاب (سي أوزير) لأبيه إلى عالم مجهول، أي أن هناك شخصين أحدهما يقود الأخر إلى عالم يجهله هذا الأخر، وهو عالم الموتى، أو العالم الأخر.

٢ - هذا العالم يتكون من عدة مناطق تغص بناس، هم كما يبدو موتى يتم تعذيبهم.

٣ - تعذيب هؤلاء يتم بناءً على ما جنت أيديهم في عالم الأحياء، كما سيتضح فيما بعد، إذ بعد هذه الجولة يسأل (سي توم) ابنه (سي أوزير) عن ما رآه فيجيبه (سي أوزير).

٤ - إن (سي أوزير) لم يكن إنساناً عادياً، بل هو ملاك أو رسول بعثته العناية الإلهية إلى مصر، لينقذها من أخطار تعرضت لها.

وتمضي الأسطورة ليسأل (سي توم) ابنه (سي أوزير) : "ابني (سي أوزير)، إن الأعاجيب التي رأيتها في العالم الأخر كثيرة، فدعني أعرف حكاية هؤلاء الناس الذين يبرمون حبالاً، بينما الحمير خلفهم تأكلها، وحكاية الآخرين الذين كان زادهم ماءً وخبزاً، معلقاً فوقهم، وفي كل مرة يقفزون ليمسكوا به ؛ يقوم أناس آخرون بالحفر تحت أقدامهم ليمنعوهم من لمسه ".

ويجيب (سي أوزير) : ".. إن الناس الذين رأيتهم يبرمون حبالاً بينما الحمير خلفهم تأكلها ؛ هم هؤلاء الذين لعنهم الله على الأرض، فهم يكدون ليل نهار في سبيل قوتهم، بينما نساؤهم خلفهم يأخذن كل شيء، فلا يجدون خبزاً يأكلونه، وقد جاء أيضاً هؤلاء إلى العالم الأخر فكانت سيئاتهم أكثر من حسناتهم، ووُجد أن ما كان يحدث لهم على الأرض يجب أن يجري عليهم في العالم الأخر. أما عن الآخرين الذين رأيتهم وقد عُلق زادهم من ماء وخبز فوق رؤوسهم، وفي كل مرة يقفزون ليلتقطوا منه شيئاً ؛ قام أناس آخرون بالحفر تحت أقدامهم ليحولوا بينهم وبين الإمساك به، فهم يتساوون مع أناس على الأرض، يكون أمامهم رزقهم ولكن يُحفر تحت أقدامهم ليمنعهم من الكسب. وقد جاءوا أيضاً العالم الأخر، وما جرى لهم في الدنيا جرى لهم في الأخرة. أما أرواحهم فقد نزلت إلى العالم السفلي. فليقر في قلبك يا والدي (سي توم) أن من فعل خيراً في الدنيا لقي خيراً في الأخرة. ومن فعل الشر في الدنيا لقي الشر في الأخرة. هذا هو ما يحدث وسيظل هكذا للأبد ".

ونمضي مع الأسطورة المصرية لنعرف مصير الرجلين، الغني والفقير، اللذين رآهما (سي توم) يحملان إلى المدافن، ففي الرواق الرابع كان (سي توم) قد رأى رجلاً يصرخ مستغيثاً، وقد دخل طرف باب الرواق في عينه، ولم يكن هذا الرجل سوي الغني، أو كما فسر (سي أوزير) ذلك لأبيه فقال : " أما ذلك الثري فقد انتقل على العالم الأخر، وقد قورنت سيئاته بحسناته، ففاقت سيئاته حسناته التي فعلها على الأرض، وهكذا صدر الأمر بانتقاله إلى العالم الأخر ليلقى جزاءه، فكان هو الرجل الذي رأيته وقد دخل طرف باب العالم الأخر في عينه اليمنى، وقد فغر فاهه مولولاً صارخاً ".

أما عن مصير الرجل الفقير ؛ فتحدثنا الأسطورة أن (سي أوزير) دخل مع أبيه الرواق السادس، ثم دخلا الرواق السابع، وهناك رأى الاثنان طيف الإله العظيم مستوياً على العرش : ".. وهنا رأى (سي توم) رجلاً وجيهاً يرفل في رداء ملكي، على مقربة من "أوزيرس"، وقد أُنزل منزلة عالية للغاية، فاندهش (سي توم) مما رآه في العالم الأخر، وخرج (سي أوزير) أمامه، وقال له : أبي (سي توم)، ألم تشهد هذا الرجل الوجيه ذا الرداء الملكي، الكائن بالقرب من "أوزيريس" ؟. إنه هو الرجل الفقير الذي رأيته خارجاً من (منف) بلا مشيعين، ملفوفاً في حصير فقط، وقد انتقل إلى العالم الأخر، فوزنت سيئاته قياساً بمدة حياته التي كتبها له "تحوت" عند مولده، وقياساً بحظه على الأرض، وهكذا صدر الأمر أمام أوزريس بأن تذهب متعلقات الثري إلى هذا الرجل الفقير، وكذلك أن ينتقل إلى أصحاب الوجوه السمحاء والمنزلة العالية، كرجل يخدم "سقر أوزيريس"، على مقربة من أوزيريس".

وتخبرنا الأسطورة أيضاً أن من تفوق حسناته سيئاته : "فإنه ينتقل إلى أرباب سيد الأخرة، وترتفع روحه إلى السموات، مع أصحاب الوجوه السمحاء والمنزلة العالية".

وقد جاء بالحديث الشريف أن المرء إذا قبضت روحه : "..يصعد به إلى السماء، فتفتح له السماء، ويشيعه مقربوها إلى السماء الثانية والثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة إلى العرش"(٨١).

ويقول د. (سيد عويس) : " وقد عقد (ابن القيم) فصلاً ذكر فيه أقوال العلماء في مستقر الأرواح، ثم ذكر القول الراجح فقال : "قيل : الأرواح متفاوتة في مستقرها في البرزخ أعظم تفاوت. فمنها أرواح في أعلى عليين في الملأ الأعلى، هي أرواح الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، وهم متفاوتون في منزلهم كما رآهم النبي [صلى الله عليه وسلم] ليلة الإسراء "(٨٢).

البعث

تتبدى أهمية الإيمان بالبعث، أو اليوم الأخر، في العقيدة الإسلامية في اقترانه بالإيمان بالله ذاته، وقد جاء ذلك في سورة البقرة : (.. من آمن بالله واليوم الأخر..) [٨٣].

وهو ما نصت عليه الآية في سورة المائدة : (.. من آمن بالله واليوم الأخر..)[٨٤].

والنقيض من ذلك صحيح أيضاً، فمن ينكر الأخرة لا يؤمن بالله : (وإذا ذُكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالأخرة..)[٨٥].

كما أن عدم الإيمان بالله هو كفر بالأخرة ؛ كما جاء على لسان سيدنا يوسف : (.. إني تركت ملة قومٍ لا يؤمنون بالله وهم بالأخرة هم كافرون) [٨٦].

والإيمان بالأخرة هو من الثوابت الدائمة في الإسلام : (والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالأخرة هم يوقنون)[٨٧]. وعن تفسير هذه الآية يقول (الطبري) : " أما الأخرة فإنها صفة للدار، كما قال جل ثناؤه : "وأن الدار الأخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون"، وإنما وصفت بذلك لمصيرها، أخرة لأولى كانت قبلها "[٨٨].

ويقول (ابن عباس) : " وبالأخرة هم يوقنون، أي بالبعث والقيامة والجنة والنار والحساب والميزان "[٨٩].

فهل كان للمصريين مثل هذا الإيمان بالأخرة ؟، أي : الإيمان بالبعث والقيامة، والجنة والنار، والحساب والميزان ؟، هذا ما سوف يتضح لنا :

أما الإيمان بالأخرة فكان من الركائز الأساسية للعقيدة القديمة، وكان المصريون هم أقدم شعوب الأرض الذين آمنوا بالبعث بعد الموت، وباليوم الأخر، أو بالأخرة، التي هي كلمة مصرية صميمة، انتقلت كما هي بمعناها ولفظها إلى اللغة العربية[٩٠].

وقد عرف المصريون نوعين من البعث، أو قل كان لديهم مدرستان أو مذهبان لتفسير مسألة البعث، أولهما هذا البعث الذي آمن به أتباع العقيدة

الشمسية، أو روج له كهنة الإلـه "رع". فقد أوجدوا علاقـة بـين شـروق الشـمس ومسارها في السماء ثم غروبهـا، واختفاءهـا لـيلاً اختفـاءً مؤقتـاً، ثـم عودتهـا مـرة أخري لتواصل مسيرتها، وهكذا إلى الأبد.

فكان أن أوجدوا علاقة بين ذلك وبين حياة الإنسان، مقرنين بينه وبين مـا يحـدث للشمس، فهو يعيش ثم يموت، أو يختفي مؤقتاً ثم يعود ثانيـة، فلـم يكـن المـوت سوى لحظة فاصلة، أو حلقة تصل بين حياتين، ولذا لم يكن غريبـاً أن يطلقـوا على الأبدية لفظة "الحياة"، وطبقاً لهذه النظريـة فـإن الميـت كـان ينـهض ليلحـق بمسيرة الشمس، أو ليصير جزءاً منها(٩١).

أمـا الفكـرة التـي شـاعت بـين المصـريين عـن البعـث فكانـت مرتبطـة بعقيـدة "أوزيـريس"، أو كمـا يقـول (والاس بـدج) : " أنهـا لاقـت استحسـان جمـوع المصريين، فكما رأى المصري في مسار الشمس اليومي رمزاً للخلود والبعث المتجدد، رأى ذلـك أيضـاً علـى أرضـه.. فالحيـاة تتجدد باستمرار، فكـان يـري فيضان النيل وهو يغمر الأرض "الميتة"، فإذا بالحياة تدب فيها وتخرج من بين ثناياها خضراء مزدهرة. وهكذا يبدو واضحاً أن فكرة البعث هذه متسقة تماماً مـع طبيعـة الـبلاد المصـرية الزراعيـة، وقـد ارتبطـت فكـرة البعـث هـذه بالإلـه "أوزيريس" منذ زمن مبكر للغاية"(٩٢).

كما جـاء فـي معجم المعبودات والرموز ؛ أن "أوزيـريس" كـان يرمـز لمظهـره النباتي بالقمح، فكان يوطيء في الأرض أولاً [أي يدفن]، ثم يستريح فـي ظـلام [ظلام العالم]، ثم تنبت البذرة الجديدة [البعث]، مما يمكن فهمـه أنـه كانـت توجـد علاقة خاصة بين الماء واهب الحياة وبين الإله(٩٣).

وقد جاء بالقرآن الكريم : (وآيةٌ لهـم الأرض الميتـة أحييناهـا وأخرجنـا منهـا حبـاً فمنه يأكلون) (٩٤). (والله الذي أرسل الريـاح فتثيـر سـحاباً فسقناه إلـى بلدٍ ميتٍ فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور) (٩٥).

(يُخرج الحي من الميت ويُخـرج الميـت مـن الحـي ويُحيـي الأرض بعـد موتها وكذلك تُخرجون) (٩٦).

وعن أصل "أوزيريس" نشأت نظريتان :

أولاً : أن "أوزيريس" كان ملكاً حقيقياً حكم مصر.

ثانياً : أنه كان تجسيداً لفيضان النيل، الذي يجدد الحياة في الأرض الميتة(٩٧).

وقد ذكرته متون الأهرام بأنه الأخضر العظيم(٩٨). ومنذ عصر الدولة الوسطى صار "أوزيريس" رباً للفيضان والخصب(٩٩).

وكما حرص القرآن على تذكير المسلمين بالبعث والنشور، وضرب لذلك مثلاً بإحياء الأرض بعد موتها، فإن المصريين [القدماء] كانوا أيضاً حريصين على ذلك، من خلال احتفال أو عادة سنوية كانوا يكررونها على ضفاف النيل : فقد كانوا يصنعون تماثيل على شكل "أوزيريس"، يضعون فيها شيئاً من الطين والبذور، ثم يضعونها على ضفة النيل، وبعد أيام ينبت البذر، ويزدهر ضاربين بذلك مثل الأرض التي عادت إليها الحياة(١٠٠).

وقد عرف المصريون شعيرة اشتهرت بـ"طقس فتح الفم"، وهو طقس سحري غامض، يُجرى على جثمان المتوفي، فيضمن له فتح فمه، فيستطيع الحديث، وكذلك الأكل والشرب. وتعيد هذه الشعيرة كل الحواس إلى الجسد "الميت" مرة أخرى، فتدب الحياة فيه. وقد جاء على لسان المتوفي في كتاب الموتى : " عسى أن يفتح لي عيني اللتين عميتا، ويمكنني من ساقي اللتين ربطتا، عسى أن يجعل ""أنوبيس"" رجلي ثابتتين حتى أقف بهما. لعل الربة "سخمت" تجعلني أنهض، لأتمكن من الصعود إلى السماء"(١٠١).

وفي كتابه "التذكره في أحوال الموتى وأمور الأخرة"، يسوق (شمس الدين القرطبي) أحوالاً عديدة يمتلك فيها الموتى قواهم الحسية، ومن هذه الحالات يذكر (القرطبي) : " فأما حال البعث من القبور ؛ فإن الكفار يكونون كاملي الحواس والجوارح، لقوله تعالى (يتعارفون بينهم) [يونس : ٤٥]، وقوله : (يتخافتون بينهم إن لبثتم إلا عشراً) [طه : ١٠٢]، وقوله : (فإذا هم قيامٌ ينظرون) [الزمر ٦٨].

والحالة الثانية : حال السوق إلى موضع الحساب، وهم أيضاً في هذه الحالة بحواس تامة، لقوله عز وجل : (احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم وقفوهم إنهم مسئولون)

[الصافات ٢٢ – ٢٤]، ومعنى فاهدوهم أي دلوهم، ولا دلالة لأعمى أصم ولا سؤال لأبكم، فثبت أنهم يكونون بأبصارٍ وأسماعٍ وألسنةٍ ناطقة.

والحالة الثالثة : وهي حالة المحاسبة، وهم يكونون فيها أيضاً كاملي الحواس ليستمعوا ما يقال لهم ويقرؤوا كتبهم الناطقة بأعمالهم، وتشهد جوارحهم بسيئاتهم فيسمعونها. وقد أخبر تعالى عنهم أنهم يقولون : (ما لِ هذا الكتاب لا يغادر صغيرةً ولا كبيرةً إلا أحصاها) [الكهف ٤٩]، وأنهم يقولون لجلودهم : (لم شهدتم علينا) [فصلت ٢١]، وليشاهدوا أحوال يوم القيامة، وما كانوا مكذبين في الدنيا من شدتها، وتصرف أحوال الناس منها"[١٠٢].

العالم الأخر "دوات"

خلف المصريون [القدامى] آثاراً أدبية بالغة الأهمية، تناولت "العالم الأخر" وما يدور فيه، وقد حظي "كتاب الموتى" بالشهرة دون هذه الأعمال الدينية الأخرى، التي لا تقل عنه أهمية.

وكتاب الموتى عبارة عن مئات المخطوطات البردية، تم العثور عليها بمقابر ملوك الدولة الحديثة، وقد قام عالم المصريات (ريشارد ليبسوس) بجمع هذه البرديات، ونشرها عام ١٨٤٢ م.

وفضلاً عن أن "كتاب الموتى" يعطينا صورة عن العالم الأخر، فقد تضمن أيضاً تعاليم ورقى وتعاويذ ؛ تهدف إلى حماية المتوفي من شرور الطريق إلى عالمه الجديد، وهي تقوده وترشده أثناء رحلته في هذا العالم الأخر.

كما سُجلت به أيضاً – على نحو تفصيلي – إجراءات المحاكمة التي تجري للموتى، ويعطي كتاب الموتى صورة وفكرة عن الحياة في الأخرة.

ومن الكتب الشهيرة والهامة، والتي تعطينا فكرة طيبة عن العالم الأخر في عقيدة المصريين، الكتاب المعروف باسم "إم داوت"، أي "الذي في العالم الأخر"، ويعتبره (ياروسلاف تشرني) مع "كتاب البوابات" – الذي سيأتي ذكره فيما بعد - " نموذجين آخرين للأدب الجنازي المثير، الذي انفرد به المصريون دون شعوب كل العصور وكل العالم، في إبداعه مع موتاهم "[١٠٣].

ويتضمن كتاب "العالم الأخر" "إم داوت" وصفاً لرحلة الشمس في العالم الأخر، كما سبق الإشارة إليه. وكما ذكرنا فقد تم تقسيم هذا العالم إلى اثني عشر قسماً، أي اثني عشر ساعة، وهي التي نعتبرها في عالم الأحياء ساعات الليل. وهذه الأقسام عبارة عن مغاور أو حقول غاصة بالأرباب والأرواح والموتى، من الأشرار والطيبين، ويقوم على إمرة كل قسم منها رب من الأرباب، ويجتاز هذه الأقسام الاثني عشر "رب الشمس"، الذي يُذكر في كتاب "إم داوت" باسم "يوف".

والعالم الأخر ليس عالماً يقع أسفل عالمنا[١٠٤]، كما يفهم البعض، أو كما ترجمه البعض على أنه العالم السفلي، فهو عالم موجود خارج عالمنا، وقد يكون موقعه في السماء، أو كما أشارت نصوص من زمن الأسرة التاسعة عشر؛ إلى أنه عالم بعيد وراء الأرض قريب من الجنة[١٠٥].

والدوات عبارة عن وادٍ رحيب، تحيط به الجبال، التي تفصل بينه وبين الأرض من جهة، وبينه وبين السماء من جهة أخرى[١٠٦].

وهناك في هذا العالم تكون لـ"أوزيريس" السلطة المطلقة، وفي هذا العالم يتم أيضاً محاكمة الموتى.

أما كتاب الأبواب والبوابات فهو يشبه كتاب "إم داوت" إلى حد بعيد، ويعود تاريخه أيضاً إلى عصر الأسرة الثامنة عشرة، ويحدد (إريك هورنونج) تاريخه بدقة، فيرجعه إلى قبيل عهد إخناتون. وكان أول من استخدمه في تزيين مقبرته بوادي الملوك هو الملك (حار محب) [١٠٧].

وفي كتاب البوابات ؛ ينتظم أهل العالم الأخر في مجموعات معينة. كما تنقسم مناطقه أيضاً إلى اثني عشر ساعة، ولكن في هذا الكتاب تبرز أهمية بوابات اثني عشر تفصل هذه الساعات عن بعضها. وتعتبر هذه البوابات بروج حراسة، يقوم عليها حراس وثعابين تنفث ناراً، ويحملون أسماء بعينها مثل "صاحب النار الحادة"، و" من تبصق عيناه النار"[١٠٨]. وتمر سفينة الشمس من البوابات بعد أن يقوم حراسها بفتحها أمام الموكب الإلهي.

ومن الكتب الجنازية هناك أيضاً "كتاب الكهوف"، وهو عبارة عن جزءين، ينقسم كلٌ منهما على ثلاثة أقسام. ويعتبر هذاالكتاب عالم الموتى كهوفاً أو مغاور[١٠٩].

أما "كتاب السموات" ؛ فهو يقسم السماء، أو جسد الربة "نوت"، إلى ساعات ذات أبواب، حيث تقوم الشمس برحلتها(١١٠).

وهناك كذلك "كتاب الليل" و"كتاب النهار"، وهما يتناولان الرحلة الكاملة للشمس ليلاً ونهاراً، أي خلال يوم كامل(١١١).

ومن كتب العالم الأخر كتاب "عبادة "رع" في الغرب"، أو "ابتهالات إلى رع"، وهو يضم خمساً وسبعين قصيدة مديح لـ"رع". كما يوضح قسم آخر في هذا الكتاب عملية اندماج الملك المتوفي في الشمس، وهو بذلك يحصل على الخلود، من خلال مشاركة يومية أبدية في رحلة الشمس(١١٢).

الطريق إلى الآخرة

وهناك كتب أخرى تناولت مسألة العالم الأخر، منها ما يصور الحياة بعد الموت، مثل "الشات إم داوت"، ومنها ما كان بمثابة دليل تهتدي به روح المتوفي إلى طريقها إلى الأخرة(١١٣).

كما يوجد كتاب يعرف باسم " كتاب السبيلين" ، أو الصراطين. وكما يدل عنوان هذا الكتاب المصري [القديم]، فإنه يحتوي على وصف لطريقين يقود كلٌ منهما إلى ملكوت الأبرار. وأحد هذين الطريقين بري، أما الأخر فهو طريق مائي، ويفصل بينهما بحر من النار، كما أن هناك أيضاً سبلاً ثانوية لا يحبذ انتهاجها، لأنها لا تؤدي إلا إلى النار(١١٤).

يقول (القرطبي) : " إن في الأخرة صراطين، أحدهما مجاز لأهل المحشر كلهم، ثقيلهم وخفيفهم، إلا من دخل الجنة بغير حساب، أو من يلتقط عنق النار، فإذا خلص من هذا الصراط الأكبر الذي ذكرناه، ولا يخلص منه إلا المؤمنين، الذين علم الله منهم أن القصاص لا يستنفذ حسناتهم، حبسوا على صراط آخر خاص لهم، ولا يرجع إلى النار من هؤلاء أحد إن شاء الله، لأنهم قد عبروا

الصراط الأول المضروب على متن جهنم، الذي يسقط فيها من أوبقه ذنبه وأربى على الحسنات بالقصاص جرمه"(١١٥).
وفي سورة الصافات نقرأ : (احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون. من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم) (١١٦).
أما المصري القديم فيبتهل قائلاً : " لتضمن لي طريقاً، عسى أن أعبر عليه في سلام لأنني عادل وحق، لم أنطق بالأكاذيب عمداً، ولم أرتكب خداعاً قط"(١١٧).
كما يقول النص المصري القديم : " يقول لي الآلهة : دع نفسك تأتي "، وبعد أن يذكر المتوفي اسمه ومن أين أتى : " يقول حينئذ لي : مر في الطريق المستقيم"(١١٨). وكذلك : " وتخلص من الهلاك الذي يسير على الطريق المستقيم"(١١٩).

" وحين تُقبض الروح ترفعها الملائكة حتى توقفها بين يدي الله تعالى " ، كما يقول (أبو الحسن القابسي)، ويضيف بأن ذلك هو : " الصحيح من المذهب، والذي عليه أهل السنة "(١٢٠). ويصل الملك الأمين بروح الميت إلى سماء الدنيا : " فيقرع الباب، فيقال للأمين : من أنت ؟ فيقول : أنا صلصائيل، وهذا فلان معي، بأحسن أسمائه وأحبها إليه، فيقول : نعم الرجل كان فلان، وكانت عقيدته غير شاك، ثم ينتهى به إلى السماء الثانية، فيقرع الباب، فيقال له : من أنت ؟ فيقول مقالته الأولى، فيقولون أهلاً وسهلاً بفلان "..
وهكذا يظل الملك يرتقي بالروح "الصالحة" من سماء إلى أخرى، حتى يصل السماء السابعة، وينتهى به إلى سدرة المنتهى، وبعد ذلك : " يُفتح له، فيمر في بحر من نار، ثم يمر في بحر من نور، ثم يمر في بحر من ظلمة، ثم يمر في بحر من ماء، ثم في بحر من ثلج، ثم يمر في بحر من برد، طول كل بحر منها ألف عام"(١٢١).

الأبواب

عرف المصريون [القدامي] فكرة وجود أبواب للعالم الأخر، توصد دون المتوفي، ويقوم على حراستها حماة شداد، لا يفتحونها إلا للأبرار، ليجتازها هؤلاء إلى مستقرهم الأخير. فقد جاء في "كتاب الموتى" على لسان المتوفي : " لعل أبواب السماء تفتح لي ".

وقد جاء ذكر الأبواب في القرآن الكريم مرات عديدة، نذكر منها : (ولو فتحنا عليهم باباً من السماء فظلوا فيه يعرجون)[١٢٢]، وكذلك : (وفتحت السماء فكانت أبواباً). [١٢٣]

وجاء في صحيح (مسلم) رواية عن (عمر بن الخطاب) عن النبي [صلى الله عليه وسلم] أنه قال : " وما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ أو يسبغ الوضوء ثم يقول : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية، يدخل من أيها شاء "[١٢٤].

كما يُفهم من الآية القرآنية التالية أن أبواب السماء لا تفتح لبعض الناس، وهم : (.. الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتّح لهم أبواب السماء..) [١٢٥].

ويقول النص المصري : ".. لتدعه يستقر بين القاطنين في السماء، لتدع العالم الأخر يفتح له الأبواب "[١٢٦].

أما المؤمنون البررة فإن الأبواب تفتح لهم فيعبرون. أو هكذا يتمنون : " عسى أن أحضر وأخرج دون عائق من بوابات العالم الأخر، ولعلي أُمنح أرغفة الخبز في منزل البرد، وهبات الطعام في (أون) ومستقراً أبدياً، في حقول السلام، حيث يفيض القمح والشعير"[١٢٧].

وجاء في القرآن الكريم : (وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلامٌ عليكم طبتم فادخلوها خالدين)[١٢٨].

وفي كتاب الموتى جاء على لسان المتوفي : ".. إني نقي الفم، طاهر اليدين، عسى أن يقول هؤلاء الذين ينظرونني : تعال في سلام، تعال في سلام "، وكذلك : " لعل أبواب السماء تفتح لي. عسى أن يفتح لي "سب" أمير الآلهة فكيه مرحباً "[١٢٩].

وكما أن للسماء أبواباً وللجنة أبواباً، فإن لجهنم أبواباً أيضاً، فقد جاء في سورة الزمر : (وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمراً حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسلٌ منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين. قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين) [١٣٠].

وفي كتاب الموتى : " البوابة الثامنة.. النار البراقة بألسنة لهيب لا تخمد، تمتد بعيداً صاعقة، لا يمكن لأحد مقاومتها، ولا يستطيع أحد عبورها بسبب أذاها"[١٣١].

الحساب

وبعد أن يعبر المتوفي دروباً وعرة، يتعرض خلالها لمصاعب جمة وأخطار مهلكة، يصل في النهاية إلى قاعة "الحق"، حيث تنعقد له "محاكمة"، يتم من خلالها حساب المتوفي على ما جنته يداه. ويعتبر "حساب الموتى" واحداً من أهم العناصر موضوع العالم الأخر، كما يعتبر كذلك مسألة بالغة القدم في الفكر المصري، وعن هذا يقول (والاس بدج) : " إن فكرة حكم ينتظر الشخص الميت عند عتبة الحياة الثانية موجودة منذ الدولة القديمة، ولا شك أنها من أقدم عناصر الفكر الديني المصري"[١٣٢].

ويتم حساب المتوفي في قاعة محكمة، وعلى باب هذه القاعة يقف حارس قوي، هو الرب "أنوبيس"، الذي لا يدع المتوفي يجتاز الباب إلا بعد أن يبرهن للحارس على معرفته وإدراكه أنه يقف في هذه اللحظة أمام هذا الباب الرهيب :

" يقول الرب "أنوبيس" المهيب : أتعرف اسم ذلك الباب.." [١٣٣].

فإن كانت إجابة المتوفي إجابة صحيحة، تدل على معرفته "التفصيلية" بأجزاء الباب، سُمح له بدخول قاعة الحق.

فإذا ما دخل القاعة ؛ رأى مشهداً جليلاً، وصفه لنا الكاتب المصري في أسطورة (سي أوزير)، الذي أخذ أباه (سي توم) إلى العالم الأخر، فقاده عبر عدة أورقة حتى وصلا الرواق السادس : " ثم دخلا الرواق السادس وفيه رأى (سي توم)

"طيف أوزيريس"، الإله العظيم، مستوياً على عرشه المصنوع من الذهب الخالص، متحلياً بتاجه الأبيض، وكان على يساره الإله العظيم "أنوبيس"، وعلى يمينه الإله العظيم "تحوت". أما أرباب المحكمة فكانوا مصطفين عن يمينه وعن شماله، وقد أقاموا الميزان في الوسط، وصارت السيئات توزن مقابل الحسنات، وكان الإله العظيم يمسك بالكتاب، بينما "أنوبيس" يملي على رفيقه البيان. فإن بدت سيئات أحدهم أكثر من حسناته، ألقي به إلى الملتهمة، خادمة سيد الأخرة، فتأتي على جسده وروحه معاً، ولا يسمح له أن يتنفس أبداً. أما إن زادت حسنات أحدهم على سيئاته فإنه ينتقل إلى سيد الأخرة، وترتفع روحه إلى السموات مع أصحاب الوجوه السمحاء والمنزلة العالية.. ".



أبواب الآخرةعليها حراس أشداء

هكذا من خلال نص أسطوري تعرفنا على قاعة المحاكمة، وهى– كما جاء بالنصوص الدينية – عبارة عن قاعتين، أو قاعة مزدوجة. ويتصدر القاعة الإله الأعظم "أوزيريس"، الذي هو نفسه "سيد الأخرة"، جالساً على عرشه، وعن

يمينه ويساره ربان أو ملكان. ثم يواجهنا صفان من القضاة المحكمين، يبلغ عددهم اثنين وأربعين. وأمام هؤلاء ينكر المتوفي اثنين وأربعين ذنباً، لم يقترفها في حياته. نذكر منها : "إني لم أسرق"، "إني لم أقتل ولم أرتكب أذى"، "لم أنطق كذباً "، "لم أسبب ألماً"، "لم أقترف الزني"، "لم أتسبب في بكاء"، "لم أرتكب الغيبة"، " لم أغضب إلا للحق"، "لم أنتهك (المحرمات)"، "لم أدنس نفسي"، "لم أغرر بزوجة غيري"، "لم أصم أذني عن كلام العدل والحق"، " لم أسع في وشاية"، "لم أسبب رعباً لإنسان" و" لم أكن متكبراً"، "لم ألوث المياه قط"(١٣٤).

وفي بردية أخرى نقرأ نصاً ينفي فيه المتوفي عن نفسه اقتراف خطايا شبيهة، نذكر منها – إضافة لما تقدم : " لم أقهر أحداً من أفراد أسرتي" ، " لم أعامل الخدم بسوء" ، " لم أسمح بضرر يقع على خادم من رئيسه"، " لم أغش بالكيل ولم أطفف الميزان"، "لم أنتزع اللبن من فم الرضيع ولم أطرد قطيعا من مراعيه"، "لم أحول مياه الري في مواسمها، ولم أخرب قنوات المياه الجارية"(١٣٥).

وفي وسط قاعة الحق "ماعت" يقوم الميزان العظيم، الذي يقف عليه عدة أرباب أو ملائكة، كلٌ موكول إليه مهمة محددة، فأحدهم يهتم بضبط الميزان نفسه بدقة متناهية، والأخر يعمل على تنفيذ الحكم الفوري الصادر ضد المذنب. وقبل ذلك يسجل "ملك عظيم" نتيجة "الوزن"، أي الحساب الدقيق. كما يحضر "عملية الحساب" هذه ملاك آخر نائباً عن المتوفي نفسه. وعلى إحدى كفتي الميزان توضع ريشة تمثل الصدق والعدل والنظام.

كانت هذه هي العناصر الأساسية لمسألة "الحساب في الأخرة" عند المصريين، فماذا عنها في الإسلام ؟ : في "الأخرة" يتم " حساب" المسلم عن عمله بواسطة "ميزان"، وعن هذا الميزان يقول الله عز وجل : (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفسٌ شيئاً..) (١٣٦). وعن صفة هذا الميزان يقول (الطبري) :

".. قالوا وذلك الميزان الذي يعرفه الناس له لسان وكفة، وقال (عمرو بن دينار) : أنّا نرى ميزاناً وكفتين.." (١٣٧).

وقال (ابن عباس) : " توزن الحسنات والسيئات في ميزان له لسان وكفتان"(١٣٨).

وعن مكان الميزان يقول (عبد بن سلام) : " إن ميزان رب العالمين ينصب بين الجن والإنس، يستقبل به العرش"(١٣٩).

ويقول (القرطبي) : " ويؤتى بالميزان فينصب بين يدي الله تعالى"(١٤٠).

وللميزان أيضاً من يقوم عليه، وهو هنا (جبريل) كما يقول (حذيفة) : " صاحب الميزان يوم القيامة (جبريل) عليه السلام "، وكذلك (ابن سلام) : " و(جبريل) أخذ بعموده ناظراً إلى لسانه "، أي عمود ومؤشر الميزان(١٤١).

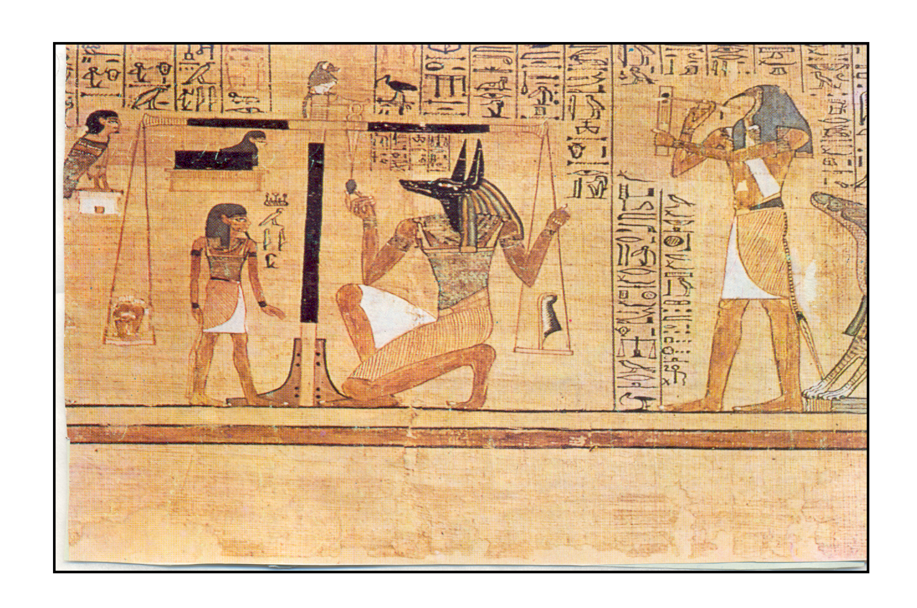
أما عن عملية الوزن نفسها ؛ فقد جاء في القرآن الكريم : (والوزن يومئذٍ الحق فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون)(١٤٢)، و : (ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون) (١٤٣)، و : (فأما من ثقلت موازينه. فهو في عيشةٍ راضية. وأما من خفت موازينه. فأمه هاوية)(١٤٤).

وقد جاء بالقرآن الكريم أيضاً أنه مهما تضاءل عمل المسلم، خيراً أو شراً، فإنه يحسب له أو عليه : (فمن يعمل مثقال ذرةٍ خيراً يره. ومن يعمل مثقال ذرةٍ شراً يره) (١٤٥).

وفي الدين المصري كان المعيار [الوزن] لذلك هو "الريشة"، وفي القرآن الكريم : (.. فلا تظلم نفسٌ شيئاً وإن كان مثقال حبةٍ من خردلٍ أتينا بها وكفى بنا حاسبين). (١٤٦)

ومن جانب آخر كانت هذه الريشة رمزاً للصدق والعدل والنظام، وهي مباديء سامية ثلاثة جمعها المصري في لفظ واحد هو " ماعت"، وهو ما نعتقد أنه يوازي الكلمة العربية : "الحق". وهو ما جاء في قوله عز وجل : (والوزن يومئذٍ الحق..) (١٤٧).

وأمام "الحق" وضع المصريون في كفة الميزان الأخرى قلب الإنسان. وعن هذا جاء في النص المصري [القديم] : " إن قلب "أوزيريس" (آني) [اسم المتوفي] بالحقيقة قد وزن "(١٤٨).



الميزان :

وزن قلب المتوفي (آني) في قاعة المحاكمة – عن كتاب الموتى :

- الميزان قائم في الوسط.. ريشة الـ"ماعت" على كفته اليمنى، وقلب المتوفي على الكفة الأخرى.
- "أنوبيس" يعتني بضبط ودقة مؤشر [لسان] الميزان.
- "تحوت" يمسك بقلمه ولوحته.
- في أقصى اليسار روح المتوفي، "با"، على هيئة طائر ذي رأس إنسان.

وقد عرف المصريون هذه الأهمية العظيمة للقلب، والتي تميزه عن بقية أعضاء جسد الإنسان.

فقد أدركوا أن القلب هو : " منبع جميع الأوعية"، فحيثما يضع الطبيب يده على أي عضو، أو جزء من أجزاء البدن، يجد حركة القلب المتمثلة في ضربات النبض. (١٤٩)

ويعلق الدكتور (حسن كمال) على ذلك، فيقول : " فمن هذا يتضح أن المصريين هم أول من عرف مركز القلب، وعلاقته بالأوعية الدموية، وأنهم أول من اكتشف النبض، وعرف سير الأوعية، وأن حركات النبض دليل مرشد للأوعية "(١٥٠).

وقد اعتقد المصريون [القدماء] أن القلب هو مركز الحس، وأنه هو العقل أيضاً. وإن كانوا قد توصلوا فيما بعد إلى أن العقل هو مركز التفكير، إلا أنهم ظلوا على إيمانهم العقائدي ذلك. واعتبر المصري أن القلب هو الضمير، وهو مخزن أسرار أعمال الإنسان، ونياته خيراً كانت أو شراً، ولذا حرصوا على تركه في جسد الإنسان "المتوفي"، لكي يلقى ربه بهذا القلب، فيوضع في الميزان.

ونفهم من خلال آيات القرآن الكريم أن القلب [في الدنيا] هو العقل :

(أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوبٍ أقفالها) (١٥١).

(كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون) (١٥٢).

(أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوبٌ يعقلون بها..) (١٥٣).

وهو أيضاً محل النية والأسرار :

(وأسروا قولكم أو اجهروا به إنه عليمٌ بذات الصدور) (١٥٤).

(إن الله عالم غيب السموات والأرض إنه عليمٌ بذات الصدور)(١٥٥).

(.. أوليس الله بأعلم بما في صدور العالمين) (١٥٦).

(يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور) (١٥٧).

كما أن القلب في القرآن هو محل الهداية :

(ما أصاب من مصيبةٍ إلا بإذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شيءٍ عليم) (١٥٨).

(أم يقولون افترى على الله كذباً فإن يشأ الله يختم على قلبك..)(١٥٩).

(إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلبٌ أو ألقى السمع وهو شهيد)(١٦٠).

وعن أهمية القلب في الأخرة، يقول الله تعالى :

- (من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلبٍ منيب) (١٦١).

- (إلا من أتى الله بقلبٍ سليم) (١٦٢). و"القلب السليم" يمكن أن يكون أيضاً القلب النقي، كما جاء في نص كتاب الموتى : " قلبه كان على الميزان نقياً".

وقد جاء أيضاً في نفس السياق ؛ دعاء يوجهه المتوفي إلى قلبه : " عسى ألا تهجرني في وجود حامل كفتي الميزان يا من أنت قرين جسدي "(١٦٣).

وكذلك : " طوبى لك أن تسمع الإله "تحوت"، قاضي العدل والحق في هيئة الآلهة المهيبة الكائنة بحضرة "أوزيريس"، يقول : إن قلب "أوزيريس" [المتوفي] بالحقيقة قد وُزن، وروحه وقفت شاهدة عليه.. لقد وُجد لا تشوبه شائبة شر.. إنه لم يفسد القرابين في المعابد.. إنه لم يأت بالأذى في أعماله، أنه لم ينطق بألسنة السوء عندما كان على الأرض، لقد وُجد صادقاً عند وضعه على الميزان العظيم "(١٦٤).

كما يقول المتوفي أيضاً : ".. إني في حضرتك يا رب عالم الموتى، ليست هناك خطيئة عالقة بي، لم أقل كذباً أدريه، ولا فعلت شيئاً بقلبٍ غاشٍ، لتمنحني أن أكون واحداً كهؤلاء المقربين الذين حولك "(١٦٥).

وبعد إتمام عملية وزن السيئات والحسنات، أو وزن القلب مقابل "الماعت"، يقود "حورس" [ابن "أوزيريس"] المتوفي إلى أبيه، ثم يشهد قائلاً : " لقد أتيت يا "ون نفر"، وأحضرت إليك "أوزيريس آني" [المتوفي]، قلبه كان على الميزان نقياً، لم يرتكب خطيئة ضد رب أو ربة، لقد وزنه "تحوت" وفقاً لأمر هيئة الأرباب، وأنه بالحقيقة عادل وحق "(١٦٦).

وفي سورة "ق" نقرأ الآية رقم ٢١، التي تقول : (وجاءت كل نفسٍ معها سائقٌ وشهيد)، ويفسر (الطبري) هذه الآية بقوله : " وجاءت يوم ينفخ في الصور كل

نفسٍ، ربها معها بسائق يسوقها إلى الله، وشهيد يشهد عليها بما عملت في الدنيا، من خيرٍ أو شر"(١٦٧).

وفي مشهد يوم الحساب رأينا "ملكين" أو "ربين"، أحدهما "أنوبيس" عن يسار الإله الأعظم، والأخر هو "تحوت"، رب الكتابة الموكل إليه تدوين كل الأمور، وكان على يمين "أوزيريس".

وقد جاء في القرآن الكريم : (إذ يلتقى الملتقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد) (١٦٨)، وفي تفسير هذه الآية يقول (مجاهد) : " عن اليمين الذي يكتب الحسنات، وعن الشمال الذي يكتب السيئات ". وعن (قتادة) قال : " تلا الحسن عن اليمين وعن الشمال قعيد، فقال يا بن آدم بسطت لك صحيفة ووكل به ملكان كريمان، أحدهما عن يمينك فيحفظ حسناتك، وأما الذي عن شمالك فيحفظ سيئاتك "(١٦٩).



"حورس" ابن "إيزيس" يسوق المتوفي إلى أبيه "أوزيريس".
فصل المحاكمة، كتاب الموتى.

الجنة

كانت الجنة عند المصريين [القدماء] هي مقر الصالحين ومثوى الأبرار، ولما كانت الحياة في الأخرة امتداداً للحياة في الدنيا ؛ كانت الجنة أيضاً على صورة

الموطن الأول، حقول ومراعٍ شاسعة، ذات خيرٍ وفير وزاد كثير، يواصل فيها المصري حياته في سلام، آمناً بين أهله، كما كان ذات يوم يعيش على ضفاف النيل(١٧٠).

وعن هذه الجنة المصرية يقول عالم المصريات الكبير (أدولف إرمان) : " وزاد الشعب في صورة مقر الأبرار، فتصوره مجموعة من الجزر، تحيط به المياه المختلفة، وتسمى إحدي هذه الجزر "حقل الأطعمة"، وأزكى منه شهرة "حقل يارو"، وهو حقل الأثل الذي ظل المصريون حتى عصورهم المتأخرة يعتبرونه مقر الممجدين. ومما لا يحتاج إلى بيان أن المصريين تصوروا هاتين الجنتين على شاكلة بلادهم نفسها، إذ يغمرها الفيضان ويزدهر فيها الزرع(١٧١).

وقد تردد صدى هذه الفكرة عن الجنة المصرية في "التوراة"، حين وصفت الجنة بأنها على شاكلة أرض مصر : " كجنة الرب كأرض مصر"(١٧٢).

أما (عبد الله بن عمرو) فقد قال أيضاً : " من أراد أن ينظر إلى مثل الفردوس في الدنيا فلينظر إلى أرض مصر"(١٧٣).

الحياة في الجنة "المصرية" إذن حياة هانئة مريحة وآمنة، على أرض خصبة، تتوافر فيها متعة الحياة الأولى، ولكن على نحو أبدي خالد.

وعلى النقيض من هذه الجنة "الحسية"، قدمت مدرسة "رع" نموذجاً لجنة أخرى، إذ انتقل إليها الإنسان إلى رفقة الإله الأعلى، وانضم إلى موكبه النوراني، حيث الطعام نور والكساء نور والسعادة أبدية.

وقد ورد بالأحاديث النبوية الشريفة ذكر صريح لبعض معالم مصر على أنها جزء من الجنة الإسلامية. فقد قال رسول الله [صلى الله عليه وسلم] : " أربعة جبال من الجنة وأربعة أنهار من أنهار الجنة، وأربعة ملاحم من ملاحم الجنة. قيل فما الأجبال ؟. قال : جبل أحد، يحبنا ونحبه، والطور جبل من جبال الجنة، ولبنان جبل من جبال الجنة، و الجودي جبل من جبال الجنة، والأنهار : النيل والفرات و سيحان و جيحان ، والملاحم بدر، وأحد والخندق و خيبر"(١٧٤).

ولـم يحـدد المصـريون موقعـاً معينـاً للجنـة، وإن كـانوا أشـاروا أنهـا تقـع فـوق السماء[١٧٥]. وكما أطلق المصريون على العالم الأخر اسم "الآخرة"، وظلت حتى اليوم مستعملة في اللغة العربية، نجد أن معنى اسم الجنة عندهم هو تقريباً نفس المعني الذي ذكره القرآن، فقد أطلق المصريون على جنتهم اسم : "حقول السلام"، أما سورة الأنعام فقد جاء بها : (لهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون) [١٧٦]. وفي النصوص المصرية [القديمة] يجيء ذكر نفس الاسم " تقريباً" – بمعنى الجنة – على لسان المتوفي، حيث يقول : ".. وقد اقتربت كثيراً من مدينة السلام "[١٧٧].

كانت الجنة المصرية مقر المؤمنين، المقر الذي يعمه السلام والأمان، وهو أيضاً ما نص عليه القرآن الكريم : (إن المتقين في مقامٍ آمين. في جناتٍ وعيون) [١٧٨]. وكذلك : (فأما إن كان من المقربين. فروحٌ وريحانٌ وجنت نعيم. وأما إن كان من أصحاب اليمين. فسلامٌ لك من أصحاب اليمين) [١٧٩].
وفي كتاب الموتى المصري ؛ نجد نفس المعني الذي جاء بالقرآن، إذ يقول النص : " لتدعه يستقر قاطناً بين القاطنين في السماء"[١٨٠]. وفي نص آخر من نفس كتاب الموتى : " قلوبهم في سلام ماداموا ينظرونك، يا من أنت الأبدية والخلود"[١٨١].

وقد وعد الله المتقين بمقعد صدق، أو كما جاء في الآية القرآنية : (إن المتقين في جناتٍ ونهر. في مقعد صدقٍ عند مليكٍ مقتدر)[١٨٢].
وهو ما ينص عليه أيضاً الدين المصري [القديم] : " لقد أتيت إليك، فاجعل لي مقعداً بين هؤلاء الذين في العالم الأخر، الذين يمجدون صورك بين هؤلاء الذين يعيشون ملايين ملايين السنين"[١٨٣].

كما وعد الله المتقين أيضاً منازل عالية، ذكرها القرآن الكريم على أنها غرف : (لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرفٌ من فوقها غرفٌ مبنيةٌ تجري من تحتها الأنهار وعد الله لا يخلف الله الميعاد) [١٨٤].

وقد مر بنا في أسطورة (سي أوزير)، هذا الأمير الصغير، الذي قاد أباه في العالم الأخر، فدخل به مبنى به غرف. كما يوجد نص في كتاب الموتى بعنوان "الدخول إلى السبع منازل عرت"(١٨٥). كما يقول المتوفي في نص مصري أيضاً : " ذهبت إلى غرفة مسخن المقدسة "(١٨٦). ورأينا سابقاً كذلك أن محاكمة المتوفي أيضاً في [قاعة] غرفة الحق والعدل.

وفي الأخرة المصرية ؛ توجد كذلك غرف لتعذيب المجرمين : " هناك لا فرار من قبضتهم، عسى ألا يطعنوني بسكاكينهم، ألا أقع بلا حول في غرف تعذيبهم"(١٨٧).

وكما أن الجنة في القرآن تجري من تحتها الأنهار، فإنها أيضاً تجري في الجنة المصرية. وقد نص الحديث الشريف صراحة على أن نهر النيل واحد من أنهار الجنة. ففي حديث الإسراء، إذ كان الرسول [صلى الله عليه وسلم] في السماء الدنيا، فإذا به يرى : " نهرين يطردان، فقال : ما هذان يا جبريل ؟ قال : النيل والفرات، عنصرهما من الجنة "(١٨٨)

وقد جاء بالحديث الشريف أيضاً أن نهر النيل واحد من خمسة أنهار نبعت من الجنة، فقد ذكر (ابن عباس) أن رسول الله [صلى الله عليه وسلم] قال : أنزل الله عز وجل إلى الأرض خمسة أنهار : سيحون، وهو نهر الهند، وجيحون وهو نهر بلخ، ودجلة والفرات وهما نهرا العراق، والنيل وهو نهر مصر، أنزلها الله من عينٍ واحدة من عيون الجنة، في أسفل درجة من درجاتها على جناحي (جبريل)، فاستودعها الجبال وأجراها في الأرض، وجعل فيها منافع للناس في أصناف معايشهم، وذلك قول جل ثناؤه : (وأنزلنا من السماء ماءً بقدرٍ فأسكناه في الأرض)"(١٨٩).

وتفيض الأنهار في حقول السلام [الجنة المصرية]، لينبت الشجر الكثير، وقد ذكرت النصوص المصرية بعضاً من أنواع هذا الشجر، فقالت إنه شجر العنب ونخيل البلح(١٩٠). وهو ما جاء أيضاً بالقرآن : (فأنشأنا لكم به جناتٍ من نخيلٍ وأعنابٍ..) (١٩١).

وفـي حقـول السـلام نجـد أيضـاً "شـجرة التـين المباركـة"[١٩٢]، وكـذلك "شـجرة الزيتـون"[١٩٣]، وهمـا الشـجرتان اللتـان ورد ذكرهمـا بـالقرآن : (والتـين والزيتـون. وطـور سـنين) [١٩٤]. و(طـور سـنين) هـي أيضـاً أرض مصـرية [مقدسـة]، وقـد جـاء ذكـر "طـور سيناء" مرتبطـاً أيضـاً بـذكر شـجرة مباركـة، إذ يقـول عـز وجـل : (وشـجرةً تخـرج مـن طـور سـيناء تنبـت بالـدهن وصـبغٍ للآكلين)[١٩٥].

وفي الجنة المصرية، في شرق السماء، شجرة جميز عالية، هي شجرة الحياة يعيش عليها الأرباب، أما ثمارها فهي طعام للأبرار[١٩٦]. وتقول الآية القرآنية : (فأنشأنا لكم به جناتٍ من نخيلٍ وأعنابٍ لكم فيها فواكه كثيرةٌ ومنها تـأكلون) [١٩٧].

وثمار الفاكهة هي واحد من أنواع طعام عديدة وعد بها الله أهل الجنة، كما جاء في سورة الصافات : (أولئك لهم رزقٌ معلومٌ. فواكـه وهم مكرمـون. فـي جنـات النعـيم) [١٩٨]. ويفسـر (الطبـري) هـذه الآيـة فيقـول : "هـؤلاء وهـم عبـاد الله المخلصون لهم رزق معلوم، وذلك الرزق المعلوم هذه الفواكـه التـي خلقهـا الله لهم في الجنة "[١٩٩]. ولم يقتصـر طعـام أهل الجنـة علـى الفاكهـة فقط، بـل هنـاك أنواع أخرى، وقد جاء في سورة الواقعة : (ولحم طيرٍ مما يشتهون)[٢٠٠].

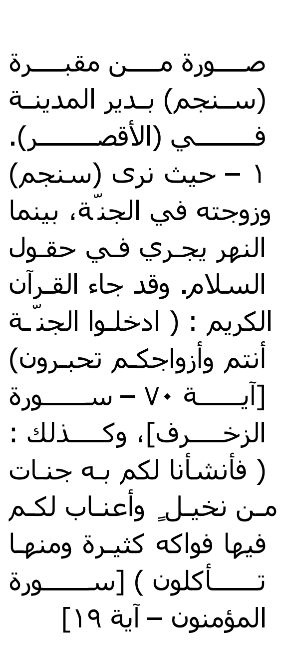
وفي الفردوس المصري يتوافر الطعام الكثير، ومنه اللحم على سبيل المثـال : " سوف يمنح هبات اللحم، والدخول إلى حضرة الإله "أوزيريس"، ومستقراً أبدياً في حقول السلام"[٢٠١]. والذي يزور المعابد والمقابر المصرية يري الكثيـر مـن لحم الطير، وغيره، يقدم للمتوفي.

وكما وعد الله الأبرار بالطعام وعدهم أيضاً بالشراب، ومن شراب الأبـرار فـي جنـة المصـريين اللبن : " لتسمح هنـاك بإعطـائي أوعيـة اللبن "[٢٠٢]. وقد جـاء بالقرآن الكريم : (مثـل الجنـة التـي وعد المتقون فيهـا أنهـارٌ من مـاءٍ غيـر آسنٍ وأنـهارٌ من لبنٍ لم يتغير طعمه..)[٢٠٣].

ويشرب الأبرار المصريون في جنتهم كؤوس الجعة. وقد جاء في سورة الصافات عن شراب أهل الجنة أيضاً : (يطاف عليهم بكأسٍ من معين. بيضاء لذةٍ للشاربين)[٢٠٤]. و(الطبري) يفسر لنا الآية السابقة فيقول : " يقول تعالى ذكره يطوف عليهم الخدم بكأسٍ من خمرٍ جارية، ظاهرة لأعينهم غير غائرة. والمعين هي الجارية، وقوله بيضاء لذةٍ للشاربين يعنى البيضاء الكأس"[٢٠٥].

وهو ما يؤكده عز وجل في سورة الواقعة أيضاً : (يطوف عليهم ولدانٌ مخلدون. بأكوابٍ وأباريق وكأسٍ من معين)[٢٠٦].





صورة من مقبرة (سنجم) بدير المدينة في (الأقصر).
١ – حيث نرى (سنجم) وزوجته في الجنّة، بينما النهر يجري في حقول السلام. وقد جاء القرآن الكريم : (ادخلوا الجنّة أنتم وأزواجكم تحبرون) [آية ٧٠ – سورة الزخرف]، وكذلك : (فأنشأنا لكم به جنات من نخيلٍ وأعناب لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تأكلون) [سورة المؤمنون – آية ١٩]

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله : " سيحان وجيحان والنيل والفرات كل من أنهار الجنة ". وقال كعب : " نهر دجلة بالجنة، ونهر الفرات لبنهم، ونهر مصر نهر خمرهم، ونهر سيحان نهر عسلهم، وهذه الأربعة تخرج من نهر الكوثر"[٢٠٧].

أما الإناء الذي يشرب منه أهل الجنة فهو "الكوب"، والكوب في اللغة العربية هو نوع من الأباريق، ما اتسع رأسه ولم يكن لـه خرطوم[(٢٠٨)]. وهذه هي نفس الصفات التي تنطبق تماماً على الكأس أو الكوب في النقوش المصرية، والذي ينهل منه المتوفي شراب الأخرة.



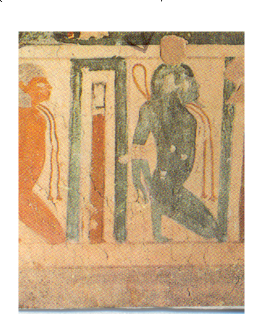
(مـن كـان يريـد حـرث الأخـرة نـزد لـه فـي حرثـه) [سـورة الشـورى – آية ٢٠]

وطعام أهل الجنـة المصـرية وكذلك شـرابهم لا يصـيبه التلـف ولا يفسد، وهـو أيضاً ما نص عليه القرآن الكريم[(٢٠٩)].

كان هذا عن الجنة، فماذا عن النـار ؟، هل عرف الفكر الديني المصـري أيضـاً "نار جهنم"، مثوى أبدياً للكافرين ؟.

لا نستطيع أن نؤكد هذا، ولكننـا نستطيع استعراض بعض مظـاهر من العقـاب الـذي أعد للكـافرين : إننـا نعرف من خـلال آيـات القرآن الكريم أن الله قد أعد للكافرين أغلالاً، يقيدهم بها الملائكة والزبانيـة، ليقودوهم إلـى النـار، فنقرأ فـي سورة الإنسان : (إنا أعتدنا للكـافرين سلاسلا وأغلالاً وسعيراً) [(٢١٠)]. ويفسر (الطبري) هذه الآية فيقول : " إنا أعتدنا لمن كفر نعمتنا، وخالف أمرنا، سلاسل يستوثق بهـا منهم "، ثـم يضـيف بـأن هـذه الأغـلال تشـد بهـا أيـدي الكفـار إلـى أعناقهم[(٢١١)]. وهو ما يتجلى أيضـاً في الآية الخامسة من سورة الرعد، إذ يقول

عز وجل : (أولئك الذين كفروا بربهم وأولئك الأغلال في أعناقهم وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون).





وفي الدين المصري نري أيضاً أغلالاً أعدت للمجرمين، ويوثق بها أياديهم، وكذلك أعناقهم، وهو ما يتضح جلياً في صور المقابر المصرية، ومنها على سبيل المثال مقبرتا (رمسيس السادس) و(رمسيس التاسع)، بوادي الملوك بمدينة (الأقصر).

أما الموكل إليه شد وثاق هؤلاء فهم الملائكة، أو خزان جهنم، كما يقول (الطبري) في تفسيره للآية القرآنية الثلاثين من سورة الحاقة : (خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه).

وهو مشهد نراه في صورة من مقبرة (رمسيس السادس)، حيث يقوم الزبانية بتقييد المجرمين.



فها هي زبانيات "إناث" يقمن بتكبيل أربعة كفار جاثين، بينما خامسهم واقف ليتم شد أساره أيضاً.

والمنظر التالي يوضح نفس الأمر، إلا أنه هنا يتم قيد إبليس نفسه، عدو الله، الذي اتخذ شكل الثعبان. وبينما يكبل أربعة أشخاص الشيطان نري يداً مجهولة تساعدهم :



وبعد أن يقوم الزبانية بوضع الكافرين في الأغلال، يسوقونهم إلى مصيرهم المحتوم، وهو : جهنم، وهنا سوف : (يعلم الذين ظلموا أي منقلب) ينقلبون) كما توضح الآية رقم ٢٧٧ من سورة الشعراء.



نقش من مقبرة (رمسيس السادس) بوادي الملوك.

وفي مقبرة (رمسيس السادس) أيضاً نري الزبانية وقد أمسكوا بأعداء الله، وهم منقلبون رؤوسهم إلى أسفل وأرجلهم إلى أعلى. ووضع أعداء الله على هذا النحو مشهد يتكرر مرات عديدة في المقابر المصرية، ومنها المشهد التالي من مقبرة (رمسيس التاسع).



وفي سورة القارعة يقول الله عز وجل : (وأما من خفت موازينه فأمه هاوية)، والأم هي الرأس التي تهوي في النار، كما جاء في نفس السورة : (وما أدراك ماهية. نارٌ حامية) (٢١٢). هي النار مصير الكافرين، كما يتأكد المعنى في الآية التالية : (والذين كفروا بآياتنا هم أصحاب المشئمة. عليهم نارٌ مؤصدة) (٢١٣). وهي نارٌ مؤصدة في عمدٍ ممددة، كما جاء في سورة الهمزة، ومثل هذه النار نراها في حجرة الدفن بمقبرة (سيتي الأول)، وهي تمثل الساعة الثالثة من كتاب البوابات، وقد مثلت النار هنا على هيئة أمواج حمراء.

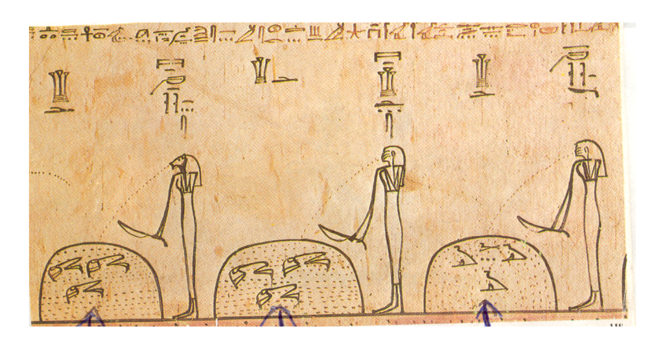
والصورة التالية من نفس المقبرة تظهر النار على هيئة فخين أعدا للمذنبين.





(نـار الله الموقـدة. التـي تطلـع علـى الأفئـدة. إنهـا علـيهم مؤصدة في عمدٍ ممـددة) [سـورة الهمزة ٦ - ٩].

وفي مشهد آخر يمثل هذه النار، نرى المذنبين وقد ألقوا بعضـهم فوق بعض فـي هذه النار، وقد وقف عليهم زبانية يحرسونها :



وفـي سورة الشـعراء نقرأ : (فكبكبـوا فيهـا هم والغـاوون) [٢١٤]. "ومعناهـا أن هؤلاء يتم طرحهم في جهنم فوق بعض"[٢١٥]. ونرى في نفس الصـورة السـابقة أن الكافرين قد طُرحوا في النار ووجوههم إلى أسفل، وبينما تقول الآية رقم ٩٠ من سورة النمل : (فكبـت وجـوههم فـي النـار)، تنص الآيـة الثامنـة والأربعـون مـن سـورة القمـر علـى أن هؤلاء المجـرمين سـوف يسـحبون فـي الجحـيم علـى وجوههم : (يوم يسحبون في النار على وجوههم).

وهو مشهد نراه في مقبرة (أمنحتب الثاني) بوادي الملوك بــ(الأقصر)، إذ نـرى أحد الزبانية وقد كبل المجرمين وسحبهم، بينما وجوههم إلى أسفل :



بالرغم مما تقدم فإننا لا نستطيع أن نزعم أن المصريين [القدامى] قد عرفوا "جهنم" بنفس مفهومها الإسلامي، ولكننا نستطيع أن نؤكد أنه كان لدى المصريين "نار" العالم الأخر، يلقى فيها بالمذنبين والكافرين.
ولكن المدهش في الأمر أن كتاب "إم دوات" المصري قد ربط بين نار جهنم وبين لفظ "سقر"، ونحن هنا لا نعني اللفظ العربي، فسقر الواردة في القرآن لفظ عجمي غير عربي[٢١٦]. وإنما نعني اللفظ المصري ذاته، فسقر كلمة مصرية صميمة. وكان يطلق على رب مصري [قديم]، هو رب الموتى "سقر". وقد عُبد "سقر" في مدينة (منف)، وصار رب جبانتها المعروفة إلى اليوم باسم (سقارة).
ويذكر الرب "سقر" في الساعة الخامسة من كتاب "إم داوت" أي "العالم الأخر"، وقد صور في هذه الساعة على هيئته – التي عُرف بها – وهي شكل الصقر، وهو الطائر المعروف الذي يكتب اسمه – بالعربية – "صقر" أو "سقر"[٢١٧].
ويصور كتاب "إم داوت" قاع هذه الساعة بأنها بحر من النار الحارقة، ومن شدة حرارتها لا تستطيع حتى الأرباب الاقتراب منها[٢١٨].
وهكذا نستطيع أن نقول أن هذه الكلمة المصرية "سقر" جمعت بين رب الموتى والعالم الأخر والنار. وقد ذُكرت "سقر" في القرآن عدة مرات، ارتبطت كلها بالأخرة وجهنم. ولشدة أوار "سقر" وسعيرها ؛ نجد القرآن يتوعد بها الكافرين، إذ يقول الله عز وجل في سورة المدثر : (سأصليه سقر. وما أدراك ما سقر. لا تبقي ولا تذر. لواحة للبشر. عليها تسعة عشر). والتسعة عشر هنا هم تسعة عشر حارساً على هذه النار. والمثير للدهشة أن منطقة "سقر" في كتاب "إم داوت" يحرسها تسعة عشر حرساً، ما زالت ترى نقشاً بديعاً على جدران مقبرتي (تحتمس الثالث) و(أمنحتب الثاني)، بوادي الملوك بمدينة (الأقصر).
ولنا أن نعجب ما شئنا، ولنا أيضاً أن نعود إلى سورة المدثر، وآياتها التي جعلها الله ذكرى للبشر : (وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة وما جعلنا عدتهم إلا فتنةً للذين كفروا ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيماناً ولا يرتاب

الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرضٌ والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلاً كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وما يعلم جنود ربك إلا هو وما هي إلا ذكرى للبشر) [٢١٩].

صدق الله العظيم.

الهوامش

١ - سفر التكوين الإصحاح (١) آية (١).
٢ - سورة فصلت آيات (٩ - ١٢).
٣ - سفر التكوين الإصحاح (١) آية (٢).
٤ - سورة الأنبياء آية (٣٠)
٥ - آلهة المصريين والاس بدج
٦ - أساطير التوراة الكبرى وتراث الشرق الأدنى القديم د.كارم محمود عزيز.
٧ – هيرودوت يتحدث عن مصر ترجمة د.محمد صقر خفاجة
٨ - سورة القلم آية (١).
٩ - آلهة مصر العربية علي فهمي خشيم
١٠ - آلهة المصريين والاس بدج
١١ - المرجع السابق
١٢- أساطير التوراة الكبرى وتراث الشرق الأدنى القديم د.كارم محمود عزيز.
١٣ - آلهة المصريين والاس بدج
١٤ - معجم الحضارة المصرية مجموعة من الباحثين
١٥ - سفر التكوين الإصحاح (١) آية (٣ - ١٣).
١٦ - سورة النازعات آيات (٢٧ - ٣٣).
١٧ - الحياة اليومية للآلهة الفرعونية ديمتري ميكس وكريستين فافارميكس
١٨ - سورة الأنبياء آية (٣٠).
١٩ – الديانة المصرية القديمة أدولف إرمان
٢٠ - سورة الرحمن آية (٧).
٢١ - سورة الحج آية (٦٥).
٢٢ – معجم المعبودات والرموز في مصر القديمة مانفرد لوكر
٢٣ – هيرودوت يتحدث عن مصر ترجمة د.محمد صقر خفاجة
٢٤- أساطير التوراة الكبرى وتراث الشرق الأدنى القديم د.كارم محمود عزيز.
٢٥ – الديانة المصرية القديمة أدولف إرمان
٢٦ – المرجع السابق
٢٧ – سورة التكوير آية (١٥) و(١٦).
٢٨ – تفسير الطبري
٢٩ – سورة فصلت آية (١٢)
٣٠ – سورة الواقعة آية (٧٥) و(٧٦)
٣١ – سورة يونس آية (٥)
٣٢ – معجم الحضارة المصرية القديمة مجموعة من الباحثين
٣٣ – المرجع السابق
٣٤ - الحياة اليومية للآلهة الفرعونية ديمتري ميكس وكريستين فافارميكس

٣٥ – معجم الحضارة المصرية القديمة — مجموعة من الباحثين
٣٦ – جريدة الأهرام – ٨ سبتمبر ٢٠٠١ — د. مينا بديع عبدالملك
٣٧ – المرجع السابق
٣٨ - الحياة اليومية للآلهة الفرعونية — ديمتري ميكس وكريستين فافارميكس
٣٩ – المرجع السابق
٤٠ – سورة النجم آيات (٤٧ و٤٩)
٤١ – تفسير الطبري
٤٢ – سورة نوح آية (١٥) و(١٦)
٤٣ - آلهة مصر العربية — علي فهمي خشيم
٤٤ – المرجع السابق
٤٥ - الحياة اليومية للآلهة الفرعونية — ديمتري ميكس وكريستين فافارميكس
٤٦ – المرجع السابق
٤٧ – المرجع السابق
٤٨ – المرجع السابق
٤٩ – المرجع السابق
٥٠ – الأدب المصري القديم — كلير لالويت
٥١ – المرجع السابق
٥٢ – المرجع السابق
٥٣ – سورة السجدة آية (٧)
٥٤ – سورة المؤمنون آية (١٢)
٥٥ – سورة الأنعام آية (٢)
٥٦ – سورة الرحمن آية (١٤)
٥٧ – تفسير الطبري
٥٨ – المرجع السابق
٥٩ – سورة فاطر آية (١)
٦٠ - آلهة المصريين — والاس بدج
٦١ - الحياة اليومية للآلهة الفرعونية — ديمتري ميكس وكريستين فافارميكس
٦٢ – سورة العنكبوت آية (٥٧)
٦٣ – سورة الرحمن آية (٢٦)
٦٤ – سورة الجمعة آية (٨)
٦٥ – سورة الجاثية آية (٢٦)
٦٦ – معجم الحضارة المصرية القديمة — مجموعة من الباحثين
٦٧ – المرجع السابق
٦٨ – المرجع السابق
٦٩ – الديانة المصرية القديمة — أدولف إرمان

٧٠ – المرجع السابق
٧١ – المرجع السابق
٧٢ – التذكرة في أمور الموتى وأحوال الأخرة القرطبي
٧٣ – المرجع السابق
٧٤ – المرجع السابق
٧٥ – المرجع السابق
٧٦ – المرجع السابق
٧٧ – الديانة المصرية القديمة ياروسلاف تشرني
٧٨ – الديانة المصرية القديمة أدولف إرمان
٧٩ – التذكرة في أمور الموتى وأحوال الأخرة القرطبي
٨٠ – المرجع السابق
٨١ – المرجع السابق
٨٢ – الخلود في التراث الثقافي د.سيد عويس
٨٣ – سورة البقرة آية (٦٢)
٨٤ – سورة المائدة آية (٦٩)
٨٥ – سورة الزمر آية (٤٥)
٨٦ – سورة يوسف آية (٣٧)
٨٧ – سورة البقرة آية (٤)
٨٨ – تفسير الطبري
٨٩ – المرجع السابق
٩٠ – كتاب الموتى
٩١ – الديانة المصرية القديم ياروسلاف تشرني
٩٢ – المرجع السابق
٩٣ – معجم المعبودات والرموز في مصر القديمة مانفرد لوكر
٩٤ – سورة يس آية (٣٣)
٩٥ – سورة فاطر آية (٩)
٩٦ – سورة الروم آية (١٩)
٩٧ – الديانة المصرية القديمة ياروسلاف تشرني
٩٨ – معجم المعبودات والرموز في مصر القديمة مانفرد لوكر
٩٩ – الديانة المصرية القديمة ياروسلاف تشرني
١٠٠ – معجم الحضارة المصرية القديمة مجموعة من الباحثين
١٠١ – كتاب الموتى
١٠٢ – التذكرة في أمور الموتى وأحوال الأخرة القرطبي
١٠٣ – الديانة المصرية القديمة ياروسلاف تشرني
١٠٤ - آلهة المصريين والاس بدج
١٠٥ – المرجع السابق

١٠٦ – المرجع السابق
١٠٧ – وادي الملوك إريك هورنونج
١٠٨ – المرجع السابق
١٠٩– المرجع السابق
١١٠– المرجع السابق
١١١– المرجع السابق
١١٢– المرجع السابق
١١٣- آلهة المصريين والاس بدج
١١٤– المرجع السابق
١١٥– التذكرة في أمور الموتى وأحوال الأخرة القرطبي
١١٦– سورة الصافات آية (٢٢) و(٢٣)
١١٧– كتاب الموتى
١١٨ المرجع السابق
١١٩– المرجع السابق
١٢٠– التذكرة في أمور الموتى وأحوال الأخرة القرطبي
١٢١– المرجع السابق
١٢٢– سورة الحجر آية (١٤)
١٢٣– سورة النبأ آية (١٩)
١٢٤– التذكرة في أمور الموتى وأحوال الأخرة القرطبي
١٢٥– سورة الأعراف آية (٤٠)
١٢٦– كتاب الموتى
١٢٧– المرجع السابق
١٢٨ سورة الزمر آية (٧٣)
١٢٩– كتاب الموتى
١٣٠– سورة الزمر آية (٧١) و(٧٢)
١٣١– كتاب الموتى
١٣٢- آلهة المصريين والاس بدج
١٣٣- كتاب الموتى
١٣٤– المرجع السابق
١٣٥- المرجع السابق
١٣٦- سورة الأنبياء آية (٤٧)
١٣٧ تفسير الطبري
١٣٨– التذكرة في أمور الموتى وأحوال الأخرة القرطبي
١٣٩- تفسير الطبرى
١٤٠– التذكرة في أمور الموتى وأحوال الأخرة القرطبي

١٤١ ـ المرجع السابق
١٤٢ـ سورة الأعراف آية (٨)
١٤٣ـ سورة المؤمنون آية (١٠٣)
١٤٤ـ سورة القارعة آيات (٦ ـ ٩)
١٤٥ـ سورة الزلزلة آية (٧) و(٨)
١٤٦ـ سورة الأنبياء آية (٤٧)
١٤٧ ـ سورة الأعراف آية (٨)
١٤٨ـ كتاب الموتى
١٤٩ـ الطب المصري القديم   حسن كمال
١٥٠ ـ المرجع السابق
١٥١ـ سورة محمد آية (٢٤)
١٥٢ ـ سورة الروم آية (٥٩)
١٥٣ ـ سورة الحج آية (٤٦)
١٥٤ ـ سورة الملك آية (١٣)
١٥٥ ـ سورة فاطر آية (٣٨)
١٥٦ ـ سورة العنكبوت آية (١٠)
١٥٧ ـ سورة غافر آية (١٩)
١٥٨ ـ سورة التغابن آية (١١)
١٥٩ ـ سورة الشورى آية (٢٤)
١٦٠ ـ سورة (ق) آية (٣٧)
١٦١ ـ سورة (ق) آية (٣٣)
١٦٢ ـ سورة الشعراء آية (٨٩)
١٦٣ ـ كتاب الموتى
١٦٤ ـ المرجع السابق
١٦٥ ـ المرجع السابق
١٦٦ ـ المرجع السابق
١٦٧ ـ تفسير الطبرى
١٦٨ ـ سورة (ق) آية (١٧)
١٦٩ ـ التذكرة في أمور الموتى وأحوال الأخرة   القرطبي
١٧٠ ـ الديانة المصرية القديمة   أدولف إرمان
١٧١ ـ المرجع السابق
١٧٢ ـ سفر التكوين اصحاح (١٣) آية (١١)
١٧٣ ـ فضائل مصر   ابن زولاق
١٧٤ ـ التذكرة في أمور الموتى وأحوال الأخرة   القرطبي
١٧٥ ـ آلهة المصريين   والاس بدج

١٧٦ - سورة الأنعام آية (١٢٧)
١٧٧ - كتاب الموتى
١٧٨ - سورة الدخان آية (٥١) و(٥٢)
١٧٩ - سورة الواقعة آيات (٨٨ – ٩١)
١٨٠ - كتاب الموتى
١٨١ - المرجع السابق
١٨٢ - سورة القمر آية (٥٤) و(٥٥)
١٨٣ - كتاب الموتى
١٨٤ - سورة الزمر آية (٢٠)
١٨٥ - كتاب الموتى
١٨٦ - المرجع السابق
١٨٧ - المرجع السابق
١٨٨ – التذكرة في أمور الموتى وأحوال الأخرة القرطبي
١٨٩ - المرجع السابق
١٩٠ - آلهة المصريين والاس بدج
١٩١ - سورة المؤمنون آية (١٩)
١٩٢ - آلهة المصريين والاس بدج
١٩٣ - المرجع السابق
١٩٤ - سورة التين آية (١) و(٢)
١٩٥ - سورة المؤمنون آية (٢٠)
١٩٦ – الديانة المصرية القديمة أدولف إرمان
١٩٧ - سورة المؤمنون آية (١٩)
١٩٨ - سورة الصافات آيات (٤١) و (٤٢) و (٤٣)
١٩٩ - تفسير الطبري
٢٠٠ - سورة الواقعة آية (٢١)
٢٠١ - كتاب الموتى
٢٠٢ - المرجع السابق
٢٠٣ - سورة محمد آية (١٥)
٢٠٤ - سورة الصافات الآية (٤٥) و(٤٦)
٢٠٥ - تفسير الطبري
٢٠٦ - سورة الواقعة الآية (١٧) و(١٨)
٢٠٧ – التذكرة في أمور الموتى وأحوال الأخرة القرطبي
٢٠٨ - تفسير الطبري
٢٠٩ - سورة محمد آية (١٥)
٢١٠ - سورة الإنسان آية (٤)

٢١١ ـ تفسير الطبري
٢١٢ ـ سورة القارعة آية (١٠ – ١١)
٢١٣ ـ سورة البلد آية (١٩) و(٢٠)
٢١٤ ـ سورة الشعراء آية (٩٤)
٢١٥ ـ تفسير الطبري
٢١٦ ـ آلهة مصر العربية — علي فهمي خشيم
٢١٧ ـ المرجع السابق
٢١٨ – وادي الملوك — إريك هورنونج
٢١٩ ـ سورة المدثر

فهرست